

04-B3191 Put

عَقْلًا وَعَقْلًا

5

مؤلفات الأستاذ سلامة موسى

حرية الفكر وتاريخ أبطالها (الهلال)

العقل الباطن وأسرار النفس (الهلال)

مختارات سلامة موسى (للطبعة المصرية)

اليوم والغد (للطبعة المصرية)

نظرية التطور وأصل الإنسان (للطبعة المصرية)

كيف نسوس حياتنا بعد الخمسين (للطبعة المصرية)

البلاغة المصرية واللغة العربية (للطبعة المصرية)

فن الحياة (مكتبة الانجلو المصرية)

مصر أصل الحضارة (المجلة الجديدة)

التثقيف الذاتي أو كيف نربي أنفسنا (لجنة التأليف والترجمة والنشر)

غاندى والحركة الهندية (المجلة الجديدة)

في الحياة والأدب (المجلة الجديدة)

التجديد في الأدب الانجليزي الحديث (المجلة الجديدة)

BF
145
M 82
1947

سلامه موسی

عَقْلٌ وَعَقْلَانِ

س
٢٠٨



القاهرة

دار الكتب المصري

شركة مساهمة مصرية

١٩٤٧

الطبعة الأولى . . . مايو ١٩٤٧

شاليمون وركو

١٠٥

جميع الحقوق محفوظة لدار الكاتب المصري ١٩٤٧

فهرس

صفحة	صفحة
٧٥	١ المقدمة
٧٩	٥ كلمات يجب أن يعرفها القارى
٨٣	٧ عقل الانسان وعقل الحيوان
٨٧	١٢ العقل والمخ
٩٢	١٥ الغرائز والعواطف
٩٦	١٩ الغريزة الأصلية
٩٩	٢٣ الجسم يؤثر فى العقل
١٠٣	٢٦ العقل يؤثر فى الجسم
١٠٥	٣١ طبيعة التفكير
١٠٨	٣٥ طبيعة الذكاء
١١٢	٣٨ الذكاء والعبقرية
١١٥	٤١ طراز الجسم ومزاج النفس
١١٩	٤٤ المزاج النفسى أيضاً
١٢٢	٤٧ الخطأ الأساسى فى التفكير
١٢٥	٥٠ اللغة والتفكير
١٢٧	٥٤ السكظم والعقل الكامن
١٣١	٥٩ الاحلام ومغزاها
١٣٤	٦٤ الكابوس وأسبابه
١٣٩	٦٨ الايماء والتنويم النفسى
١٤٣	٨٢ المركبات

صفحة	صفحة
١٧٠	١٤٧
١٧٤	١٥٢
١٧٨	١٥٧
١٨١	١٦١
١٨٧	١٦٥

تربية الأطفال

سيكولوجية الدرس

التحليل النفسي

التأليف أهم من التحليل

الزيف الجنسي

النظر السيكولوجي للاجرام

الشخصية السيكوبائية

أحدى الشخصيات السيكوبائية

الينوروز

السيكوز

المقدمة

قبل مسيرين سنة ألفت كتابي « العقل الباطن » فقرر إقبالا قاطعاً بين التراء والتسمع
كثير منهم لأنه صدى حاجة في نفوسهم . وكان هذا الكتاب ثائفاً ولا يكن ترجمة لأحد
أولم التأليف لما فيه من إيجاز هذا أو إسهاب هناك بالقدم ترى أولاً في الجمهور العربي التذري
واختلاف حاجاته . وهذه ميراث لا توارث في كتاب مترجم ولو كان مؤلفه من
أعظم السكوتيين . إذ هو يكتب مجتمع غير مجتمعنا .

ولقد وجدت أن الحاجة نفس في الوقت الحاضر إلى كتاب أوفى وأكثر إسهاباً . أولاً
لأن الذين يقرأوا - العقل الباطن - يستطيعون أن يفهموا وأن يطلبوا أكثر منه . وثانياً
لأن السكوتية قد سجلت كثيراً من القدم . فالتأليف يسعه أن يسر ويشرح ويشرح .
كثيراً من التصرفات في الصحة أو المرض أو السلوك أكثر مما كان يستطيع قبل . ثمة .
وخلاصة بعد أن قام كثير من مؤلفيها في مسير بشروح - سكوتية مقبولة أو موهومة .

والصرف البشري إما تصرف خافق وإما تصرف زائف . والفرق بينهما هو فرق درجي
وليس نوعياً . ومع أن في الصحة كثيراً إلى التصرف الناعم فإني ألتجئ إلى أن أشرح
تصرف الراغبين لما يلقى هذا من ضوء على تصرف العقلاء . لأن النوع النفسي إنما هو في
صميمه سبغة في ناحية معينة من الاتجاه النفسي . وكما تعرف الصحة من المرض في أعضاء
الجسم كذلك تعرف النفس السليمة من التهاون وتصرفات النفس الزالمة .

وإذا كان المجنون الذين يعانون الأمراض أو الشذوذات النفسية قد غفلوا في أحوالهم
فإنما يرجع هذا إلى شذوحي الجهل بين الجمهور .

والسبيل إلى وقف هؤلاء المجانين أن يكون إلا بقدر المعارف السكوتية الصاعدة
التي يستطيع القارئ أن يسترشدها في سلوكه وأن يعرف بها زيف هؤلاء المجانين .

وكل إنسان متعلم يجب أن يكون طبيباً نفسياً إلى حد ما . ولا يصح هذا القول على
الناس من ناحية الطب العضوي لأن الرجل المتعلم لا يأكل نفسه على تناول جرعة من
الزورنيخ كي يشفى بها . ولكن هذا الرجل المتعلم يستطيع أن يعرف مقداراً كبيراً

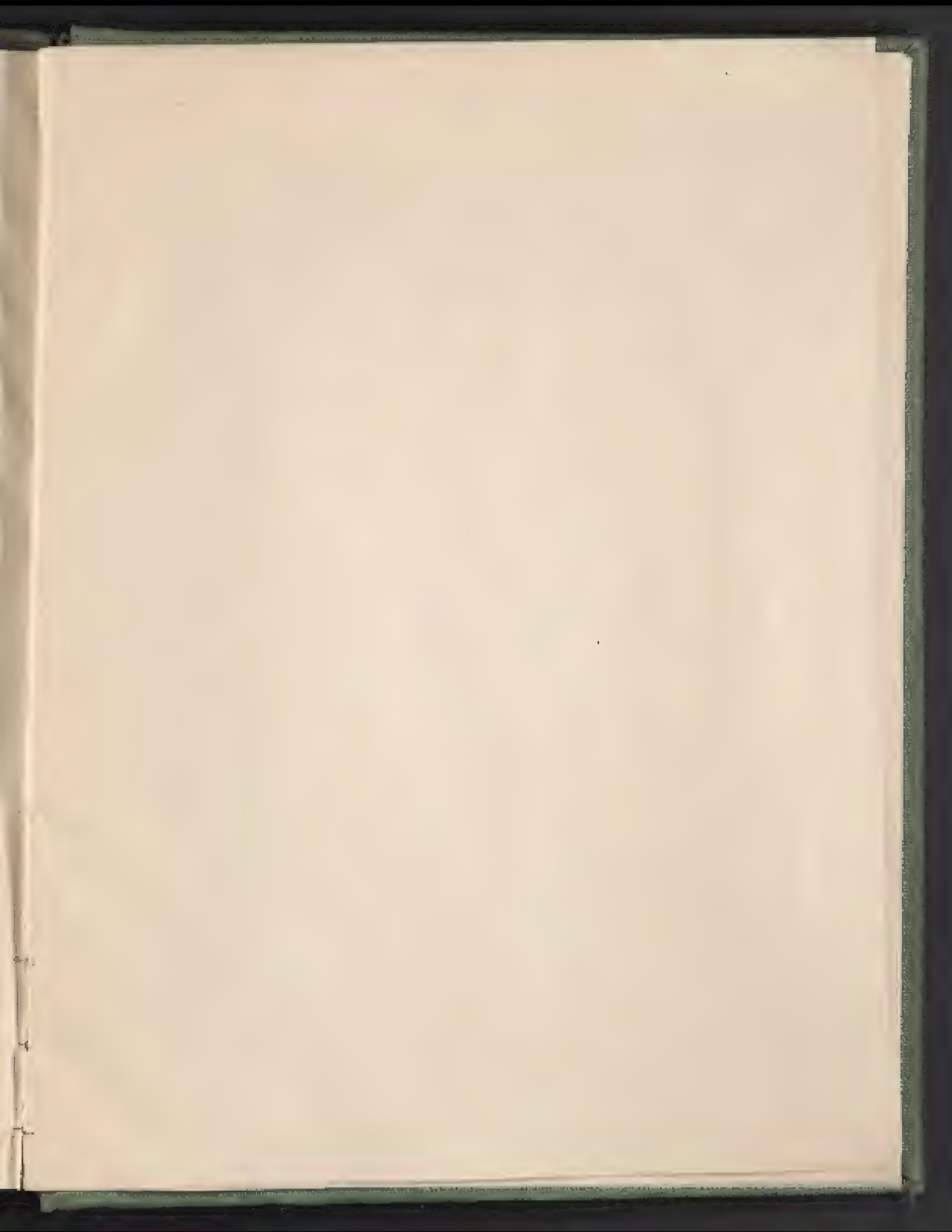
من السيكولوجية يستكشف به في سلوكه وتصرفه . وليس في الطب النفسي إزاحة .
والطبيب النفسي الذي يظلم بمعالجة النطق الزائغ والزوجة النائرة والزوج الشاب
والشخص المتخاوية والناطقة الحرفية والاضراب عن الاهتمامات المسوية والسرور أو الحزن
في غير مناسباتها . هذا الطبيب يحتاج إلى دراسات واسعة مستعينة في فهم الطبيعة البشرية .
إن يجب أن يدرك البيولوجية والفسيولوجية والاقتصاد والاحتياج والدمج والتاريخ والآداب .
لأن الواقع أن مشكلاتنا النفسية هي في النهاية مشكلات نفسية أي أنها تحصل بتوفيقنا
الطائي وما يلزم في فهمه في علم الدنيا . ونحن نرى توجه إلى أهداف حسنة أم قد انغمسنا
بأهداف رثية . أي ما هي الحارسة النفسية التي لوحيها لتستوفى هذا الكوكب الروحانية
واللادية ؟

ويعني أن العلم الأمثل هو الذي يستطيع أن يعبر عن حقائقه بالأرقام أو ما يقاربها
في الصحة . ولا يمكن أن يقال هذا عن السيكولوجية في أيامنا . وإن كان مقدار كبير من
المعارف السيكولوجية الآن يقوم على أساس من التجارب والأرقام . ولكن الطب العضوي
نفسه كذلك لم يبلغ الكمال . بل هذا الكمال لم يبلغه أي علم . حتى أن الاتجاه التجريبي
في السيكولوجية سوف يفتن شيئاً كثيراً من الوصول إلى هذا الهدف .
وأنظار الحداثة كثيرة والسيكولوجية تحاول أن تثير اهتمامها وتقدم لها حلولاً . وهي كل
يوم تخطى خطراً بعد آخر .

وهذا الكتاب هو عمود الفكر الخفائي . بلغه القرن العشرين في العروبة ومن السيكولوجية
العصرية .

وإذا انصرفت ثلاث كلمات جديدة . فلأن استبدلت بعبارة العقل الباطن كلمة الكلمة
أي العقل السكين . وذلك لأن العبارة الأولى توهم الركود . أما الثانية فتعني النشاط
والترقي . وإلاهما من صفات الكلمة التي نترجم بنا وأحياناً نتعجب عنها .
والطبعة الثالثة هي الوجدان بدلاً من الوعي . لأن الأولى أصبح بعد من الثالثة .
لأن الوعي مشتق من فهم وليس له معنى غير الحفظ . ومن هنا الوجدان أي الأنا
الذي يحفظ فيه شيئاً . ولكن الوجدان مشتق من فعل وجد أي كتب تجد نفسك ؟
والكلمة الثالثة هي الكظم بدلاً من الكبت . وقد اخترتها لأنها أصبح لغة . ولأن الجمهور
يعرفها من عبارة كظم الغمظ . وقد تعجب عليها أننا نكظم ونحن على وجدان . وأن الكظم
الشيء جئت بدلاً وجدان . ولكن هذا التمييز يمكن أن نلصق إليه في التفسير
والإيضاح .

أما سائر النكات السنجابية مثل : السكور والنوروز والسترا والنورسنا
والسيكويكية وما إليها فقد أتت على ألسنها القوي الذي يعارف به جميع السنجابيين
على هذا الكوكب بهذه اختلاف لغاتهم الوطنية . ولكن علم لغة تعارف بها هؤلاء وهي
تختلف من اللغة الوطنية . ولذلك لا يصح ترجمة هذه النكات . وقد أولنا إيرادها .
ورجائي أن أضع القراء ، الذين اعلمهم واستطلاعهم وأسفر ذكاهم إلى الاستزادة .



كلمات يجب أن يعرفها القارئ

- بارانوية : مرض نفسي يهدد فيه المريض سلباً في كل شيء إلا في موضوع معين إذ يعمد بشأنه اعتقاداً غير سليم .
- باطل : عقل باطل : هو ما نسجه الآن : الحكمة : أو العقل السليم . أي تلك الأفكار والدوافع العنصرية التي لا تدرى بها ولكنها تفرغ . من حيث لا ندري . محابا ومكرها ونعم نصرفنا لأهل أقوى وأوسع من وجداننا وأدوم منه .
- توتة نفسية : الغبوتة أي الإجهاد المزمن الذي نستطيع به أن نودى إلى آخر بالشوم نسمع لنا ونخضع لأوامرنا حتى بعد أن يستقظ من هذا النوم .
- سكونائية : مرض نفسي من النوروز والسيكوز لا يفرز صاحبه من ساكن الناس ولكنه يهدو في شقوق جنسية أو إجرام أو نحو ذلك .
- سيكوز : مرض العقل حين يختل عقل المريض ويعجز عن التفكير الموضوعي للعقل . ويستسلم لحالات ذاتية .
- سيكوزية : سيكوز أي مرض بالعقل يجعل المريض على الاستسلام للتفكير الذاتي . فينفض عن العاد الموضوعي .
- عاطفة : الغريزة وقت اعتدائها .
- غريزة : دافع نفسي طبيعي يحملنا على تجنب الخطر أو طلب الأمان أو نحو ذلك .
- حكمة : العقل السليم (وهو ما كنا نسميه قبل : العقل الباطن) .
- كبت : هو ما نسجه الآن الكظم أي حبس مواطننا . وهي عندما نتعيس سكين في الحكمة وتصوب نصرفنا من حيث لا ندري .
- كظم : حبس العواطف سواء عن وجدان أم بلا وجدان . وهو في الحال الأولى أسهل في العلاج ، وهو في الحال الثانية .
- سائيا : سيكوز أي مرض متنى يجعل صاحبه على التسوؤم والاغتراف في الأغلب أو . في الآخر . على السرور والغبطة مع عقائد وخرافات ذاتية .

يوجدنا : نوب غاضق مدعو في حديق الخشب والحدائق والعرش والنعيم .
 قيود : هو مرض العائقة حين أحد اعتماداً لا نطاق وانسك أو الحروف أو الكرامة
 أو الاستسلام .

عنوسة : التورم المتدنى . أي حين أحسن أحد الناس علم النوم جيد يستمع لها
 أوامر أوامرنا ويصدقها . أي أننا نوحى إليه ما نشاء أن يفعل .

عسيري : ميكرز أي مرض عقل . يرافقه مرضي وظلني في أحد أعضاء الجسم .

مجدان : هو ما لنا تسميه قبل الآن « وعى » أي هو النظر الموضوعي المنطق ،
 مسدود الحياء .

في هذا الكتاب قد سنفذنا من كثير من الكلمات السيكلوجية ، أولاً لأننا رأينا أن
 هذا إلهاماً نقارى العادى . وثانياً لأننا نعتقد أن كثيراً منها سيزول بعد التحصيل أي عندما
 يثبت أنها وقعت في سوء مسخرات غير صحيحة .

عقل الانسان وعقل الحيوان

حين نقارن بين العقليين في الانسان والحيوان يجب ان نميز بين الحيوانات . فان الفود والسلحفاة والسمكة والجملة والاسفنج من الحيوانات . والاختلاف بينها في القوى « العقلية » من التعلم بحيث يجعل المقارنة شاذة بل مستحيلة . بل ان من الخطأ ان نقول ان الاسفنج أو الخمار عقلان إذ ليس لهما دماغ . ولكننا نجد بينهما بداية الجهاز العصبي والاعصاب .

إغزو إبرة في يد إنسان فيصرخ بعد ثانيتين .

والخمر إبرة في إسفنجة فتظل صامتة بعد عشر دقائق .

ومعنى هذا أن الاعصاب يسير بسرعة ١٠٠ ميل في الساعة في الإنسان . أما في

الاسفنج فلا يسير إلا بسرعة ثلاثة أميال ونصف ميل في الساعة .

ثما ظهر الاسفنج على كوكبنا كآلة الطبيعة مبدئية تصنع آلات بطيئة فلما وصلت إلى الإنسان بعد نحو ١٠٠٠ أو ١٠٠ مليون سنة استطاعت أن تصنع آلات سريعة . والاسفنج من أبطأ أنواع الحيوان ليست له عين أو أذن أو أنف وليس له دماغ ولذلك لا يصلح المقارنة بيننا وبينه . ولكن المقارنة بين الإنسان والقرود الشبيهة أو القرود الغوريلا معقولة فهي على أساس حسن لأن الفرق بيننا وبينهما درجي وليس نوعياً .

وأصلنا مع ذلك من الحيوان ولنا غرائز التي تعمل بمواضع تضيقها بالعقل والحيوان لا تضيقها . وامثالياتنا على جميع الحيوانات هو الدماغ الكبير الذي يستطيع ضبط عواطفه أكثر مما يستطيعه الحيوان . وليس معنى هذا أنه ليس للحيوان الرأي دماغ ، إنما معناه أن دماغنا أكبر وأنهم يسمع لمذكر الذي لا يصل إليه أرقى الحيوانات دوننا .

ويمكن أن نقول على وجه الإجمال أن أبطأ الحيوان كالاسفنج أو الخمار يقتصر نشاطه العصبي على الرجوع الانعكاسي كما يحدث لأحدنا عندما تطوف عينه . فإذا ارتقى الحيوان على ذلك أصبح نشاطه عاطفياً بغضب فيقاتل أو يحزن فيبكي كما نرى في السمك . فإذا ارتقى على ذلك صار للعقل قوة الضغط - قليلاً أو كثيراً - لهذه العواطف . وهذا الضغط على أكثره في الإنسان .

وتتبع العنصرية صورة إلى الوجود أي إلى تلك الوقفة أو الحالة التي لا نستطيع فيها تعاملنا
العضب مثلاً ، فلا نستطيع إلى سرية الحضم بل نحب ونشأن وبداي إذا قلب ونشأن ونفكر
في الحضم الكثر التي تقتضيها الحرف ، أي وحدان يؤدي إلى التفكير الذي بل هو التفكير الذي ،
وكتير من تشكيلة العنصرية جمع العنصرية كما ترى في طرفه العين عند الماء النور الساطع
محرك العنصرية عند رؤية الضياء ، وكتير من حرج عاطفي كما ترى في العضب والحزن
والاشمئزاز والفرح ، وألمس العنصرية مع ذلك هو الرجوع الانعكاسي ، والعنصرية من تشكيلة العنصرية
وحداني من حرج في مشاهد ، فترى الانعكاسات العنصرية وقد تصل إلى قرار عند عواطفنا ،
تتضمن حس عصفه قوية نحو الضياء ثم يفكر في الرجوع بها ولكنه يلقى إلى الاحجام
المتعددة العنصرية أو العنصرية .

نحو هذا على الحيوان بصفاته الخ ووفيه أعدادهم وزيادة الوجود أي زيادة التفكير ،
وتتبع هذه المتغيرات أخرى كثيرة جعلت الانسان يمتاز بداري العقلي على الحيوان
بل خصوصاً الخ وكتير ، أعدادهم ، منها مثلاً أنه اعتماداً على النظر دون السمع في التعرف
إلى الأشياء والحيوان والنبات ، وتفكيره أو بالأحرى وحداني هو وحداني الرؤية ، حتى أنها
تكون رأياً كما في كذا تحول ، يفكر تفكيراً ، ونحن نعرف الدنيا بالعين في حين
أن معظم الحيوانات تعرفها بالأنف أي السمع .

والرؤية تجتنب يوم الدنيا ، إلى حد ما ، فهنا موضوعاً متفصلاً من مواضعنا ، أما السمع
فيعتبر العنصرية - إلى حد كبير - ذاتياً ، فالأذن عند المكاتب هي مجموعة من الانعكاسات
العنصرية في سمع والنظر ، العين مثلاً تترجم لنا حادثة السمع فتكون متحركة للدنيا ، ولكن
الأذن والسم لا يوسمان حادثة سمعية للسمع ، ومن هنا كانت في سمع التفكير : الرأي ،
النظر ، السمع ، الاستطلاع ، الرؤية ، الرؤية ، الرؤية ، البصر ، السمع ، فأنها تكونت
تتبع على تفكير العين .

ونستطيع أن نرى في المقابلة بينا وبين الحيوان ، فنقول إن بعض الحيوان مثلاً حسياً ،
والعقل بوضوح ، هو وحس وبسبب يقتضي إحساسه فقط ، ونحن نحس ونسمع ونفكر ونفهم
ونستد ، وهذا أيضاً بلام حس ، لأن كثيراً من الحيوانات العليا سمعهم وتفكيرهم ، وإن
ليس دمجاً .

والهبة عندنا نحن كثيراً من العقل فليلاً بوضوح ، والحيوان مجرد من اللغة ، فلا يجد
ما يجد من رسم الصور في أذهانهما والتفاهم بالكيف من الأشياء حين تتقبل الصور ،
وتتغير الأخيرة في أذهانهما بالحدوث .

والتفكير نظيره أخرى هي الفطرة التطورية :

أحد الأنواع في النشاط العصبي هو الرجوع الانعكاسي . و برهان الخطاطة أننا نحس هذا الرجوع بلا حاجة إلى التفكير . فإن حركة القدم من التمسك أو التوازن تمت بعد قطع رأس الحيوان لأن مركز الاحساس هنا هو الحبل الشوكي داخل الفقار ، وليس الدماغ .

وأعلى من الرجوع الانعكاسي . العاطفة أي الرجوع العرزي .

وأعلى من هذين . هو الوجدان الذي يؤدي إلى العقل .

ولأمم الحيوانات . جميع الأنبياء البدائية القديمة . مثل الاسفنج . العجاسة السبوك .

وأقل منها قسما . الحيوانات العاشية : العرزية . وأجمد الحيوانات هي الوجدانية التي تتعلم ولا تتسليم للعواطف . وأعلاها هو الانسان .

وعندما نراه في نوم أو وقت التخدر بالخمر أو غمرها . فإن أفرد رجوعنا العصبي هو بالطبع أوسعها في نفسها لا يفرغ من النوم أو الخمر . وأجدها هو أشرها لزجها وزوالا في النوم أو الخمر . فنحن في هاتين الحالتين نعجز عن العمل بالوجدان . ولكن الرجوع الانعكاسي يبقى حيا كما إذا جسر أحد يدينا . فأننا نستعيد حتى ونحن نيام . إلى أحيانا العاشية تبقى حية فبعد نشاطا جنسيا في النوم . ولكن ليس هناك مكان للوجدان في النوم أو وقت التخدر .

تذكر العاطفة هو مثل الغضب والحسد والأناية والشره والكراهة . وتذكر الوجدان هو مثل الشك والحسنة والذوذة والواجب والبصر والتصرف . ونحن نمتلك العاطفة أكون منفعلا فلا أكون أفكر كما يحدث عندما أجرى من الحروف أو أكل وأنا جائع أو أشجر في غضب .

ولكن في الوجدان أوازن بين عاطفة وأخرى فأف وأبصر وأعمد على المنطق وأروي وأنته وأحلل وأؤلف .

الوجدان هو أن أفكر وأعمل وأنا أدري أني أفكر وأعمل . هو كما قال ديكارت ، قبل أكثر من . . . سنة : « أنا أفكر . ولذلك أنا موجود » .

العاطفة هي أن ألساق في رغبة أو شهوة فسر أو كائنات وأنتهي نفسي فلا أكون أفكر . الحيوان ساقط لا يدري بوجوده (— بوجدانه) وهو يفعل بعاطفة ونساق بها مضطرا أو بالاضطر في تصرفه . والتمنا مسورة في حقله تصور ذاتيا أمم العاطفة . وهو لصوير يخالف الواقع .

ولكن الانسان وجداني يدري بوجوده بعب ويتأمل ويوازن الاعيانات . واسبقا

مصورة في ذهنه بصورة موضوعية أي كما هي تقريباً في الواقع عبر سائر بالفعالية
أو سائر لليلة .

وعندما نأمل أنفسنا نجد أننا نختلف في الوجدان عما نخزن فيه في العاطفة. وهذا
الاختلاف يساوي الفرق بين المعتقد والنوم . والنوع من كثيراً من الحيوانات كاللبدان
والراحت والحشرات يعيش كما لو كان في حال النوم البشري يتساقط بفراشه وعواطفه
والله سبحانه . لأن هذا هو كل ما يملك إذ ليس له وجدان .

وحاية الفلسفة والدين وأهم أن ينطق كل منها من العاطفة والغير الذي النسبي
للدينا إلى الوجدان بالنظر الموضوعي الانشائي . ويمكن أن نقول في التجميع يندرج ما في
رحمته والسعادة وسداه من وجدان . والرجل الحكيم هو الذي يرفض السلوك العاصي
الذي ويعد إلى السلوك الموضوعي . والقياس السديد في مسألة الفلسفة هو
الوجدان . إذ على مدار الحقائق في السلوك والصرف على الوجدان بالنظر الموضوعي تكون
سلسلة . وهي قسماً بعداً من الوجدان والسبب وراء العواطف يكون النفس .

والوجدان يؤدي إلى الداء . وهو « الغريزة العائنية » التي تهيئنا على ترك إحساسنا
الحاس والتخلص من الفعاليات حتى نرى الدنيا رؤية موضوعية . أي كما هي في حقيقتها
والنفس كما تصورها لنا غريزتنا أو بؤسنا أو ضعفنا أو خولنا . أي ليس كما تصورها لنا
المعالمات . بل كذا الوجدان في البشر يكون عاطفة جديدة . لأننا بالوجدان نحن نرى
وتفهم ما ليس غائبة بل كقوية تستلهم عن أصل العالم والنجوم والحيوان والنبات وأصل
الكون وسببه ونسب الحضارة البشرية وأجزاء الذرة وبسمه الفلسفة والدين والغاية من
الوجود وأصل الفصيلة وفننه الطبيعة ونسج السند . أي الوجدان هو الذي يجعل
مخالفين نرى أن جميع بين اللوعة والنداسة ؟ أي حين يرى الطبيعة مجراء بين الباب والملك
ألمة عبوة وبطش بتقبل . بعد هو وجدانه أي بإحساسه الموضوعي إلى الدعوة إلى
حب الانبياء حتى وهو يرى بتأديهم مسطرة على المنود .

ومع ذلك هذا هو وجدان الآن في اسمي إنسان تعرفه في عصرنا . ولكننا لا نعرف
ما هو الوجدان بعد الألف من السنين .

ووجداننا كما ورثناه من الطبيعة نرى حقيق في ذاته . أي أنه الخراج جديد بمصل
ما بين وبين الحيوان . ولكنه أعظم بالتجميع والتفاند .

أنظر إلى فكرة الموت التي يعاينها البشر ولا يعرفها الحيوان . فإن هذه الفكرة الوجدانية
قد جعلت حواف مركبات : الخراج الألف وسبب الدين . والفضائل والبركات وفكرة

الحياء الفاضلة . كما أنها حررت الكثير من الصناعات والحرف . وزاد الوجدان بذلك زيادة عظيمة .

وانشأ في الحساب الزراعة التي أوجبت الحكومة وعلوم الهندسة والفن ونسقى المعارف الأخرى .

وذلك لا نفسى منه اللغة في الوجدان . و ذلك النظريات الاجتماعية التي تعد كل منها محاولة لتجميع تفهيم وجدانياً . وإذا لم نتأمل قولنا « ليس عند هذا العامل وجدان طيبى » أى إن فهمه لحالته الاقتصادية منصور على نفسه ولم يتعم إلى آلاف العمال في هذا العالم . وليس على هذا .

وعلاوة الوجدان كما نلاحظها الآن في سوء تكوينه وتصوره الماضيين أن يكون حاسة نونية لعرف بها الأشياء في هذا الكون كما هي في حقيقتها .

العقل والمخ

لأن هناك شيء في القرن التاسع عشر يسمى « علم الفراسة » وكان أكبر دعائه رجل يدعى جول وجده من الجمهور استعداداً بصدده من مذهبه . وكان جول هذا يرسم للمخ خارطة يرس فيها السمكيات ويعين للناس الخرافات ودرجات ذلالتهم . فهذا الشيء في خلف القحف . وهذا العنبر في الحبيبة . وهذه الأبعاد في الخبير وما فوق الآذن وما يلبسها من الخلف أو الأمام فخر هذا يدل على كثافات معتدة في الشخص يمكن أن تنقصها . وكانت أوروبا تتساقق إلى التفسيرات الدائمة التي تعيقها عن الغيبات . ولذلك ساءح مذهب الفراسة هذا وقت غير قصير .

ولكن البحث العلمي أثبت أن نظرية السمكيات هذه غير صحيحة أي أنها لا تستطيع أن تعين شعاعاً خاصة في شيء مثل إحداها على الصلابة والأخرى على الغموض أو الرقابة أو الفضيلة . ولكن الحرب الكبرى الأولى . بما حدث فيها من إصابات مختلفة واستعداد في المخ . أثبت شيئاً غريباً مزعماً حول . هو أن هناك مراكب معتدة في المخ تنظر أو تحرك إلى أو حتى حركة إبهام اليد أو الكلام أو غير ذلك بحيث إذا أصيب المخ في إحدى هذه الشخات صدم الصواب عن الكلام أو من تحريك الإبهام أو عن الرقابة .

وأكثر من هذا . إذ ثبت أن المركز الحسي في المخ يتبع على السواء في فصل نمرات حسية أخرى عن طريق الملايين من خلايا المخ التي تفصل بين مركز حسى وآخر . وفي هذه الظاهرة التي ذات بألوان في هؤلاء الجرحى في الحرب . فإن الأصالة الحسية قد تعجز أحياناً عن الفراسة ولكنها لا تعجز عن الكتابة . لأن المركز الحسي للسان جرح ولكن المركز الحسي لليد والأيمن لا يخرج . فهو يكتب ولا يقرأ . ولكن الاتصال هذه المراكز الحسية بعضها ببعض يجعل الفهم مضموناً لأن ما للفهم خاصة لا يزال دائماً بالمرأى كذا الحسية الأخرى .

ومن هنا فمخ كبير . أو بحجم أصح . لمخ الذي تكبر خلالده . لأنه مثلاً كبير الدلائل . لأن هذه الخلايا تربط بين الأحاسيس المختلفة وتجعل التذكر دائماً على جملة

قواعد. إذا فسدت واحدة بقيت الأخرى. ومن هنا أيضاً نفهم أن التذكير يحتاج ، كي يكون واضحاً ، إلى أن يربطه بجملته بجمع حسنة ، فإذا أردنا أن نحفظ قصيدة ، كان حفظها أوسع ، إذا نحن نلونها بصوت عال نسمعه (= بقعة السمع) وإذا كتبناها (بقعة اللمس باليد والأيهام) ويزيد على هذين يولد الحروف (= بقعة النظر) . فهذه البقع الثلاث ترتبط بالذاكرة فلا تنسى ما حفظنا . ويكون حفظنا أضعف إذا حفظناها من شخص نلونها بعده . لأننا هنا تفقد رابطي النظر واللمس ، وأقل ضعفاً إذا لم نكتبها لأن الكتابة تزيد رابط اللمس باليد والأيهام .

وبالمخ يتلاقى من الخلايا التي تتصل بالتركز الحسية ، ولذلك يثبت إذا تركز جزءاً منه أن نجد أن الشخص قد عجز عن التفرع وهو لا يحس أى نقص في ذلك . لأن الشبكة التي قطع جزء منها بالتفرع لا تشطع بل ما زالت متصلة بتلايين الخلايا إلى التركز الحسية . وأحياناً يؤدي التفرع إلى فقدان مهارة صغيرة معينة . ولكن الذكاء العام لا يفقد . وبمفسر هذا أن المهارة الصغيرة معينة مثل الخطاطة أو الكتابة أو الرسم أو تركيب البسككت كانت تستعمل مركزاً حسياً معيناً . فلما تلف هذا المركز فقدنا المهارة التي كانت متعلقة عليه . ولكن المخ بتلايين الخلايا التي فيه ، يضره هذا فقدان . فالذكاء العام لا يزال كما هو . ومن هنا نعلم المخ الكبير . لأنه في الأغلب يحوى تلافيف كثيرة تزيد المساحة التي تشغولها الخلايا فيزيد الذكاء . ولكن ضخامة الرأس ليست مقياساً مؤكداً لصحة . لأن الرأس الكبير قد يعود إلى كثافة النخاع العظمي ، وقد تكون ضخامة في المخ مع قلة في التلافيف . على أننا يجب ألا ننسى أن للحيوانات خمسون بوهوس صغيرة وأحياناً صغيرة جداً . وهو حسب التطور العام من الحيوانات الدنيا إلى الإنسان يحميها على الاعتقاد بأن زيادة الذكاء قد رافقت زيادة المخ . لأن الإنسان أكبر الأحياء حجماً من حيث المقدار النقي . ولكن هناك الإنسان النياندرتالي الذي القوام ومخه يدل على أن مخه كان أكبر من هذا . فإن فعنه كان يبلغ في حجمه ١٧٠٠ سنتيمتر مكعب . أما نحن فلا تزيد على ١٣٠٠ سنتيمتر مكعب . ومن العجيب أن تشغل نحن على هذا الإنسان مع ذلك هذا . وربما يكون التعليل الصحيح أنه لشخص عضوي لا يستطيع الكلام ، واللغة تزيد الذكاء أو تجعله بالأحرى أداة للخدمة فإذا كان قد حرم منها فإن ذكائه لا ينفعه .

وبالمخ طبقات أسفله يقوم بأبسط الأعمال الغريزية وأعمالها ، وهو المخ ، يقوم بالوجدان وما به من التذكر والتفكير . وقد نزع جوانب مخ كاسية . فتكثرت العواطف لا تزال حية فيه يجب ويكره ويعطش ويشتهي الجنس الآخر . ولكن التعبير عن هذه العواطف أصبح

مليئة بل مازدا ليس له تحابط . فاذا حفظ ذهابه على أفق نبح نباحاً عالياً . وإذا نبح
من مكانه كي نأكل نبح أيضاً مع أن هذا النبح كان يجري كل يوم . ومن هنا نفهم أن النعم
تحدث بطريق النبح . وأن النبح أيضاً هو مكان الوجدان الذي يضبط العواطف .

فلما إن شخصاً النبح تعمل . في ضوء المنظر . على زيادة الذكاء . ولكن ليس هناك
برهان حاسم جازم على هذا الرأي . وربما يكون للذكاء أصل في توزع الشرايين ودهونها
في خلايا النبح . أي أن القدرة على الذكاء تحتاج إلى تسكة من الشرايين الصغيرة العديدة
التي تغذي النبح بالدماغ . فاذا كانت هذه الشبكة حسنة التظلم فذلك النبح وزادت القدرة على
التفكير . والعكس يحدث العكس .

الفرائز والمواطف

كلمة « غريزة » من الكلمات الغامضة . وقد أدى غموضها إلى أن كثيرا من من
السيكولوجيين تجنبوها . فإن أي إنسان يستطيع أن يقول إن الشيء غريزة وأنه متى أتم
الطفل عاماً شرع ينشئ متصباً على قاعدته . ولكن هناك حادث الصبيان اللذين
الذين خطفهما ذئبة فأنهما جتا إلى ما نعه العاشرة وعما تجربان كالتأنيب على أربع . وليس لفلان
في لحظة معينة في القبل وتحويلان . وقد أخذت عندهما حاسة الشم دون سائر الحواس .
وأما ما يقع فيه الفكر العلمي أن يتناول كلمة بالولادة لها ملائمة مختلفة مثل عقل وروح
ونفس وغريزة فيستعملها ليعاني علمية محدودة لا تتفق مع ملائمتها القديمة وما تراه علمياً
من أعيان أو زعماء تقليدية وعقائدية . والعلميون الأوروبيون يقطعون على هذه الكلمات ويعملون
إلى اللاتينية أو اللاتينية القديمة فيستعملون منها كلمات تؤدي المعنى الجديدة بدون العناية .
والاختلاف بشأن الغريزة كبير فإن هناك من الحركة أو النشاط مالا يستطيع
الحكم الحاسم فيه هل هو غريزة وراثية أم عمل اكتسابي . فقد فرض على رجل كان يعيش
في الغابات في أمريكا فكان يأكل أطمعنا الأولى ماذا كانت جامدة . أما الأفعى السمعة
فكان يسمونها منها ويصدر . كما لو كان يكرهها بغريزته . مع أن الواقع أن بيعة الغابة هي
التي جعلته يكره النمل . كما أن الفئتين المختلفتين لم تسع كل منهما على أربع غريزة
موروثة ولكن لتربية معينة في وسط الذئب .

ولكن هناك من النشاط مالا يستطيع أن نعزوه إلى تربية أو تعليم أو محاكاة فنظر أنه
غريزة موروثة . كالطفل الوضع يفر إذا فوجئ بصرخة أو يبكى ويخاف إذا حرك جسمه
حيث يغطي السقوط . كذلك هو يرمع بغريزته . ولعاب الصغار والكبار يجري وبه الجوع
بحركة العكسية عند رؤية الطعام . والتأنيب ينتقل إلى النساء بغريزته . وفي جميع هذه
الانفعالات أو أشغالها لا يعرف الطفل أو الصبي بل حتى الشاب أحياناً الغاية من هذه الدوافع .
ومن أمثلة الأشياء أن تعرف الغريزة . وقصاري ما نقول فيها إنها مركزة بؤري تستعمل
منه نشاط نفسي . وأن الغريزة حين تستخدم أو تلهب لتسبب عاطفة أو انفعالا . فغريزة

التسلق دائمة في كل إنسان ولكنها حين عنده السمع العاطفة الجنبسة . وإن ذكر إلى جنبها
مواضع الغضب والسرور والجمال والخوف .

ولستطيع أن أقول أن الغرائز دوافع حيوانية فليكن لا تزال دائمة في كائناتنا النفس كبقاء
الحية والأشجار والسمك في كائناتنا الجسمي . وأنها - أجهده - يولد بها سرعة العمق
بلا شك . ونوجد الشخص غير السائمة في بيئة وحشة .

وهذا من يقول إن الغريزة حركة العكسة بسيطة أو مركبة . فهي بسيطة حين
نعكس العين لمحاكاة الضوء لنا . وهي مركبة حين تحب من العدو أو تبتلع الحروف أو
تبنى المنزل . وجميع نشاطات الدفني أو النفسي تعود في النهاية إلى محموعة الغرائز التي
حيويها النفس . وقد تكون هذه الغرائز أربعة أو عشرة أو عشرين . ولكن أغلب الظن
أنه أقل من ذلك . وأن كثيراً ما يسهل مكموجال غرائز بيولوجية إنما هو مركبات نفسية
أصعب على التحس من ثلاث أو أربع غرائز أصدية . كما أنه ليس شك أيضاً في أن كثيراً
ما ننسبه لنشاط غريزي إنما هو في الواقع نشاط اجتماعي . وقد يجب أن نذكر في أنواعا
من النشاط جسمي مكموجال غرائز وهي :

١ - غريزة الأبوة	تؤدي إلى	حماية الصغير والصغير والاعماله
٢ - الجنس	" "	الغائلة والتزاوج
٣ - القضاء	" "	التجوال والمطاردة
٤ - الخوف	" "	الهروب والتجبد
٥ - الجمال	" "	المجوم والتدبير
٦ - غيرة	" "	صع الأبناء وإقامة بيت
٧ - الاستطلاع	" "	الاكتشاف والتنعم والاستفهام
٨ - الاستنزاف	" "	التجنب والبصق الخ
٩ - الامتلاك	" "	الجمع والأشجار بحساسة العطار
١٠ - الاستعانة	" "	الصراخ والنداء والبقاء
١١ - الاجتماع	" "	الرحبة في البقاء في مجتمع
١٢ - الاعلان	" "	القيادة والمناقشة والعرض
١٣ - الخضوع	" "	الاحترام والخشوع والانعزال
١٤ - الضحك	" "	الضحك

ولكن نشاهد أن أدنى الحيوانات كالاسفنج يعتمد على رجع الانعكاسى بسيط . ثم نجد السلوك الغريزى العام فى الحشرات . وأرقى الحيوانات وهو الإنسان يعتمد فى سلوكه على أسس فقط من الغرائز ولكنه بنى عليها وبنحتها بعقله . والوجدان الذى يحدث التعقل به يكون فى النهاية مودعاً بين الغرائز أو تنقيحها أو مداورة لها . وهذا التنقيح فى الغرائز موجود فى الإنسان أكثر مما يوجد فى سائر الحيوانات العليا كالحيوانات .

والرجع الانعكاسى . مثل الغماض العين لمناجاة الضوء . ومثل تحريك اللسان عند رؤية الطعام . هو أبسط النشاط العصبى . وقد لا يختلف هذا الرجوع فى النهاية عن اتجاه الجذور فى الشجرة نحو الرطوبة . أو اتجاه الورق نحو الضوء . أو اتجاه الفراشة نحو المصباح . وعند البعوض الروسى أن جميع نشاطنا إنما هو رجوع انعكاسية مكيفة أى معدولة عن أصلها . فإن أعانى بتحريك وقت الجوع عند رؤية الطعام . فمن هذه الحركة الانعكاسية الحيوانية الساذجة نشأ فى الظهى والحزف وكرم الضيافة والتصدق . ومن الرجوع الانعكاسية الأبدية أو بالأحرى الأبدية نحو الطفل نشأت الرحمة وكراهة القسوة بل كراهة استيلاء الإنجليز على الهند . ومن الرجوع الجينسى نشأت العائلة وقن البناء للبيوت وغيرها من النظم الاجتماعية التى تحمى الممتلكات .

وتجوزى العاطفة فى كلياتنا النفسى على النسق التالى :

معرفة ثم عاطفة ثم حركة .

مثال ذلك ألى فاعد أقرأ فى مكتبى :

١ - فاسمع حركة كأنها خشخشة فأر = معرفة .

٢ - يعزرنى تلقى وتوحسى = عاطفة أى انفعال .

٣ - أحب وأستطع = حركة .

وعدا هو الشأن فى العواطف . ولكن يعبه ألا ننسى أن العاطفة والحركة تسيران معاً فى تصرفنا ولا نكاد نستطيع الفصل بينهما . والعواطف على ما تبدو لنا من السكون إنما هى حركات . لأننى أحس سرعة الدق فى القلب حتى وأنا متجهد قاعده عند الضيق . والفرق بين حركة القلب (= عاطفة) وحركة القدمين (= نهوض وبحث واستطلاع) ليس كبيراً .

ولكن نتحرك فى هذه الدنيا بعواطفنا أى تسعى للعيش ونجد التحديق الطمأنينة ونزوج

ونقضى العقار ونؤيد النظم الاجتماعية ونطلب العدل ونجهد الظلم لأننا نستند إلى أربع
أو خمس عرائز أصدية كبريت وحمل بها عن أسديها وتربيت إلى مئات من المواقف الاجتماعية .
لقد ألقه إني مكتبي كي أولف كتاباً عن الدين أو الفلسفة . فما هي العاطفة التي تدعني إلى
هذا الجهد ؟ وما هي الغريزة الأساسية التي ترجع إليها هذه العاطفة ؟

أنا أعلم بأن الطفل الرضيع يغشى السطوح بحرارة . ومعنى هذا أنه يجب أن ينضم
إلى مكانة أي منه . ونحن الكبار نعسى بهذه الغريزة أيضاً ونسوحى الطمأنينة . وإنما مهدنا
هو الدور أو حتى النكون . والجهد الذي أبذله في إيضاح الفلسفة أو الدين إنما هو
عاطفة الخوف بمعنى على أن أشهد الديمقراطية النسيئة أو الدهرية على مسرح عالمي أو كوني .
والطبع قد استبكت مع هذه العاطفة جملة عواطف أخرى . منها الرغبة في التمدد الاجتماعي
الشخصي والكسب المادي من بيع الكتاب والانتصار على الخصوم الذين لا يوافقوني على
النسقي . ولكن البؤرة الأصلية هي الرغبة في الطمأنينة .

والسلفه هي القوة الموطورة لنفس البشرية . وهي التي تلبث على الجهد والتدبر .
ومن هنا نعيم كنف بسبل عمدنا تعلم الطفل الحساب بالبنود . نسلمه القروش والملايات
ولجعل بشري ويزر بين الحلويات والسلويات التي تشبها . فانه لا يمتضى عليه أيام حتى
يصدق غير قليل من الجمع والطرح لا يجدي عشرهما إذا تعلم بأرقام مجردة على الورق .
ومن هنا سعادة الجندي البريطاني يدافع عن الامبراطورية البريطانية ونور الجندي الهندي
في دفاعه عنها . ومن هنا الشعب يحسه العنسل عند الساعة السادسة مساء بعد مجهود النهار
ثم تساطع في هذه اللحظة بالذات عندما يعرض عليه العمل ساعة أخرى بأجر ساعة ونصف .
ومن هنا أيضاً هذا المجهود العظيم الذي تبذله الأم في الاستمالة أربع مرات لأرضاع طفلها
في الليل بل السير عليه طوال الليل إذا كان مريضاً دون أن تحس إعياء يذكر . فحق في
هذه الحالات أحدثنا قوة موطورة (عاطفة) تحرك النشاط الذهني والجسمي سواء في الطفل
بالحموى أو في الأم بالقلق على ابنها أو في الجندي بوطنيته أو في العامل بالكسب الزائد .
نحن نتحرك في هذه الدنيا بالعواطف التي ترجع إلى غريزة واحدة أو إلى بضعة عرائز
في منها مركز يوزي يتشعب منه النشاط النفسي أو الذهني أو الجسمي .

الغريزة الأصلية

ماهى الغريزة الأصلية التى تتحرك بها إلى النشاط والعمل والنشال والسكاف ؟ أى
ماهى البؤرة المظلمة التى يشع منها نشاطها فى مختلف لواحد ؟ أى ماهى العاطفة أو
العواطف التى تجعل ألبا على الحرب كما تجعل حزب المحافظين فى بريطانيا على كراعه
الاشتراكيين كما تجعل الرجعيين على كراعه الحرة فى مصر كما تجعل الكاسب الضعيف
على البذاءة والسبب كما تجعل العمال على الأنراب كما تجعل كافة الناس على جمع المال
كما تجعل التلميذ على الدراسة ؟ وأخيراً ماهى العاطفة التى تجعل المحبون على السدوى بأنه
مك فيستقر مراقباً إلى هذه الدعوى ؟

هل هناك غريزة واحدة أو جملة غرائز تحرك فيها عواطف تبعثنا على بذل الجهد
الجسمي والذهني والنفسي الذى نعيش به ؟

كان فرويد يعزو إلى الغريزة الجنسية جميع ألوان النشاط البشري وكان يقوم فى
معنى هذه الغريزة حتى كان يراها فى الطفل وهو يرفع أمه بافطاح كما كان يراها فى النشاط
الجنسى الذى تنوع به الجبال . ولا يستطيع أحد يعرف حقيقة التطور أن ينكر قيمة الغريزة
الجنسية . وحسبك نظرة عاجلة إلى ذكورية من الحيوان يقاتلان على أنثى كى لوى شجرة
العاطفة الجنسية . كما أن آلاف الفصص الشائعة بشأن الحب تبين لنا مقدار الجهود
الذى تبذلها هذه العاطفة فى النفس البشرية .

وكان فرويد يعتقد أن كظم العاطفة الجنسية هو الذى يؤدي إلى جميع حالات الجنون .
لأن هذا الكظم يستد الحاجة الأصلية للعاطفة فتحال لبروز بأشكال شاذة وتخرج من هذا
متسبب ومن هناك منفجرة .

وكان أدلر يعتقد أن غريزة السيطر أو الرغبة فى السيطرة جميع ألوانها كانتنوع أو
البروز المائل أو الاجتماعى أو الجنسي والرغبة فى التقدير من الأقران ونحو ذلك . وهذه
الغريزة هى الأصل للنشاط النفسى كله . وأن هذه الغريزة أو غريزتها هما السبب
لجميع الأمراض والشذوذات النفسية .

وتنزع بعض في مجتمع يفرس فيها عادات نفسية وذخيرة تجعلنا نحظى " التفسير لكثير من دوافعنا " (عواطفنا) التي قد تكون أحياناً اجتماعية. ولكننا ، لأن لها حرية كبيرة أو تمارسات مكررة ، تحسبها طبيعة . ثم هناك أيضاً من انظم الاجتماعية ما يجربنا من تمارس نشاط نفسي معين أو يجعل هذه الممارسة شاقة فتجد أثر هذا الحرمان في صعوبات نفسية مختلفة فبرزت فيه هذا النشاط في وجداننا أكثر مما كان يجب . ففي عصر فرويد مثلاً ، حين انخفض نظريته عن المكانة العظمى للفرقة الجنسية ، كان النحط الجنسي عادياً في جميع الأمم تقريباً . وكان كثير من الأمراض النفسية يعزى إليه ويعالج في ضوءه . ولكننا لا نجد هذا النحط الجنسي الآن في الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً . ومع ذلك نجد الأمراض النفسية على أشدها وأخطرها .

وقد حدثت في أوقات حربان قتل فيها نحو ٣ مليون إنسان . وظهرت فيها آلاف الأمراض النفسية التي لا ترجع إلى أسباب جنسية . ثم ظهرت أيضاً وبنت وزادت هذه الأمة الروسية التي جعلت مبدأ البشارة في العيش واعتمدت على مبدأ التعاون . وكان من أعظم ما انتقلت إليه السيخوسون في هذا المجتمع الجديد خلوه تقريباً من الأمراض النفسية . والنظام القائم في روسيا يحول دون السيطرة أو التسلط أو البروز أو الضيق . وإذن أين أدلة الذي يقول إن غريزة التسلط هي أقوى غرائزنا وأنها بؤرة النشاط التي يشتعل منها سائر دوافعنا الخفية ؟

الحق أن كلا من فرويد وأدлер كان فضيحة العصر الذي عاش فيه . هذا العصر الذي حفل بالماراة الفائرة التي كانت تبعث كل إنسان على توخي الضمائية بالتفوق والتسلط كما كان محققاً بالنحط الجنسي الذي حرم كثيراً من الفئات والشباب من الزواج . وحسباً أن ترجع في تفسير البؤرة الأصلية للنشاط البشري إلى الطفل في أيامه وشهوره الأولى . قالت نجد فيه غريزة لم يتعلها هي خوفه من السقوط أي رغبته في الاطمئنان على حياته . فلم لا تكون الضمائية هي الغريزة الأصلية لجميع ألوان نشاطنا مهما اختلفت هذه الألوان . بل إن الاعتماد على هذا التفسير يوضح لنا في بيان قاصع مواقف فرويد وموقف أدлер .

لبحث يكون القلق والاضطراب والخوف والتوجس من المستقبل يكون البعد عن الضمائية . فيحس أحدها كما لو كان طفلًا على وشك السقوط . وقد يتخذ هذا القلق صوراً مختلفة تتلون بألوان المجتمع الذي يعيش فيه كل منا .

ففي مجتمع متأخر فيه من الزواج وتكثر العوانس ويبدو المستقبل قائماً لكثير من

الفتيات يعم الخوف كيانهن . ويعود هذا الخوف كأنه كل شيء في حياتهن وتبدو العاطفة الجنسية كأنها بؤرة النشاط النفسي . ويجب أن تكون كذلك في مثل هذا الوسط . وهنا تفسير السكولوجية الفرويدية .

وفي مجتمع نعم فيه الباراة في الكسب كما يعم الفقر ويحدث التعطل وما يجلبه من تعاسة وحرمان وفاقة يتجه النشاط نحو التفوق والنسل . والخوف من السقوط في هذه الباراة يكون هنا دائماً لا يقطع . وهنا تفسير السكولوجية الأدلرية .

بؤرة النشاط البشري كما هي الخوف ، خوف الطفل من السقوط من المهد . ثم خوف كل إنسان بعد ذلك من الفقر والحرمان في المجتمع . وخوف الفتاة من أن تعيش عانساً . وخوف الجندي من القتل أو الطيار من السقوط . وخوف التلميذ من الرسوب . وخوف التاجر من الخسارة التي تحرمه من وسيلة العيش . وخوف المليونير من أن يذهب كل ما لديه . وخوف المالك من أن يذهب كل ما يملك . وخوف المالك من أن يذهب كل ما يملك . وخوف المالك من أن يذهب كل ما يملك .

فالخوف هو المحرك الأصلي وهو الذي يبعث على الشجاعة والمخاضة بل والانتصاف والتدبر والحكمة . ولكن إذا زاد هذا الخوف ولم يجد له علاجاً مرضنا ولو بالكابوس في النوم أو بالخرافات أخرى بسيطة أو خطيرة . وحيث يقل الخوف وتعم الضآئفة تصبح الأمراض النفسية معدومة أو كالمعدومة . وهذا هو ما حدث في روسيا حيث ألغيت الباراة وصار جميع السكان كالمساويين في الكسب والكرامة . ولم يعد هناك كظم للخوف من الفقر أو المرض أو السقوط الاجتماعي أو البقاء في عزوبة دائمة ، بل لم يعد هناك خوف من ضاع الثروة إذ ليس لأحد ثروة مكتوزة . وليست هناك بورصة للأوراق المالية التي ترتفع وتنخفض ويرتفع في أثرها ضغط الدم وينخفض وتحدث الوفيات من القطة والسكنة . كما تؤدي الصدمات إلى البول السكري .

فالغريزة الأصلية التي تعبرنا نحن وجميع الحيوانات إلى النشاط هي الخوف . ومازنا بالخنازير ، حيوانات مثل أسلافنا تعيش على الأشجار وتعلق بالعصون وتخشى السقوط . ومازنا بخشى الغول والعفريت في الغابة .

أعتبر هذه الحادثة التالية الواقعة :

زوجة صربية في نحو الخامسة والثلاثين تحب زوجها . وهو صانع متيسر يكسب ، ويقضي بعض أسببته على القهوة . وهو ثوار لا يحفظ . وكانت هذه الزوجة خيفة في جميع يقدر الجسامة والنداسة . وكان زوجها يتحدث من وقت لآخر عن هذه المرأة السيئة وهذه

الأخرى الحسنة . فحلت لغار . والغيرة كالحم خوف سرده . وكانت هذه الغيرة تبعثها على التجمل وتصلها على الباطح الوصفات البلدية لكي تسمن . ولكنها لا تسمن . فصارت الغيرة خوفاً وقلقاً . ولا ترعاجاً ولا تعبد متناً فكفمت . ففي ذات مساء دخل الزوج . واقترب منها قائلاً لها انصرح وتستغيث بالخبران . فلما اعتصموا زمت أن هذا الزوج يطلب منها مجلدة ورجلاً . مع أن لها منه ثلاثة أولاد .

والتفسير أن عجزها عن أن تسمن . وخوفها من أن يتزوج زوجها امرأة أخرى مميته وانسداد المستقر في وجهها حمل عليها الكمين على أن تلجأ إلى آكلوية ترواح إليها وتطمئن إليها في الدنيا وهي أنها « كويلة » أي تديسة لا تحتاج إلى الأزواج (بعد العيب حصرم) وأنها مستغنية عن زوجها الذي يطلب منها رجلاً . وأبست بعد ذلك ثياباً بصلاب نواب الأوشاء والتقديرين . ثم انتهت إلى المستشفى . أي أن نفسها النقة انحالت بأسطوره لكي تصل إلى السلامة والصفاء المتين . فوجدتها في الحنية الواقعة .

إذا كانت الفرقة الأصلية هي الخوف فإن لها نغمة إيجابية في الإنسان . هي أننا في مجتمع الدائل بالخوف والقلق نشبه القوة والوجاعة . فنجمع المال والراب العاليه . وأحياناً نمسك في طلب القوة ونموت . لأننا نسي مشاي أن المال وسيدة للطائفة الاقتصادية فقد لمجهدي صعه حتى نمرض أو نصل إلى الضمائية السوداء منكم لا تكف عن صعه . وأحياناً نبدل هذا المال لنصول على وجاعه زائفة .

وأحياناً نسيطر على عاطفة القوة أو الوجاعة أو الكرامة الاجتماعية بحيث نشبهنا حتى شبهاتنا البدائية . أنظر إلى الطفل حين تشتري له الشكولاتة . فإنه يجلس شهوته إليها ولعابه الجارى ويصطف بها حتى يصل إلى البيت لمعرضها في كبرياءه على إخوته ثم يأتوا . وهنا نرى هذا الطفل في جسمنا نحسب أن تقني كي نتأخر وتباهي قبل أن نستمتع ما افنتينا أو قد لا نستمتع به . لأن المد المفخرة والمباعدة تبعد عنا الخوف وتلعبنا بالقوة . وحسبنا هذا .

الجسم يؤثر في العقل

السيكولوجية هي علم السلوك البشري أى كيف يستك الانسان في مجتمعاته المختلفة ؟ وكيف تنبعث إلى النشاط وماذا يجعله يلتزم في عمله ؟ وماذا يحب أو يكره ؟ وكيف يكون إنساناً سوياً وماذا يشذ أحياناً ؟ وماهى بواعث الاجرام أو الجنون ؟ ثم ما هو الذكاء والمعرفة أو البلاءة والغفلة ؟ وكيف يتصرف النصف الحسن أو النصف السيئ ؟ وكيف يتكون عقله وينضج ؟ وكيف تتكون نفسه وتنضج ؟ وكيف تتكون شخصيته وتنضج ؟ وشخصية الانسان ونفسه وعقله هي ثمرة وراثته البيولوجية أى ما ورثه منذ ملايين السنين كما هي ثمرة بيئته الاجتماعية التى نشأ وتعلم وتعود فيها عاداته واتخذ فيها افئفنة . وهذا الموروث البيولوجى الذى نستطيع تغييره . فالخ الصغير الذى يولد بلا فية لا نستطيع تغييره إلى مخ كبير كثير التلافيف . والشخصية الانطوائية تعجز عن إعطائها إلى شخصية انبساطية . والبقية الجسمية بأعضائها الداخلة تؤثر في المخ وتؤدى إلى ميزان أو مساوى نفسية . فمن المعروف مثلاً أن كلا منا يحمل عناصر نسوية كما يدل على هذا الثديان في صدره ووجود رحم صغير في أسفل بطنه . وليس في هذا ضرر . ولكن ماذا يحدث إذا زادت هذه العناصر على المألوف ؟ وكذلك الشأن في كل امرأة . إذ هى تحمل عناصر رجليه إذا زادت فيها اختلت شخصيتها . وعندما يتقطع الحيض نهائياً حوالى سن ٤٨ أو ٤٩ تبدو هذه العناصر وتزداد وضوحاً بمرور السنين حتى أن بعض النساء يصبحن في سن الستين أو السبعين إلى خلق شواربين كالرجال .

وتأثير الجسم في العقل يعود إلى هورمونات الغدد الصماء أى إفرازات تلك الأجسام الصغيرة التى تفرز سوائها في الدم مباشرة وليست لها قنوات تحمل هذه السوائل . وأهم هذه الغدد التى تفرز للرجل رجولته هي الخصيتان . فانه إلى جنب إفرازهما القنوي (أى المنى للتناسل) نجد إفرازاً آخر يدخل الدم مباشرة وهو الذى يكون مظاهر رجولتنا مثل الحية والشوارب وغلظ الصوت وغطاة الأظفار . ثم مع هذا حيوية الرجل وخفته وأندامه . ومثل هذا يقال بشأن البيضين في المرأة في إكسابها صفات النساء العضوية والمزاجية .

وأذكر كيف أن الخصيان الذين تقطع خصامهم يتخذون هيئة النساء . وكيف أن المرأة عند نضج الخيض بعد الخمسين تعود فتتخذ شيئاً من هيئة الرجال ومزاجهم . وهناك غدة أخرى مثل الغدة الدرقية في العنق . وهما اللتان إلى يمين فصبة العنق ويسارها . ونشفي الانزلاق منها يؤدي إلى تعطل الخو أو وقفه وإلى حصول الذهان أو الغفلة . وهما يزودان الجسم بقوة الثابرة على الجهد .

ثم هناك الغدتان الأدريناليتان فوق الكليتين . وهما تزود الجسم بالانبعاثات الفجائية وقت الغضب أو الخوف . ولدت تصل هذه الغدة إلى أكبر حجم في الأسد وسائر عائلته من البيرة والثور والقط لأنها تحتاج إلى حشد قوتها للولوب . وكذلك تكبر في الحيوانات التي تحتاج إلى الفرار السريع كالغزلان والثيران . لقدتنا الدرقية أكبر من غدة الأسد . ولكن الغدة الأدرينالية عنده أكبر مما هي عندها . والنتيجة أن الأسد حيوان الولوب الانفجاري والحرب الخائفة . أما الإنسان حيوان الثابرة والصبر على الشاق .

والنظر إلى الفأر والفيل . فكلاهما حيوان لين . ولكن حياة الفيل عادة مستقرة ولذلك فإن الغدة الدرقية عنده تكاد تساوي الغدة الأدرينالية . أما الفأر فيعيش في حرب خائفة شب وبشر . ولذلك فإن الغدة الأدرينالية عنده تزيد بمقدار تسعة أضعاف الغدة الدرقية . ويوضح هذا في دقائق الطلب في كل منهما . فبقي في الدقيقة ٨ عند الفيل و ٠.٠٥ عند الفأر . ونحن نذكر هذه الحيوانات لكي نقول إنه إذا زاد إفراز الغدة الأدرينالية في الإنسان زادت دقات قلبه فكان سريع الغضب متفزعاً سريع الاجتال .

ثم هناك الغدة النخامية وهي في أسفل المخ ، وتأثيرها كبير جداً في تكوين الشخصية حتى أن بعضهم سماها « رئيسة الحيوية الغددية » لأنها تؤثر في سائر الغدد وتعين الخلق العام للسلوك .

وهناك أنواع من النفس الذهني الذي ينشأ من نقص في الغدد . وأحياناً تمكن معالجته بأن يعطى الجسم بالمرزبات التي تحضر من أجسام ، أي غدد الحيوانات . وكنا نعرف أنه حينما فترة في حياتنا أحوال من ٥ : ١ نحس فيها بظورة جنسية تقارب الجنون وهي توجع في الأغلب إلى وفرة الإفراز الجنسي . ولكن هذا الميدان لا يزال إلى الآن بكراً ويستقبل أكبر من حائله .

ونستطيع أن نرتب الناس بحسب أمزجتهم . فنقول المزاج الأدرينالي للشخص الانفجاري المتفزع الذي يتأثر بالتزوة والانفلاق . ونقول المزاج الدرقي للشخص الصبور المتجمل المتأثر . ونقول المزاج النخامي — على قلة معرفتنا هنا — للشخص الذكي المتزن .

ومن هنا يرى الفارسي أننا لا نعصر في هذه الدنيا بالعقل فقط بل بكل الجسم . فان حالة الدم ودرجة الحرارة ومعدل الفيتامينات وهورمونات (= إفرازات) الغذاء الصماء والامنة الحواس والنخ . كل هذا يؤثر في تفكيرنا وسلوكنا . والسيكولوجة هي هذا السبب « علم النفس » أي أنه يدخل في اعتبارها كل هذه الأشياء وليس العقل وحده . وفي مصر العظيمة المسكنة حيث يعيش أحد الناس بألف أو مئة جنيه في اليوم ويعيش آخر بثلاثة فروع يتنسى بين الفقراء مرضي البلاجرا الذي ينشأ من نقص غذائي فيتاميني يؤدي إلى بلاغة ترى في كثير من الفلاحين الفقراء .

وسرى في فصل فادم أن شكل الجسم يؤثر في الاتجاه الذهني : فالشخص النحيل ، طويل الوجه (= الأطول) يختلف من الشخص السمين التكتل القصير الذي يستدير وجهه (= الانبساطي) من حيث الاتجاهات الذهنية والزاج والتصرف .

العقل يؤثر في الجسم

في سنوات الحرب الماضية كنا نجد في القاهرة وقت الغارة أن ميضانات المراحض يتكرر سماعها . لأن الخوف من قتلى الطائرات كان يؤثر في الأمعاء ويحركها على غير المعتاد . ولما سمعنا عن بعض الناس ينجأون بنهر مزعج فيولون . وأكثر من ذلك . فقد يؤثر الجبر الزعج في أحد الناس فسوت بسكة القلب أو يولف في النع . وأحياناً تؤدي السكرية إلى مرض البول السكري . فإلام نسمع عن حادثاة وقعت لأختي . أو المالى يلفد خبر السقوط العظيم في فرطسه المالة بالبروصة . أو نحو ذلك . تؤدي الصدمة إلى إصابة بالبول السكري . وأحياناً يأتو بعدة تصدع عن الطعام . فإلام زاد التأثير حدث التهاب في الأمعاء فتنبؤ عظاماً ودماً ثم سيده حدثاً . التعنة . وقد حدث قرحة بالمعدة أو يلقب أجلة . ثم يسمى « أورسكيا » .

والحم هو في التعبير السكوجي « خوف متكرر » يتأولنا من وقت لوقت . وهو حدث هذه الأعراض التي ذكرنا أو أحدها . وقد زادت وفيات السكة في ألمانيا . وليس لها من سبب في الأغلب إلا زيادة المصوم لأن تكاليف الحياة المادية والمعنوية قد زادت إلى حد لا يطاق . فبحر تفكر في مخولنا ولجئها وتناق فيؤثر كل هذا في أحاسينا : في القلب والشرامين والبنكرياس والأمعاء وربما في أكثر من ذلك . أى أن العقل يؤثر في الجسم . وقد كان أباننا يعملون فاعين وكان طموحهم « قروباً » لا يكتفيهم كثيراً من الجهة فكانت همومهم معدلة . أما نحن فنسرف في الضووع وتعلق بالنجوم . فهومنا كثيرة التكالف والأعباء التي نمر عن حملها .

وليس منا من لا يعرف أن ذوات القلب تسرع ويم القصب أو الإزعاج أو أن العرق يصيب . وقت الضجل أو الخوف . والخطيب يحس جفافاً في حلقه ليطلب الماء . ووقت الانطراب تسرع الناسا وتصغر وجوهنا وأحياناً يلقي علينا من الخوف . بل أحياناً تنجسد كما حدث في السكوبس .

كل هذه الأعراض متأولة واضحة . ولكن هناك أعراضاً أخرى للتأثير العقل في الجسم

حتى علينا . بشأن ذلك شاب يعمل كاتباً في إحدى المصانع وهو لا يتكلم بقعد على كرسيه كي يسرع في العمل حتى يحس ثأته في إعياء قد فقد كل نشاطه ويبدو لو يضع رأسه على متصدته وينام . وقد يفعل ذلك . وليس جسمه متعباً . وإنما كي ياقيد أنه يكره عمله ويجب لو يستقبل به عملاً آخر يرواه . ولذلك فإن إعياءه هو من إملأه عقله (= نفسه) وهو ليس إعياء وإنما هو سخط وكراهة .

والهموم إذا كانت معتدلة صارت مفيدة لأنها تحفزنا إلى العمل وتنشطنا . وهي عندنا أولى بأن تسمى اهتمامات بدلاً من هموم . والفرق بين الاهتمام والهم أن الأول يتناول موضوعاً لمعالجه فتتجح أو لا تتجح . أما الهم الثقيل فهو اجترار موضوع نفسه ، فتعاوده دون علاج . ومن هنا تأثيره السيئ . بل من هنا الحكمة القائلة : « إذا كنت تشك في شيء فخالطه جيد » أي انه منه بصورة ما .

وقد قلت الأمراض البكتيرية (المعدية) في الطبقة المتوسطة لأن الغذاء حسن وأساليب النظافة ارتفعت . ولكن الأمراض العصبية زادت لازدحام الضوم وإرهاقها . لأن أفراد هذه الطبقة يعيشون في سبابة قاتلة ويكونون في تلويهم بنظامهم . فمعظم التوتر في أجسامهم أموا الأثر . وهم ليسوا في حاجة إلى عقاقير حسنة قدر حاجتهم إلى فلسفة حسنة يعيشون بها واهين . لأن التوتر النفسي من الهم يؤدي إلى توتر شرياني ثم إلى تصلب في الشرايين ثم إلى موت مبكر بالانفجار القضي .

وسنرى في فصل قادم عن « الإعياء » كيف يؤثر العقل الأثر الحسن في الجسم . وأيضاً كيف يؤثر الأثر السيئ . ولكننا نقول هنا أن علامتنا يعرفون الكثير من أثر النفس (= العقل) في الجسم . فإن الفلاحين يعززون بحق مرضى الجبلو كوبا في الدين إلى ما يسمى « نزل » عقب حزن أو كمد . والأثر بما التي تطفح على الجسد قد تعود إلى توتر نفسي . بل أحياناً يحدث الربو من مثل هذا التوتر . وقد كان الرومانيون يقولون أن العقل السليم في الجسم السليم . ولكن عكس هذا القول صحيح أيضاً بل أصح . لأن الحائذ والحائذ والخائف والتشائم يؤدي توترهم النفسي إلى توتر شرياني أو إلى أي مرض آخر مؤذ لأجسامهم .

قال الدكتور يارقي بزو كس الجراح الأمريكي المشهور :

« إن الجراح الذي مرت به اختبارات كثيرة يذكر بلا شك إحدى العمليات التي أنجزها في نجاح كما استأصل فيها المرض تماماً ولم يجد عقب العملية أية علامة تدل على مضاعفات . ولكن المريض ، بعدما بدأ عليه من التقدم نحو الشفاء فقد الاهتمام بما حوله

ونفسه ، ثم يدرج في غير أم ، وكأنه لا يهدف إلى عينة معينة ، إلى الموت ولم يكشف التشريح سبب الوفاة عن إيضاح مقنع .

وهذا التل يدلنا على تأثير النفس في الجسم ، ولنا يدكر أسئلة أخرى تشبه ما رواه هذا الجراح . كآلام العضرة ككفح الموت وتنفس ابنها الغائب فإذا حضر ماتت ، ففي المثل الأول تضعف المريض وقد إرادة الحياة ومات ، وفي المثل الثاني تشبثت الأم بالحياة وأرادت البناء حتى رأت ابنها .

وهناك أمراض كثيرة لتوهم أنها عضوية أي في الجسم فقط وأن النفس لا شأن لها فيها ، ولكن بدلاً من التأمل يدلنا على أنها في الأصل أمراض نفسية تحصل بالاوادة والاعتناء كالخوف والقلق والحلم والتسليم .

أعبر رجلاً بحادث المستقبل ويخفق على معالجه ويشاءم ، فإن هذه الحالة النفسية تزيد ضغط الدم في شرايينه التي تتصلب بعد سبعين من قوة هذا الضغط ثم يتعيب هذا القلب . فيكون المريض عرفة للسكتة في القلب أو « النقطه » بالانفجار في المخ . فالمرضى هنا عضوي وقد انتهى بالوفاة . ولكنه كان في الأصل نفسياً لأن المريض اتجه وجهة سيئة نحو الدنيا وتحصل من المصدم أكثر مما كان يطيق فأرهق نفسه ثم أمرض جسمه .

في سنة ١٩٥٥ ، محمد الدكتور ف . دونبار إلى . . . مريض بحوض القلب ومرض الدبائيس أي البول السكري وأيضاً . وهذا المفارقة ، بكسر العظام ، فإن من البعيد على أي إنسان أن يقول إن ذراعه كسرت أو غلغله تهتجت أو قدمه رضت لأسباب نفسية ، ولكن الدكتور ف . دونبار وجد هو ومعاونوه أن نحو . . . في ثلاثة من هذه الحالات أي ألف حالة تقريباً من . . . حالة تعود في هذه الأمراض العضوية بما فيها الكسر العظمي إلى أسباب نفسية .

ونحن نسلم هذه الأيام بأن كثيراً من حالات الدبائيس يعود إلى القلق والالتزعاج وأن المصوم تحت القلب والسكريين . ولكن كيف تؤثر النفس في تكسير عظامنا ؟
أعبر الحادثة العنقية التي تكسر الأضلاع ، وقد نشأت عضفياً في كائون البترول لينتج هو عضفياً فيا وجرقيا ، واعتبر نائق الأتومبيل يسير مغنياً لسبب مالي أو عائلي فيصعد إلى مصانة المارة وأنه يسير سباً عملياً . واعتبر العامل أمام الآلة التي تدور بعنائه فيفس هذه العنقية لأن فلاناً قبيلاً يريد ذئد فلا يكون بعد ذلك سوى تشم ذراعه أو قدمه .

ففي كل هذه الحالات نجد نفساً مرعشة ضائقة بالدنيا مثقلة لا تستقر على شكير مزون .

وأؤكد أقول هذا السبب إن صداع الرأس يجب على الدوام أن يسبق صداع القلب .
أي أن هناك عواطف سبقت كالغضب أو الحسد أو الخوف أو الشك تحدث في أجسامنا
أمرأى سبقت .

وكثير من الأغنياء والنوسطين لا يتعصب السكن الصحي أو الغذاء الحسن ولكن
تنفصم الفلسفة الحسد لأنهم يتطوعون في لطامعهم ويتورطون في ميارات اجتماعية أو تجارية
ترغبتهم وتجعلهم على الدوام عرضة لتقلب والأرق يخشون همومهم في الليل والنهار ويشكاهون
بالمستقبل حتى تنهي حالتهم النفسية هذه إلى أمراض جسمية حقيقية .

وأمراض الجسم التي تعود إلى أسباب نفسية تتميز أولا ، أو أكثر ما تتميز ، الأبعاد
والعمق ، فانقرضت العداوة سرعة الحدوث غضب المطلق والخوف ، والهراس اضطراب الدموي
كذلك سرع إليها من الصدمة النفسية . والاضطراب المعوي ، بين الأمساك والإسهال ،
يعود كذلك في أغلب الحالات إلى قلق نفسي . ثم بعد ذلك ارتفاع الضغط الدموي ،
وكذلك لغط القلب . وجميع هذه الحالات تتناوبنا من وقت لآخر . وقد تروى بعد أيام أو
أسابيع . فإذا كان القلق دائما وأخوف من المستقبل مثلا فأنها تدوم وتتنامى . وقبل أن
يعالج المريض جسده بالعقاقير يجب أن يعالج نفسه . وهو ، بمحض الوقوف على علته وإنها
نفسية ناشئة من الخوف والتلق ، قد يشفى : لأنه يتعقل العلة ليستلطف على عواطفه وينعها
من السيطرة على جسده .

ولأن العقل يؤثر في الجسم عن طريق العواطف ، فبكر بعض السيكولوجيين في البحث
عن الجريئة بالبناء آلة تقيس النبض ودقات القلب من حيث انتظامه وكذلك التنفس وضغط
الدم . فإن جميع هذه الأعراض تظهر وقت الخوف مثلا . فإذا قلنا لأحد التهمين بسرعة
ساعة ذهبية بسلسلة من الذهب كحة ساعة ، فإن هذه الساعة ستدعى معاني أخرى كثيرة
لأنها ترتبط بعاطفة معينة ما . فالارتباط هنا عاطفي مثل الانعكاسات المكيفة .
فإذا كان هذا التهم لم يسرق الساعة وطمنا منه أن يذكر كلمات أخرى تود إلى ذهنه
فإنه سيذكر الثمن أو الدكان أو أي شيء آخر . وخواطره تود بلا توقف ويقتي نبضه وضغطه
وقلبه في أحوالها الطبيعية .

ولكن إذا كان هذا التهم هو السارق فإنه ربما يتف لجأ عن الكلام ويطول وقوفه
لأنه يجب أن يتجنب الخواطر التي تغير الرية . وهذا التجنب نفسه يدل على الرية .
ثم ما يخفيه هو لسانه يدل عليه حيلته نبضه وضغطه وقببه . لأن الخوف قد ألأوها جميعا .

وإذا استسلم خواطره لها لا ارتباطها يستل على التجربة كما لو كانت كل كلمة حقة في
سلسلة متصلة .

ولكن هذه الآلات لا تبلغ السكون . وخاصة إذا عرفنا أننا ما زلنا عاجزين عن التمييز
بين الانفعال أو كان وبين الخوف . ثم بين الغضب وبين السرور . فإن البقى والنقص
ومركبة القلب لا تميز بين هذه العواطف الخمس المضيطة . ولكن هذه البصيرة القليلة تدل
على تأثير العقل في الجسم وتؤدي إلى اعتدالات مستقبلية .

طبيعة التفكير

التفكير البشري درجات ينزل بعضها إلى سوية الحيوان كالحركة الانعكاسية كما يحدث حين لمس أن يدهى اقتربت من النار فأسجها . فأننا وأحط أنواع الحيوان سواء في هذا فالعين تطرف من القذى واللعاب يسيل عند رؤية الطعام والجسم يرتجف لمصوت المفاجئ وغير ذلك مما يشبه هذا . بحركات الانعكاسية نحن وجميع الحيوان سواء فيها .

ونقول بالفلوف إن كل تفكيرنا بعد ذلك ، مهما ارتفع ، إنما هو حركات الانعكاسية قد اكتسبت . بشروط جديدة أي قد نضجت فعدل بها عن أصلها مثلاً أو زيد فيها التنبه أو انقصر . فكان التفكيرنا ينحصر على قواعد من الحواس الخمس أو العشر التي تولد بها . وحواسنا كثيرة ليست مضمورة على النظر والسمع والشم والذوق . فهناك الحاسة الجنسية التي يلتفت بها الذكر إلى الأنثى والنعكس . وهناك حاسة الاتزان التي تجعلنا نعتدل فلا تسقط عند الشئ أو الوقوف . وهناك الحاسة التي تجعلنا على وجدان بأعضائنا الداخلية فنحس حركتها ونعرف منها الجوع أو الشبع أو الغثيان . . . الخ . والسبب في أننا نجعل هذه الحواس الأخرى إنما لم نعرف لها أسماء . وعند بالفلوف أن هذه الانعكاسات هي الأساس الأول للتفكيرنا . وإنها ساذجة عند الحيوان الأدنى . ولكنها مركبة عندنا وعند الحيوان الأعلى . فنحن والكلب سواء في أن لعابنا يجري إذا رأينا الطعام . ونحن والكلب سواء إذا رأينا المائدة قد أعدت بالأطباق حتى ولو لم يوضع عليها الطعام . أي أن لعابنا ولعاب الكلب يجري ، لأننا ربطنا وضع الأطباق باقتراب البعاد لوضع الطعام . فبما كنا نسميه « تداعي الحواس » قد صرنا نسميه « انعكاسات مكيفة » أي أن رؤية الطعام تحرك اللعاب . ثم رؤية الطبق . فلا طعام . تحرك أيضاً اللعاب . ولكن الفرق بيننا وبين الكلب أننا نستطيع أن ننقل من العكس إلى آخر . ولو بلغ عددها مائة . فمستطيع التفكير . أما الكلب فقصاراه انعكاسان أو ثلاثة .

مثال ذلك الشخص يخشى الغرباء وكذا لابل رئيسه ارتجف . فهنا العكس مكيف . أي عدل به عن أصله . والانعكاس المكيف هو ما يسمى أيضاً برديا . لأن هذا الخوف

يرجع إلى أن أباء كان قاسياً عليه في طفولته ، فكأن يمشاء ، ولما كان كل الرجال يشبهون
أبائهم ، فانه صار يخاف كل الرجال ، وقد نجد مثل هذا الانعكاس السكفي في الكلب ، ولكننا
لا نجد فيه الإعجاب الفنى . حين يعجب بصورة تحوى منظاراً زينة جميلة ، أو بقصيدة أشيد
بالحرية أو بمثال من جيسى لثيرة لينوس . فان سرورنا هنا يرجع إلى انعكاس ابتدائى ساذج
انتقل إلى انعكاسات أخرى . وكما أنه الأصل نسى في حالة الشاب الذى يحتلى رئيسه كذلك
نحن ننسى الأصول في حب أحدنا لهندسة الكهربائية وحب الآخر لزراعة وحب الثالث
للتجارة والنفاس آخر في الخمر . ولكن إذا كانت الانعكاسات السكفية تبين لنا الأسباب
والارتباطات التى تجعلنا نسعى لغرض ما ، يختلف أحدنا به من الآخر ، فانه لا يبين أنبياء
كثيرة عديدة تختلف فيها كالمقدرة على التوهم أى التخيل . أو درجة الوجدان . أى أن
الانعكاسات المكلمة تفسر لنا ميولنا واتجاهاتنا ولكنها لا تفسر لنا كل التفكير البشرى .
ونعنى بعبارة « التفكير البشرى » شيئاً أكبر مما نرى في الحيوان . وإن كنا في حالات
كثيرة من هذا التفكير لا نجد فرقاً بيننا وبين الكلب ولا نذكر القدرة العليا التى كانت
تكون بشراً .

أنظر مثلاً إلى التوهم أى التخيل . فان الكلب يعلم وينجح في تولد أى أنه يتخيل ،
بل هو يفتح حتى في يقظته إذا خاف وتوهم شيئاً كما نرى في كلاب الريف . ولكن خيالنا
نحن يتسع لأكثر من هذا كما نرى حين يؤلف أحدنا قصة من . . و صفحة كلها توهمات
وخيالات . فالأساس واحد ولكن الدرجة مختلفة .

أو انظر إلى الانفعال والوجدان . فان و و في المنة من تفكير الكلب انفعال وواحد فقط
أو أقل وجدان ، بل هناك من ينكر على الكلب ميزة الوجدان . ولكن ما هو الوجدان ؟
أذكر أولاً غيب طفليها المريض وتساءل لأنه ولا تطيق بكاه . ثم ينصح لها الطبيب
بإعطائه جرعة شره من دواء تعرف هي أنه يكرهه ويكره من مذاقه . فهى هنا في تردد
بين عاطفة الحب الأسوى وعاطفة البصر المستقبلة . فهى تملك عزيمة لتدبر وتفكر وتحاول
أن تخرج أسلوباً يرضى الطفل ولا يثوت عليه فائدة الدواء . هي الآن في وجدان أى تفكير
لا نكاه نجد مثله عند الحيوان إلا في الأقل النادر . وهذا الوجدان هو أصل الضمير ،
هو أصل قولنا : ماذا اختار ؟ هو أصل التفكير البشرى . فالحيوان يفعل أى أنه يتساق
بعاطفة الخوف أو الحب أو الشره أو الضجوع . وهو حين يفعل لا يحد يفكر لأنه يتساق
بعاطفته فهراً . ولكنه إذا تردد بين عاطفتين أحسن وجداناً . ولكن على الأسد أو البير
أو النعلب يتردد ؟

رئياً ، وعندئذ هناك فكرة من الوجدان ، بل نعلمها لحظة زائلة لأن أحد الانفعالات (العواطف) يفتلب على الآخر ثم يصير الانفعال حركة شرار أو هجوم أو انقراض أو الأكل بل لعله كان حركة من الأصل . ونحن البشر عندما نفعل ونسودنا عاطفة ما سببه نامة نفس كأننا في غيبوبة فلا ندري ما نفعل حتى قد ننطق بكلمات أو تؤدي حركات نتعجب منها من قيامها بها . لأن الوجدان قد جاء في الأمانة من الانفعال وصرفنا نقارن بين عواطف مختلفة أي صرفنا تفكر .

ولبعد إلى بالوقوف والانعكاسات المكيفة التي نعزو إليها التفكير . وأخرى بنا أن نقول إن هذه الانعكاسات المكيفة إنما تكون ميولنا واتجاهاتنا ، أما التفكير (الوجدان) فهو يقوم على المقارنة بين هذه الانعكاسات . ونحن نفكر أكثر وأبرع من الحيوان لأن هذه الانعكاسات كثيرة عندنا . فالمقارنات أيضاً كثيرة وعندنا يحدث التعقل والتأمل والتدبر والتبصر .

وكما يعرف أننا في النوم نعلم . ولكن من التسامح الكبير أن نسمي الحلم تفكيراً . وأحالاتنا على عواطف وخیالات وأحالة حركات ولكن بلا وجدان . فنحن لا نقارن بين هذه العواطف (الانفعالات) ولختار ونتميز . بل نساقي بالعاطفة . وهذا هو الأكثر الأعم في الأحلام ، وإن كان قليل منا يقارنون ويحلون مشكلة ما في نومهم . والوجدان إذن من خواص الشفة والالتباه .

وكما تمت البقطة أو الالتقاء قل الوجدان أي قل التفكير كما نرى مثلاً عندما نملكنا عادة فنؤديها بلا تفكير كأنها حركة آلية .

والأفعال يرتبط مباشرة بالغرائر البيولوجية أو العادات الاجتماعية التي تشبه الغرائز . والوجدان يرتبط بهما أيضاً ولكن ليس مباشرة . أي أن الأساس « انعكاسات مكيفة » أي مركبات من هذه الغرائز أو العادات . ولكن مجال الاختيار فيها كبير لأنها كثيرة .

ولشأننا ولت الانفعال ذاتي أي أنه ينبع وينشأ مع إحساسنا فقط . ولكن نشاطنا في الوجدان موضوعي أي أنه يخضع إحساسنا وقد بلغه وينقل نشاطنا العنقي إلى الموضوع الذي يواجينا شخصاً كان أو شيئاً أو مشكلة فنفكر في نطق وروية .

وقد زادت اللغة الوجدان عندنا . لأن الحيوان حين يصرخ إنما يكون انفعالياً (عاطفياً) ذاتياً . أما نحن حين نقادي ونسبغ ونعين أسماء وحوادث قائما نكون موضوعين إلى حد كبير .

ومما لا يلاحظه ما يتجاوز الوجدان مثل هذه الخاصية التليائية التي أصبحت جميعاً
أو مطلقاً نسبية . أي هذا الإحساس الذي نحسه عندما نكون بعيدين عن قريب نعره
أو ندين عليه حتى به حادثة أو وفاة . فكأننا قد رأينا كل ما حدث حتى لنكني مع أن
ما بيننا وبينه لا يقل عن مئة أو ألف كيلومتر . وما بعد ذلك في صدق هذه التليائية أي
الإحساس عن بعد . وهي بالطبع فوق الوجدان . هي انتقال تطوري جديد .

طبيعة الذكاء

كما انخ في الحيوان كي يدبر له الحسنة في البذاع غرائزه . وهو عقل لنا عن البصر
صوره أكثر إقناعاً وأقرب إلى الواقع لما يتقل دماغ الحيوان إليه . ولكن هذا العقل ليس
توغرافياً بل ولا كالمسكوبيا حسب . لأننا لسنا آلة ميكانيكية . إذ نحن أحياء تأخذ
الصور من هذه الدنيا فخرتها في طراز لا يتأقظ هذه الغرائز . فالعقل ليس فعلة توغرافية
للتسجيل بل هو أداة حية ترتب صور هذه الدنيا . فعن تقيس بين الأشياء ولستطيع أن
نعم ونستنج . وكل هذا يحتاج إلى الوجدان والخلق .

وامتيازاً عن الحيوان هو الوجدان والخلق . وامتياز آدمي على الآخر هو أيضاً
الوجدان والخلق .

وهذا الامتياز ليسه ذكاء ، فما هو تعريف الذكاء ؟

الذكاء هو القدرة على الانتفاع بالاختبارات ، بحيث إذا وقع في حادث السخوف المفرد
منه وأبوت في المستقبل يقتضى ذلك .

والذكاء هو القدرة على التفكير الجبره أي التفكير في العلاقات البسيطة المعروفة
والشجاعة والجمال والرذيلة .

والذكاء هو القدرة على زيادة القدرة . فإذا شرعت في درس التجارة أو الآداب أو
الرياضيات استطعت أن أزيد فهمي لما بالدراسة .

والذكاء هو القدرة على أن ألائم بيني وبين الوسط الجبره . أي الكيفية التي أعالج
بها الحالات الطارئة التي لم أعودها . ولكني ، بالتكامل والقياس والاستقراء ، أصك السلوك
السوي .

ولكن كل هذا الذكاء هو في خدمة الغرائز . ولا تزال عواطفنا (= التهاب غرائزنا)
مثل عواطف الحيوان لا تتغير . ولو أنها كانت قد تقصت في حستها لاستطاع ذكوانا أن
يحرر وأن يسير عن قواعد الخلق . ولكننا في الشهوات الجبره الآخر والطعام وفي غضبنا
وخولنا ولستعنا لا نختلف عن الحيوان ، ولذلك نسوقنا هذه العواطف ونحسنت ذكوانا أو أحداً

نقدية . فقد أغت هذه العواطف ذكاء عند دفع في عدوان نفسي على ألمانيا . وهذه العواطف أيضاً للمنى ذكاء لتتدخل والمختلفين الانجليز لجعلهم لا يبالون بمجاعة نعم المدد ويقبل سبون هندي لكي يعيشوا هم في ترفه .

وسكن هذه هي الناحية السبئية للعواطف . أما الناحية الحسنة فجعلنا يعرفها إذ لا صمد ذكاء بدأت بلا عواطف بحر كد ونشاطه . والعنقري هو في النهاية ثمرة الذكاء العظيم والارادة العقلية . وذكاء بلا ارادة يوكد ولا يتنفع به . ولكن الارادة ثمرة الوجدان الذي استخلصها من العواطف . والذكاء بتعجز الخ . أما العواطف فتعجز الثلاثوس .

وإذا تأملت الانسان والفرق وجدت أن حيز الخ عندنا كبير جداً بالمقارنة إلى الغوريلا . ولكن حيز العواطف عندنا كبير أيضاً . يقول بل غريه على حيزه عند الغوريلا .

والذكاء قدرة عامة . أي أنه الذكي الذي يتضح ذكؤه في درس الأدب كان يمكن أن يتضح ذكؤه أيضاً في درس الهندسة أو الطب أو التجارة أو الزراعة . ولكن إلى جنب هذه القدرة العامة نجد قدرات خاصة . كالمهندس العظيم المتأخر بالقدرة العامة في الهندسة ثم نجد له قدرات خاصة أخرى في العزف على الكمان أو في التجارة . فالعزف والتجارة لا بدلان على ذكاء عام . ولكن الهندسة تدل على ذكاء عام . وقد نجد سياسياً يحسن الخط أو الرسم . فالقدرة العامة هنا أي الذكاء هي السياسة . والقدرة الخاصة التي لا تحتاج إلى ذكاء كبير هي إحسان الخط أو الرسم .

والنوع في السياسة أو الطب أو الهندسة أو الآداب يحتاج إلى رابط علاقات بشرية كبيرة تتعجز أكبر مكان من الخ . أما المهارة الصغيرة في الخط أو الرسم أو التجارة أو الموسيقى فلا تحتاج إلى شبكة كبيرة من الارتباطات وهي تتعجز مكاناً صغيراً من الخ فلا يدل النوع قيميا على ذكاء عام .

وذكاءنا سرور . وهو لا يختلف من وراثتنا لأعضائنا كالأنف الأنف أو العين النجلاء أو النعم الصغير . ونحو الذكاء عندنا يستمر إلى السابعة عشرة أو أنه يقف بين سن ١٠ أو سن ١٧ . وما نرى من اختلاف حضم بين متعادلين في الذكاء إنما يرجع إلى المهارة التي كسبها أحدهما بالتجارب والاختبارات والتربية أو أن لأحدهم إرادة قوية تحت الذكاء وللآخر إرادة ضعيفة .

وعلى كل حال يجب ألا نغيزم . فإن هناك قريناً كبيراً بين السيكلوجيين في الولايات المتحدة يقول بأن الذكاء يزداد بالتعليم والاتجاه الثقافي الجبدي . وهو جني هذا القول على تجارب بين الذين اختبر ذكاؤهم في المدارس الثانوية وحرف . ثم اختبر بعد ذلك بنحو

عشر سنين حين كان بعضهم قد اتصل بالجامعة ودرس ، وكان البعض الآخر قد كلف عن الدراسة ولم يدخل الجامعة ، فوجد أن الذين دخلوا الجامعة إزداد ذكاؤهم .
وليس من الضروري أن يكون الذكي كبير المخ . ولكن ملاحظ أن رموس البله صغيرة . كما أن اتجاه التطور نحو زيادة المخ . وربما كان صغير المخ ذكياً لأن أختايد منه تسبب لاجلها التي يتوقف عليها الذكاء . وهذه الأختايد لا تهاها إلا بعد الولادة . أو لأن الأوعية الدموية عند حسنة وهي تغذي خلايا المخ .
وأولنا أن نصلب الأمارات العامة التي نعرف بها الصبي الذكي على وجه عام ، بصرف النظر عن التفاصيل ، قلنا إنها :

- ١ - القدرة على تناول الأعداد جمعاً وطرحاً وضمة وتختلا بحيث يستطيع الذكي أن يحسب الشكيلة العددية بالمؤونة في معاللات الناس دون حاجة إلى الكتابة . ولكن للعادة تأثيراً هنا على هذا القياس . فإن التاجر يصل إلى نتيجة حسابية سريعة إذا كان الحساب خاصاً بتجارته قد لا تصل نحن إليها إلا بعد مشقة لأننا لا نألف هذه الحسابات .
- ٢ - القدرة على تناول الكميات بالتعبير المنطقي .
- ٣ - القدرة على التخيل بالعين . لأن تفكير الإنسان هو تفكير العين . والرؤية الموضوعية والرؤية الذاتية تتألفان من تفكير العين .
- ٤ - الذاكرة أي القدرة على الاستدكار .
- ٥ - السرعة في الاحساس وهي تؤدي إلى الإدراك الذهني .
- ٦ - القدرة على ربط العلاقات العامة . وربما كانت هذه الصفة الأخيرة أهم ما يميز الذكي من غيره .

الذكاء والعبقرية

لا نستطيع أن نعرب على وجه الضبط الأسس المادية التي يبنى عليها الذكاء . ولما إذا
أن نخدس أنها تقوم على :

- ١ - مخ كبير . وهذا القول نستنتج من انواع البهائم تطور الحيوانات باعتبار
أنها انتهت نحو أعلى حيوان وهو الإنسان الذي تتأخر بأكبر مخ . وكذلك نستنتج من
أن عامة البهائم يتسبون بدهوس صغيرة .
- ٢ - كثرة الدلائل في المخ . وهي تؤدي إلى أن نجد الخلايا العصبية التي يتألف
منها المخ مكاناً أوسع تتوافر فيه . وهذه الخلايا تربط أجزاء المخ وتسمح لنا بالتفكير بأعلى
أنواعه أي الوجدان . وهي أشبه الأسلاك الموصلة التي تربطها في ارتباط حيويتها .
- ٣ - نظام عظيم من حسن في الجسم . أي أن السوائل التي تمر بها الدم العصبية
مثل الخصيتين والأدريناليين والنخامة والدرقية لا تكون أكثر ولا أقل مما يحتاج إليه الجسم .
- ٤ - أوعية دموية حسنة تنقل إلى خلايا المخ الغذاء الواجب .

وهذه الأربعة أمور قد يحصل عليها كل منا من خلال . ويختلف أحياناً من الآخر
باعتلاف أويته وأسلحته . ثم باختلاف الجهد الذي يبذل كل منا به زيادة على سهره .
لأننا لسنا متفهمين بالوراثة كما لو كانت قوائم تصريفنا . إذ لو كانت الوراثة بهذا الجهد
ثم ظهرت أنواع جديدة يقول جديده في الدنيا .

وإذا تركنا الأسس المادية للذكاء جانباً وحاولنا أن نخدس بعض الأسباب التي تؤدي
إلى زيادة الوجدان قلنا إنها اختلاف الأيونات بحيث يؤدي هذا الاختلاف إلى التفاضل
الداخلي وإيجاد التفاضل والتوتر بين الغرائز والاتجاهات المختلفة . ولتضرب على ذلك مثلاً
بالكلب يكون أبوه من سلالة وأنه من سلالة أخرى لكل منهما خصائصها التي ليست
بالسلالات عدة فروع . فتتأخر غايتين السلالتين لا يخرج خلاصاً وليس له وجهة معينة .
فهو مفضل بين الأب الذي قد يكون من كلاب الرعاة والأم التي قد تكون من كلاب الطراد .
وهذا التفاضل يحصل على التردد . فلا يندفع بفريرة حاصلة نحو نشاط معين . بل ينفذ

في تودد أو قوثر . وهنا ينشأ الوجدان أي التفكير الذي يوازن بين عمل وآخر فيختاره ، وهو في اختياره يتأمل ويتدبر في روية قبل أن يعمل .

ولعل هذا المثل ينيرنا عن العبقريّة الذمّية في الإنسان ، إذ قد تكون هي أيضاً نتاج عناصر وراثيّة متناقضة أو مختلفة بحيث يؤدي تناقضها واختلافها إلى وقفة التأمل والتردد والتفكير . وليس من الضروري أن نعرض للاثنيين في الأبرين كتال الحساب لأن الاختلافات قد تكون دون هذا ولكنها تتأثر بقيمة عالية لطروف اجتماعية خاصة في فترة تاريخية معينة . وإذا قلنا أن نعرض بكلام عام ، لا تدخل فيه الشؤون ، لأمارات الذكاء في الفلاس ، فأننا نستطيع أن نقول إن الشاب الموهوب أو الفتاة الموهوبة يبدوان جعابين إلى درجة تميزهما عن سائر الناس . ولعل هذا يرجع إلى أن سلوك الفرد الصماء حسن . لأننا نعرف أنه عندما يقل إقراره هذه العدد أو يزيد على السواء يحدث تشوه في الجسم والتفكير . وكثير من البله يبدو عليهم هذا التشوه في رأس صغير أو سلاح مغولية أو غير ذلك .

وأما أخرى للاثذكاء أنهم فيما بين ١٠ و ١٠٠ سنة من العمر تقبّل أذهانهم تنهياً عظيماً فيسرقون في القراءة والاستطلاع . ونحن نعرف أن هذه السن هي نهاية النمو تقريباً في الذكاء . فنحن لا نزيد ذكاء بعد سن ١٠ أو ١٠٠ مهما طالت أعمارنا إلا مقداراً قليلاً . وقد قلنا أن الذكاء يقاس . ومتوسطه . . . لما زاد على ذلك ينتج نحو العبقريّة وما نحن نتجه نحو البلهية . وقد وجد أنه في كل ألف تلميذ في الولايات المتحدة يوجد ١ أو ٢ يزيد ذكاؤهم على ١٤٠ و ١٠٠ يزيد ذكاؤهم على ١٣٠ و ٣٠ يزيد ذكاؤهم على ١٢٠ . وإذا نقصت الدرجة عن ٧٠ كانت برهاناً على البلهية .

والذكاء في الرجل لا يختلف عن الذكاء في المرأة . ولكن المرأة تميل إلى المتوسط فليس فيها تطرف نحو العبقريّة أو نحو البلهية بقدر ما تروى في الرجال .

وامتحان الذكاء أدق الامتحانات . ذلك لأننا يجب أن نقيس القدرة العامة وليس المهارات الخاصة . فالصبي الذي نشأ في الريف مثلاً يفهم أشياء كثيرة عن الحيوان والنبات لا يفهمها الصبي الذي نشأ في المدينة . وهذه مهارات خاصة عنده . ولكنه إذا دخل داراً سينجحاً اختلطت عليه جميع الأشياء التي يدرّكها أين المدينة بأول لحظة . والصبي الذي عاش في قاعة يفتقر إلى الدق التي يمتاز به صبي عاش في عائلة ثرية . وينبغي أيضاً أن المعارف التي يتلقاها التلميذ في المدرسة يجب ألا تدخل في امتحان للذكاء يشترك فيه صبي أمي . ولذلك يجب أن يكون الامتحان في أشياء عامة لا تتوقف على معارف خاصة ببيئة معينة . ومن هنا الصعوبة في تعيين الأسئلة .

و يجب ألا تنسى أن قوة الذكاء وحدها لا تؤدي إلى عبقرية ، وكذلك ضعف الذكاء وحده لا يؤدي إلى جنون . وإنما العبقرية والجنون كلاهما يحتاج إلى الإرادة (- عاطفة) التي تحرك الذكاء إلى السواء أو إلى العبقرية أو إلى الانحراف ، فلا بد من عاطفة قوية . والجنون خلاف الأبله ، لأن الأول قد يكون ذليلاً ولكن عاطفته بعينه قد حملته إلى الصخرة غطمت ذمه . أما الأبله الذي ينقص درجة ذكائه عن ، فهو شخص في العادة عادي ليس به جنون .

ونشكركم التوجداني يجرى على ثلاثة طراز :

١ - طراز اعتيادي . وهو أتم طراز بين الناس في التفكير وأبسطه وهو أن المرء أنه ما دام يتفكر يتفكر في بعض الخصائص فإن الأرجح أنهما يتفكران في الخصائص الأخرى . فإذا قلت إن الشمس يوقد ويؤذي فإن الحمار أيضاً يوقد ويؤذي . ولكن خصاً تفكير ينصح عندما نقارن بين ضرر وحساسة أو بين دودة ويرقة .

٢ - والطراز الثاني هو القياس . وهو أن تأخذ من التعميم فتزول إلى التخصيص . فنقول إن للطيور جناحين . يعني هذا تعدد السجاجة عانوا . ولكن خطأ القياس يتضح عندما نقول أن الطولوط طائر . إذ هو حيوان ليون مثل الفيل والفأر على الرغم من جناحيه .

٣ - والطراز الثالث للتفكير هو الاستقراء . وهو أن تأخذ من التخصيص إلى التعميم وهو أن نقول إن البرقعة تستط من الشجرة إلى الأرض . والحجر يسقط دائماً على الأرض إذا سقط به إلى أعلى . ونحن نستط إذا وثبنا . وإذن لا بد أن هناك قانوناً للجاذبية أي أن الأرض تجذب الأجسام إليها . وهذا الطراز من التفكير هو أعلى الطرق ولا يقوم به إلا عبقرى نجده في المعارف البشرية مثل ليوطن .

وربما - مع التفاوت - تستعمل هذه الطرق الثلاثة في التفكير لا . فإذا كنا عبقرين - اعتبرنا الفلسفة أو العلم استعمالاً للطراز الثالث فنكتشف عن قوانين الطبيعة المستورة . وإذا كنا دون ذلك استعمالاً للطراز الثاني . ولكن أنزلنا استعمالاً للطراز الأول على ما فيه من أخطاء كثيرة .

والاكتشاف العقلي يجري على طراز القياس : من التعميم إلى التخصيص . والاختراع نالني يجري على طراز الاستقراء من التخصيص إلى التعميم .

وأجمل القاري هنا إلى فصل « الشخصية السيكوباثية » .

طراز الجسم ومزاج النفس

يصح أن نسمي هذا الفصل - الدراسة السيكولوجية - لأننا نستطيع هنا نعرفه هنا أن نكون يسلك الشخص إلى حد ما من النظر إلى فوائده والخاسم وجهه . أي نعرف مزاج نفسه من طراز جسمه . والنفس في هذه العارفين التي لا تبلغ منهاها السيكولوجي السويصري يوضح ثم السيكولوجي الألماني كريستمر .

وهو يرى أن الأمر إلى أن الغدد انضمت لآلة في عليه الجسم كما تؤثر في الذكاء . وقد يكون الطراز الذي ينشأ عليه الجسم دائماً أيضاً على هذه الغدد أي أن فترة الانحياز من إحدى الغدد قد تؤدي إلى قامة متديدة خفيفة أو إلى قامة قصيرة مكثلة . ثم إلى اتجاه نفسي معين وإلى لون خاص من الذكاء .

فهناك ثلاثة طرز من الجسم هي الانطوائى والانسائى والرياسى .

١ - فالطراز الانطوائى يسم بوجه مستطيل ورأس صغير ليس له تنوء في الخلف . والرأس والوجه بولغان شكلا يعضوية . والأنف طويل والوجه في العادة أسفر . وقد يبلغ الستين من العمر ولا يكاد الصبح يصيب شعره . وإذا تقبلى فيه الصبح تشرق لبلا في الرأس بلا انضمام وبلا إسراف . وكثيراً ما يقع هذا الطراز في الندون . وهو لا يسم ولا يستكرش . وتبدو عنده أمارات الشيخوخة في سن مبكرة ولكنه مع ذلك يعمر .

هذا على هيئة الجسم . أما مزاج النفس عند الانطوائى نعرف بجه للانفراد وكراهة الاجتماع . فهو معتزل ولا يحتلط إلا مضطراً . وهو صوته لا يفتح للكلام . وكسوم سرى تجنب النامى والفهوة والاثم والعرض ولا يعرف ألعاب الخط والمؤانسة . ويحفظ ويحفظ كثيراً . وأحياناً يكون كسولاً مشرداً . والتسرد هنا نوع من الانفراد وكراهة الاختلاط بالناس . وهو يكلم ولا يعبر عن خواطئه بفضب أو فرح أو حسرة . وهو في من المراعاة طبع بسهولة في العادة السرية وانفراده بمساعدة على الأسراف فيها . وفجزء عن الاختلاط بالجنس الآخر يزيد هذه العادة خطراً عنه . وهو يبنى بصورة في أفراد بتجليل و يعلم أحلام البقطة . وهو في الطاقة والسياسة يلتفت إلى المبادئ ولا يبالى الأشخاص . وقد نعتب

لمبادئ ويكافح ويقاتل من أجلها . والديزوتوريا هى مرض الانطوائيين وهى مرض
الغربة السمة وبسوء العواطف . واصبره الذى لا يبالى فى الناس هو فى العادة الطوائى .
وكذلك دعه المبادئ والدايم والنفقات والتعصب الأعمى الذى لا يبالى العنيت
الطوائى .

والانطوائى يولد فى مجتمعا متفردا . أو هو شخص صداقة واحد أو اثنين يعزل بهما
جانبا . وهو أنى نقي فى اختيار ألب متزله وأدواته فنوع فى طعامه لا يتهم . ولكن
يأثقه فى الاختيار يتضح فى التناء الآتية الصينية الساخرة أو هو ذلك . ويمكن أن يقال
أن زهرة حياة الانطوائى تنفتح إلى الداخل . وعنده الكمن (المكن) ينشط كثيرا .
ولذلك يميل إلى الشعر ويؤلف القصائد والقصص الخيالية . ولكنه لا يحسن وصف الأشخاص
وهو يكم عواطفه ويصفه وقد يتفجر . وهو أسلوب السلوك استغراضى الحركة . والكتاب
الاسم هو فى العادة الطوائى . ونعنى الخاضع المتأخر .

٢ - والطراز الانبساطى يسمى بالسمن والكنل وأحيانا بالاستكراش . وله وجه
مستدير أو مستدير حاضرم الدم موزن . وهو يصنع مبكرا منذ العشرين أو الخامسة والعشرين
والصلح يسمى فى رأسه فى نظام يبدأ من الحية ويسير متدرجا إلى الخلف فى صف سوى
لا تتجاوز نقطة منه أخرى . وهو كثيرا ما يتعرض لبول السكرى والرومزم . وأحيانا
يصاب بالقوسر . والتمهل والاستكراش يتضحان فيه حتى قبل الخمسين .

والانبساطى سريع التعبير عن عواطفه بحسب المنعمات وبأنس إلى الناس ويظهر أطياف
الانمعة ويحب الشراب والطعام والمزانية وإخوان الانتراج . وهو منجذبت يخط الشكت
والمنعمات ويقتصد فى صراحة ولذة . وهو يغضب بسرعة ولكنه أيضا يشفى غضبه
بسرعة . وهو محبوب يوصف بين الناس بأن . لديه طيب . بخلاف الانطوائى الكئوس
الخلود . ولكن الانبساطى على ميله إلى الانتراج والانشراح تنبأه أحيانا موجة من الحزن
أو الحبور . فهو يعيش فى فترات . فترة التفرج وأخرى تكابة . ولكنه فى أكثر حياته
اجتمعى باسم لذلك .

ويمكن أن يقال إن زهرة حياة الانبساطى تنفتح إلى الخارج . وأمدادوه كثيرون .
وهو مسامر مختلف متوسع تنجح فى الحب كما تنجح فى التجارة والمال . وينفق فى الوفلات
بسرعة لأنه مبسوط النفس (واليد) ولا يكظم عاطفته ولذلك يضعف ويكسر بسهولة .
إذا حارب الحذر أو تربها مع آخرين فى حين أن الانطوائى يتربها وحده . والنجاعة فى
الحياة إيجاب يقول نعم لكل ما فيها من أطايب وقيل عليها . أما الانطوائى فيشيع عنها

ويجتر نفسه . والرض النفسى الانبساطى هو ألمانيا مرض الحزن الشديد ثم الفرح الشديد . والانبساطى إذا غضب فارتطم الطنأ . والانطوائى إذا غضب لم يخطئ . ودموع الانبساطى تنهمر في حين عجمه من الانطوائى حتى لا يكاد يعرف ما هو البكاء . ونباح الانبساطى أكثر من غصه . ولكن متى الانطوائى أكثر من قباحه بل هو لا يفتح .

ويمكن أن يقال على وجه عام أن الانبساطى والانسائى والانسائى الانبساطى . وأن الأوربي انطوائى والعسقى البساطى . والرجل على وجه عام انطوائى في حين أن المرأة على وجه عام انبساطية . هو يكر في المبادئ والمذاهب أكثر منها وهو يشكر للمجتمع أكثر منها . وهي لا تبالى بالمذاهب والمبادئ ولكنها تلتصق بالمجتمع وتكبر من شأن القيم الاجتماعية .

٢ - والطراز الرياضى يسم بسوء العظام ولكن يكون استكشاف أو تروى . وهو يتبل على الألعاب الرياضية ويحب الحياة العسكرية . وله رغبة في العدوان يجب أن يحل مشكلاته أحياناً بقوة ذراعيه . وهو يؤثر حياة العمل والحركة على حياة التأمل والسكون وهو ينجح في التجارة والحركة ولكنه لا يحسن القعدة في غرفة لأداة عمل . وزيارات الأعمال والفنانون يكونون من هذا الطراز . والرياضى الاجتماعى مثل الانبساطى يكبر من شأن القيم الاجتماعية .

وليس في الناس شخص انطوائى مئة في المئة أو انبساطى مئة في المئة أو رياضى مئة في المئة . إذ لو قسم الناس مثل هذا الانقسام لا تفاهموا . لأن كل شخص يعود عروباً عن الآخر . وإنما كل منا يحوى عناصر من الطرازين الآخر من إلى جنب عنصره الأسمى الذى يتناز به . أنظر إلى هؤلاء الفلاحة :

عنتر : رياضى انطوائى : يحب العدوان ويتعاطى عن الواقع لأنه يندفع في مبادئ يؤمن بها في تعصب .

نسرال : انبساطى عظيم يحب التدخين الفاخر والامبراطورية ويقول إن ميشاق الأطلنطى لا ينطبق على الحق لأنه بعد الحق مسرحة لمطلبات .

روزفيلت : انطوائى يفتخر بميثاق الأطلنطى والخبرات الأربع .

ومن الحسن أن يعرف كل منا طرازه الجسمى ومزاجه النفسى ويختار العمل الذى يتفق وهذا المزاج . كما أنه من الحسن أن تميز الناس بوجوههم وأن نعد التوجه بفتاقد الزيارة للمزاج النفسى .

المزاج النفسى أيضاً

فى الفصل السابق قلنا إن الأسرجه ثلاثة :

الانطوائى السعيد المستطيل الوجه الذى ينطوى على نفسه ويعتز عواطفه وأفكاره ، ويكره الاجتماع ويعزول . وهو كى العادة رجل الأخلاق والقواعد والنظريات .

الانبساطى السعيد المستدير الوجه الذى كثيراً ما يستكرس ويطمع ، وهو أحياناً اجتماعى غير على العاد الخارجى ويجب الاستماع والمسامحة والطعام .

الرياضى وهو يميل إلى الانبساط .

ونستطيع أن نتوسع فى التبرج بعد أن حددنا الفارق بأنه ليس هناك أحد خالص غير مزوج بقليل أو كثير من المزاجين الآخرين . ولكننا هنا نفرض المزاج الخاص لكلى نسوة صفاته . ونستطيع أيضاً أن نستغنى عن المزاج الرياضى لأنه لا يبرز بروز المزاجين الآخرين .

والمزاج الانطوائى هو مزاج الفلسفة والأدب والغمييات واللبادى والمذاهب . فإن الشخص الانطوائى يعزول اجتماع وينساق فى تفكيره فلا يبالى الواقع بل يتخادى فى مذهبه . ولا يجد لا تخيل قدسياً أو ولناً أو داعية إلى مبدأ أو مذهب إلا ونفرض أنه الطوائى تحف الجسم مستطيل الوجه . ومثال أن تفرقه انبساطاً . مستدير الوجه كثير اقم مستكرساً يجب اجتماع وشغل على ملذات الطعام أو الشراب . ولذلك عهد الانبساطى شغف فى العلوم المادية كالفيزيولوجية أو الكيمياء أو الجغرافيا أو التاريخ أى تلك العلوم التى تخدم المجتمع الخدمية المباشرة والتى لا يحطهم فيها بقواعد ومبادئه .

ويلاحظنا يحتاج الأدب . ولكنهما مختلفان فيه .

نظراً إلى بولارد هو الانطوائى . فإنه يحتاج فى دراماته البادى والمذاهب .

ثم أنظر إلى ولز الانبساطى . فإنه يحتاج الأشخاص بل يذكر طعامهم وشرايهم .

وبلذاتهم الجسد .

الانطوائى يعصب لمذهبه . وهو رجل المثبات الذى لا يبالى العقبات . وهو لا يبور

ولا يحد . وكذلك لا يحدد . أما الانبساطى فيندفع ثم يسكن . وهو يحسن التنظيم لأن نشاطه ينحدر إلى الخارج وإلى الناس في مجتمعيهم .

أما أكتب هذه السجود في يونيو من ١٩٤٥ . وقد برز في الميدان السياسي أشخاص تولوا الحكومة هم :

الرحوم أحمد ماهر الانبساطى الصالح الذى كان يمد مسيرات الفهود والسياف وينسى أخطائه .

عبد الرحمن عزازم بك أمين الجامعة العربية الانتوائى الذى رسم مشاهدته العربية منذ الانسنة وما يجد عنها فيها كانت العثبات في طريقه .

سكرو عبيد باشا الانتوائى القاصم الذى لا يشى خصوصته .

الحساس باشا الانبساطى الذى يحب الرأيهية ونسبى الخصومة ولا يعرف الخط .

النقاشى باشا الرياضى الانبساطى الذى يحسن التنظيم ولا يعنى كثيراً بالمشيات وروبتا يعمد إلى العنف في أخذ الأنساء بالقوة .

وفي ميدان السياسة والحرب العالمين نجد ولسون الانتوائى الذى وضع الشروط الأربعة عشر لإصلاح العالم في الحرب الكوكبية الأولى . ثم نجد روزفيلت في الحرب الكوكبية الثانية يضع الحربات الأربع وميثاق الأطلسي . وكلاهما الطوائى ينشد انتديات وقد يتعاضى عن الواقع .

وفي تلك الحرب الأولى وقف لويد جورج وكاميتسو . وكلاهما انبساطى يطلب النصر . فقط . وقد كان موسوليني في صف هتلر في الحرب الثانية . ولكن الأول كان انبساطياً يطلب الرأيهية لانطاليا بيل كي يحيى . أما الثانى فكان انطوائياً يحلم بالمشيات والمبادئ الخيوية . كان الامام عبد عبده البساطياً . فترزع في الدين إلى العمل فأسس الخيمرية الخيرية الإسلامية لترقية الشعب . وهو في تفسيره للقرآن يترزع إلى الخشيات لا الغيبات وينجد الاتجاه الاجتماعى .

وكان سعد زغلول انطوائياً وهو صاحب الكلمة المثلوة : الحق فوق القوة والأسرة فوق الحكومة .

وفي صحفنا كتاب انبساطيون يكتبون في القيل والقال عن الناس والنظام والمباس والملاذ والفكاهات . ومعظم المجالات الأسبوعية انبساطية يعرفها هؤلاء الانبساطيون .

وعندنا كتاب الطوائيون يتحدثون عن الاشتراكية وبيادى ولسون وروزفيلت والنوش العالمى واللغة العالية ومستقبل البشر .

والصنوبر بوجوههم وأحسامهم البساطون وكذلك بمزاجهم حتى أن منهم
كثيرون يؤمنون في قواعد الأكل والقياس وبقاء الضيف ومعاملة الأيوين والناس أى أن
المبادئ الجاهلي .

والسكر السود - بالغازنة - النواثيون . وأما لتجهوا نحو الفتيات في دنائتهم المتأخراً
تجاوز خيالنا .

وى أوروبا الجنوبية بعد البرج وملذات الطعام والشراب والجنس بين السكان الألبانيين
وى أوروبا الشرقية بعد الجبل والصمت والقتلعة في الطعام بين السكان الانطوائيين .

الخطأ الأساسي في التفكير

التفكير عام يشملنا نحن والحيوان ولكن الذكاء خاص يكاد يقتصر علينا . فان تحرك العواطف يؤدي إلى تفكير أي إلى نشاط ذهني حين ينزع الحيوان لبحث عن الألفى أو الطعام . ونحن ، حين نعلم ، نفكر كالحَيوان . فتبعثنا العاطفة الجنسية مثلاً على التفكير في الجنس الآخر .

ولكن هذا التفكير العاطفي هو أخط أنواع التفكير عندنا . ونحن حين ننساق في عاطفة ملتهبة لا نذكر نحن أننا نفكر . ولذلك ينصح الغاضب أن يعد مدة قبل أن يرأى أو يحكم ، لأن عاطفة الغضب تسلط على وجدانه وتعطل ذكائه .

ولكن هذا التفكير العاطفي المعطل للذكاء هو التفكير العام بين جميع الناس تقريباً . أما الوجدان الذي يؤدي إلى الذكاء بالمنطق والتبصر لقليل جداً . ومن هنا تعسر الناس . أنظر إلى طبيب وصل ، بعد أن وزن جسمه وقدر حاله الصحية ، إلى الرأي بأنه يجب أن يتوق المشروبات في الطعام . فهذا هو وجدان أي منطق وتعلل ووزن للأشياء كما هي تقريباً في حقيقتها . ولكنه بعدد إلى المائدة فتحدث حركة انعكسية يتحرك لعابه عند رؤية المكرونة . فتثار عاطفة الجوع فيغيب وجدانه ويهجم على المكرونة . ولكنه بعد أربع أو خمس ساعات يتذكر هذا الخطأ ويعيد العزم على تجنب المشروبات .

أو أنظر إلى أب يعرف قيمة الرقة والملاطفة والعدل مع الأطفال يرى ابنه يغضب ولا يدرس . فيغضب . ويثيب عاطفة الغضب فيسهره ويضربه . فهو هنا أخمد وجدانه وترك العقل والاحتيايل والرؤية وأحياناً عاطفته .

لأن سقراط يقول إن المعرفة تؤدي إلى الحكمة . ولكن هذا خطأ لأن :

المعرفة مع العاطفة تؤدي في أحيان كثيرة إلى الأجراء .

ولكن المعرفة مع الوجدان تؤدي إلى الحكمة .

حين نسلك سلوكاً العاطفة نكون حيوانات نرى الأشياء رؤية ذاتية كما نصورها

عاطفتنا .

وحين نسلط سلوك الوجدان تكون حكمه ترى الأشياء رؤية موضوعية كما يصورها المنطق والواقع أي كما هي تقريباً في الحقيقة .

أنظر إلى ذات يسوى الزواج ويعتمد على عاطفته الجنسية فقط . فهو هنا ليس بينه وبين الخارج أي فرق . إذ هو يلفت إلى حمرة وجنتها أو إلى ابتسامتها أو إلى ترائي صدرها البارزين أو إلى أن كراتها رخيمة أو إلى أنها تشبه أمه أيام رضاعه حين كان يظن أنه ليس في الدنيا أجمل من أمه . فهو حه عاطفي . والصورة التي في ذهنه عن هذه الفتاة قد صورها هو لنفسه كما يجب أن يراها وليس كما هي في الواقع .

والفكر إلى ذات آخر يتوى الزواج ويعتمد على وجدانه . فهو يسأل : كيف تكون هذه الفتاة حين تصبح أما بعد عشر سنوات ؟ كيف يكون جسمها وعقلها ؟ وهل هي من عائلة خالية من مرض الجسم أو العقل ؟ وإذا كنت أحبها الآن فهل أحبها بعد عشر سنوات ؟ وهل مستواها الاجتماعي يساوي مستواي أنا بحيث لا أشترك ثلاثة في القيم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ؟

وواقع أن العاطفي الأول يتخلى في زواجه . أما هذا الوجداني فإنه يتجح . لأنه قد صورها في ذهنه كما هي في الواقع تقريباً .

وهي على صفا . فإن إخطئه التفكير كما تقوم على أساس واحد . وهو أننا نعتمد في تصرفنا على عواطفنا بدلاً من الاعتماد على وجداننا . وإذا كانت كلمة « كذا » قد بولع فيها تقول إن « هـ » في السنة من أخطاء التفكير تعود إلى الاعتماد على العاطفة دون الوجدان أي الاستناد على السلوك الحيواني بدلاً من السلوك الانساني .

هذه العواطف « - غرائز متبعية » قد ورثناها عن الحيوان كما ورثنا الغيرة . ولكننا لنطلق من الغيرة بالحي . أما العواطف فيسبق منها التخلص منها . وكما كانت الغيرة تنبعث وغدت أم الغاية ومصارعة الوحوش لأنها كانت غيظ بالوجه كالفلة فيبدو غيظاً و كما لو كان وجه أمه . فإن العواطف كانت أيضاً تنفعنا وتقدمنا أيام الغاية لأننا كننا نصلي بها إلى فرار حاسم ندجن لمواجهة العدو أو الصديق .

العاطفة التفكير الأرائجال والبدنية : التفكير الذاتي الأحمق : التفكير الغلاموس .

والوجدان التفكير الروعة والمنطقي : التفكير الموضوعي الذكي : التفكير الهام الخفي .
والآن بعد أن أكدنا سرر العاطفة بالتفكير بقول إن موت العواطف أو انخفاضها يقودنا إلى ما عازم الموت في النفس كما يحدث في الشبحوخة يؤدي إلى انخفاض الوجدان والذوق . بل أكثر من هذا : فالتأ نرى أنه عندما تغلب عاطفة واحدة وتغني سائر

العواطف كما في الجنون ينقص الوجدان أو يزول أي لا نجد في هذه الحال ذكاء . وهذا يجعلنا نرجع إلى ما سبق أن ذكرناه ، وهو أن الوجدان يعود إلى جملة عواطف مختلفة أو متناقضة يؤدي اختلافها أو تناقضها إلى وفاة التردد التي تجعل التردد يحس أنه يفكر وأنه حر يختار من بين عواطفه أو يؤلف بينها ، ولكن هذا التفسير لا يكفي ، وكذلك لا يكفي أن يقال ، كما هو رأى السلوكيين والبالوفيين ، أنه ثمرة الانعكاسات الممكنة . لأن الوجدان أكبر من هذا وذاك . وليس شك أن بذرة الوجدان في الانعكاسات ، والعواطف . ولكن الوجدان شجرة وليس بذرة فقط . ولم لا نجرب ونقول إنه اختراع جديد في الحياة أو حاسة جديدة لفهم الدنيا فيها ، ووعوياً ؟

والخلاصة أن الخطأ الأساسي في التفكير هو الاعتماد على العاطفة دون الوجدان في تصرفنا . وهناك أخطاء أخرى سوف نعالجها عند ما نتحدث عن التفكير الناجع وعوائقه . وقبل أن نترك هذا الفصل يجب أن نذكر أن القوانين نعرف بالفرق بين جريمة العاطفة *Crime passionnel* وبين جريمة الوجدان . الأولى تقع لمحاولة نتيجة الغضب أو الغيرة مثلاً وعتوبتها خفيفة ، والثانية تحتاج إلى « سبق الإصرار » أي الروية والتأمل وعتوبتها خطيرة .

ولم نخرج في سلوكنا بين الوجدان والعاطفة . وليس فيما الوجداني الخالص أو العاطفي الخالص . ولو وجدنا مكان الأول أعظم الفلاسفة ولكن الثاني أعظم المخانين . ولكن على قدر بعدنا من العاطفة نوصف بأننا عقلاء .

وفي سلوكنا نعتمد إما على المنطق الوجداني وإما على العقيدة العاطفية . وكثيراً ما نلاحظ أن المؤمن بعقيدة معينة يكره المنطق كأنه يجب أن يتخذه . كما يحدث للرجل يتعلق بحياته ولا يطق أن يسمع عنها خبراً يشككه في أمانتها . ومن هنا تعلق الناس بالعقائد والتقاليد .

اللغة والتفكير

يقول واضعونا زعيم السموكسين إن التفكير هو كلمات غير منظومة كما أن الكلام هو تفكير منظوم . وإذا لم يكن هذا القول صحيحاً مائة في المائة لأن مما نسلم به كل منا أن التفكير بلا لغة كما يكون معسوماً أو هو لا يزيد على درجة الأحلام في النوم ، إذ لا به معنى من علامة ترميزه في أذهاننا ، وقد تكون هذه العلامة إشارة باليد أو حركة في الحنجرة أو الشفتين . وليست الكلمات سوى علامات أيضاً أي رموز تربط المعاني في أذهاننا . وتثير من استبانة على القدرة العليا يعود إلى اللغة . ولو كانت هذه القدرة ستسمح التعبير بنحو . . . م أو . . . كلمة فقط عن تفكيرها لكأنها كانت لغة تروث والتجمع وتتيح إيجاد حضارة ما . ولكن خرسها يجعل مجهود كل فرد منها مستوراً عليه . فلا ينقل تفكيره إلى ذريته ولا يستطيع النايغة أن يعبر فكرياً حسنة بين قبيلته . وقد ظهر الإنسان البدائي وكان دماغه أكبر من دماغنا ولكننا نغلبنا عليه وأبدناه . ولا نكاد نعرف شيئاً هذه إلا أننا كنا غافلين وكان هو أحرص .

للحيوان صوت ولكن لا تفهم لغة . ندنا ونحن لا نألف في برمجة عند هو إلى الصراع الذاتي الانشعالي وإنما نحن إلى اللداء التوجداني الموضوعي . والدنيا مصورة في ذهنه تصويراً ذاتياً أي كما يحسها بعواطفه . والدنيا مصورة في ذهننا تصويراً موضوعياً أي كما يرتبها وجداننا . وفضل كبير من هذا التصوير عندنا يرجع إلى اللغة .

اللغة جعلت الزمن تاريخياً والمكان جغرافياً . فإنا لا نعيش هذا اليوم فقط بل أنظر إلى الماضي بعين تاريخية قد تمتد عشرة آلاف سنة بل وألف مليون سنة ، كما أنظر بعقل مستقبلي مثل هذا الزمن . والفضل لهذا التوجداني يعود إلى اللغة التي السعت بها أفاق تفكيرنا بأن زادت ذاكرتنا وأفسحت خيالنا .

حاول ألبا الفارسي أن يتخيل فهم هذه المعاني مع الفرض بأنك ولدت أحرص وعشت بين خرس نفس ثم اللغة :

٢ - على بعد ٣ كيلو متراً من هنا .

٣ - هذا الرجل يكذب كثيراً ولكن أكاذيبه يفضه .

٤ - لون الخياط أحمر يضرب إلى الصفرة .

ويجب ألا تفترض أنك أعمى تعيش بين ناطقين ، لأنك في هذه الحال تسمع الكلمات وتعرف أنها رموز لهذه المعاني . ولكن افترض أنك أعمى بين عمى لم تسمع قط كلمة ولم تنطق بها . ففي هذه الحال يستحيل عليك تقبل هذه المعاني . ومن هنا نعرف أن اللغة إذا لم تكن هي التفكير نفسه فهي التي تربط معانيها وتسهل التفكيرها . وهي التي جعلت الوجدان مستقاعاً إلى أقصى حدوده الحاضرة في أذهاننا .

١٩٩٩ في الألف من التفكير أي من نشاطنا الذهني هو ثقافة موروثية . أي كلمات موروثية . ونحن إزاء المجتمع كالطفل إزاء عائلته . ينشأ رضيعاً فيها ويتعلم منها كلماتها ويعود عاداتها الذهنية والنفسية من أفرادها . وهو أيضاً يعطى كلمات طفلية . ولكن ما يأخذ من عائلته يزيد ألف ضعف على ما يعطى من كلمات الطفولة . وهذا شأنه أيضاً في المجتمع قد يعطيه أحداً كلمة هي ثمرة تفكيره الخاص ولكنه يأخذ من هذا المجتمع نحو عشرين ألف كلمة أي عشرين ألف معنى .

وهنا أرجو القارئ أن يقرأ كتابي « البلاغة المصرية واللغة العربية » فقد أوردت هناك قصة فتاتين خطبتيهما ذئبة ، ولكن بدلاً من أن تتحرك في الذئبة عاطفة الجوع فتأكلهما فحركات عاطفة الأمومة فأرضعتيهما . فشأت كلأهما خرساء . وسلكتا سلوك الذئاب حتى انتهى على ساقين لم يعرفاه . وبعد أن قبض عليهما بقيتا سنوات قبل أن تتعلم السلوك البشري بالكلمات البشرية . فكانت كل كلمة رمزاً لسلوك معين .

ومن هنا ندرك أنه ليس تفكيرنا فقط قائماً على الرموز اللغوية (الكلمات) التي نحدد وتعين المعاني بل أيضاً سلوكنا الاجتماعي . لأن الكلمات التي نكرر لنا تعين لنا اتجاهات نفسية نقرر بها سلوكنا .

وسمع كل هذا الذي قلنا ليست اللغات كاملة ، فإن نقاضها بل ردائلها كثيرة . وليس هذا عجيبة لأن ما قلنا في القرون الأولى لاختراعها . فهناك مثلاً الكلمات الوجدانية الموضوعية . وهناك الكلمات العاطفية الذاتية . فإن الأولى تنطق عالياً وتلفظها ، والثانية تخاض فيها ولا تدرى المقصود منها . أنظر إلى قول النبي :

ومن يك ذا قم مر مريض يهد سراً به الماء الزللا

لنراه هذه تعود إلى الحال الاشعالية في شارب الماء . فإذا كان أحدنا سليماً وجد الماء
الزلال زلالاً . ولكنه إذا كان مريضاً صار هذا الماء برا . وليس به مرازه . وإنما علة
المرارة هنا معناه السيئة .

فالكلمات إما موضوعية تعين لنا شيئاً ليست له بمواطننا علامة مثل كرسى وسحاب
ومسند وشارع وحمار . وإما ذاتية تحكم عليها بمواطننا مثل جميل وبيع وشريف وشرع
ومجهول وغيره . فإن كلا منا يختلف مع الآخر في معاني هذه الكلمات .

والكلمات حتى بعد كل هذا رموز كما أن النفود رموز لقوة الشرائع . وكما تكون
النفود موهبة أو ممنوعة أو زائلة كذلك تكون الكلمات . وكثير من الالتباس يعود إلى
أن بعض الكلمات قد اتسعت معانيها بالتقادم . لأنها نشأت في مناخ ثقافي قديم . ونحن
نفس هذا عندما نقرأ كتاباً قديماً مضي عليه ألف سنة مثلاً . وكثير منها زائف كما نرى
في عصاة القصص حين تصف أحد أفرادها بأنه « شبيه » . والشبهة هنا معناها أنه
بأنك . وعندما نجد الذين يختلفان في جدال عن الخلق والتطور أو عن الاشتراكية والبرادة
أو عن الحق والباطل فذلك واجد بعد التأمل أن كثيراً من الخلاف يرجع إلى كلمات ذاتية
لا يتفقون على معانيها حتى أنك للجد أحدهم يسأل ماذا تنصدم بالمساواة ؟ أو ماذا تعني
بالقوة ؟ وغير ذلك .

ومهمة العلوم أن تنقل المعاني من الذاتية إلى الموضوعية . فإن السيكولوجية علمتنا
مثلاً أن نقول إن درجة الذكاء في هذا الصبي ١٠٠ ، أي عدد معين تنفق عليه كما بعد
استحقاق . بدلاً من أن نقول أحدنا إنه ذكي أو متوسط أو ناقص وهو يعتمد في ذلك على
معاييره الخاص . وكذلك المعاني : حر وبرد ، وقيل وعطش ، وسريع وبطيء ، وسمين
ورقيق . فكلها جميعها من المعاني التي تختلف بشأنها باختلاف نظرتنا الذاتية . ولكن العلم
يشلها من الذاتية إلى الموضوعية بالأرقام .

وكثير من الكلمات يحرك الفعالات كما لو كنا نهتز بسنة كهربائية . فإن كلمة « مروه »
تحرك وجداننا إلى الخير . وكلمة « عرض » أو « دم » عند الصعابدة في لنا وجرجا تحرك
العواطف إلى القتل .

وإذا كنا أن نفاضل بين لغة وأخرى فإن قياس الفاضلة يتخذ ألباب مختلفة .
فستطيع أن تقول مثلاً : هل هذه اللغة علمية موضوعية أم أدبية ذاتية أو هل الكلمات
الذاتية كثيرة والكلمات الموضوعية قليلة بحيث يصير تفكير المتكلم عاطفياً بدلاً من أن
يكون وجدانياً ؟ ونكلمة أخرى :

هل اللغة في أكثرها وجدانية أم عاطفية . وعلى البلاغة التي يقع أساليبها الكتاب
بلاغة العاطفة أم بلاغة الوجدان ؟

وكثير من الضمير ينشأ من التعبير العاطفي في مناقشات السياسة والاجتماع والدين .
والفكر الحسن يحاول أن يتجنب الكلمات العاطفية الذاتية ويستعمل بدلاً منها الكلمات
الوجدانية الموضوعية . ولكن ليس هذا مستغنياً على الدوام ، لأن الكاتب مشد
بالكلمات .

ولكن يدرك القاري تأثير اللغة في السلوك الشخصي والتفكير النفسي والفهمي .
يجب أن يذكر كلمات عنفوت وبيع وأبو رجل مسلوخة والفتة السوداء . في سلوك الطفل
الذي يخاف الظلام لأن هذه الكلمات . وهو حتى عندما يبلغ الخمسين والستين من العمر
سيخشي الظلام أيضاً ولو أنه لا يؤمن بالعفاريت وغيرها . لا بل أكثر من ذلك . فإن
كثيراً من البحث عن الأرواح يعود إلى هذه الكلمات التي تعلماها في الطفولة .
والكلمات : مروه ووطنية وعرض وير وشرف وشهامة وثأر ورشاقة وغيرها أثر في
لفوسنا بعين سلوكنا الاجتماعي القوي أو البشري كما بعين سلوك الطفل في الظلام بجملة
عنفوت وغيرها .

فالإنسان حيوان لغوي . وعلى قدر ارتفاع لغته بالكلمات الموضوعية الوجدانية يكون
ارتفاع تفكيره . وأيضاً إرتقاء سلوكه الاجتماعي . وإلى حد ما وفي ظروف معينة يصح أن
تكون اللغة مقياساً للذكاء . بل أيضاً قد تكون الكلمات سبباً لأسراض نفسية لأن بها
شحنات عاطفية قوية تسمى في النفس . والمتعصب الذي يقتل من يخالفه في الدين
إنما يقتله من أجل كلمات .

الكظم والعقل الكامن

كنا نعرف أن الكظم الكامن بعد خطراً ، لأنه قد يفجر في أي وقت . واخذه حسد
لغضب مخفي أي يكظمه . والمعنى الواضح أن عاطفة الغضب لا يمكن أن تموت بالكظم
إذ هي تليق تحت الرماد ثم تعود عندما تحين الفرصة فتضرم .

ونسر هذا شأن عاطفة الغضب وحدها . فإن جميع العواطف تليق حبة مشرقة
مستورة إما أن تتعاقب فيروز بشكل مستمر فتخرج إلى بحث حتى تكشف عنه وتعرف
أسرارها .

أعبر طفلاً نسمع نداء اللعجات في الشارع فيطلب من أمه أن يشتري لعبة .
ويرفض أبوه . يكظم الطفل غضبه . وبعد دقائق يعادته أخوه الأصغر حديثاً برساً . ولكن
هذا الطفل المكظم الكظم يرد عليه بكف متحلب عن وجهه .

أو أعبر نفسك قد خرجت من البيت في الصباح وأنت غاضب لسفوك الأولاد أو
الخادمة . فيطلب منك كمساري الترام من التذكير في كلمات عادية . ولكنك تجد أنك
تتبره وتتجاهل معه . لأن غطائك الذي كضمته في البيت قد كن وتبره حتى وجد الفرصة
لا بل هو قد خاف الفرصة من لاتي تقريباً لتففس .

وحياة الحضارة سداد تكون بها كظماً إذا فوجئت بجاء الحيوان . وهي كذلك .
لأنه نعيش في مجتمع ممدد كثير الزواجر . نحن نكظم الشهوة الجنسية ونكظم الرغبة
في السط أو السيطرة ونكظم الخوف . ولعين جميعنا في مباراة للكسب والوجاهة
تجعلنا نكظم كثيراً من عواطفنا .

وهذه العواطف المكظومة لا تموت كما رأينا في الطفل المبروء من الحوى اللطيف أو
في ذلك الشخص الذي يفرج غاضباً من يده . ولكن في هذين المثالين رأينا تقريباً
سريعاً تشاحيرة مختلفة مع الكمساري أو بإبداء الأخ الأصغر . ولكن في حياة الحضارة
التي نعيشها لا نجد مثل هذا التفريج السريع . ولذلك تكمن هذه «عواطف في » الغزل
الكامن - الباطن - أي في الكلفة .

والعقل الكظم هو مجموعة عواطفنا الخزونة المكشوفة ، ونحن نسمى الحوادث أو الظروف التي أحدثت الكظم . كما أن الطفل حين ضرب أخاه لا يكتفي بعرف أن الاساءة الأصلية لم تكن من أخيه بل كانت من أبه الذي حرمة القرص لشراء الخلق . و بذلك الآخر الذي نشاجر مع الكمساوي لابد أنه دافع عن نفسه وحسب نفسه بريئاً لأنه تسمى أن الاساءة جاءت من الميت قبل أن يتوحد في الصباح .

وقد تنقل وطأة الكظم فتؤدي إلى الأجرام أو الجنون . كالغيرة في الزوجة تصلها على ارتكاب الجريمة . والخوف الدائم . أو التردد . يصير حتماً لا نطاق حتى يجرى صاحبه إلى الفرار منه باحتمار . أو أحياناً بالنسيان التام كما حدث فيس في محادثة في نورمبرج بالمانا .

وهذه العواطف المكشوفة تزور في سنواتنا وتعين تصرفاتنا في الحياة من حيث لا ندرى . أي أنها تتغلب على وجداننا ولوم لنا التجاهات وسوفاً لا نستطيع أن نقف على ما كنا . وبصدرنا إلا بالتحليل النفسي أو ما يسمى « سيكولوجية الأعماق » لأنها تسير في غيبوبة وجدانها . وفي حياتك منذ أن تولد تصادف مخاوف ووسوس ومخازي وانهايات تقع بنا في السنوات الخمس أو الست الأولى من العمر حين لم تكن قد شيدنا وصار لنا وجدان تجاه به الدنيا وتدريب وتفكر فيها بوقية . أو قد تقع بنا حوادث خطيرة وعقبة حتى ونحن نبار قد بلغنا العشرين أو الثلاثين . وهذه الحوادث ، كالتنال في الحرب أو انهيار منزل في غارة جوية أو إفلاس لا رجاء فيه أو شك لا نطاق . تلغى وجداننا وتلير لنا غاضبة الخوف التي تكظمها لأننا مضطرون إلى أن نتخذ مواقف الشجاعة والتمالك والتجمل . ومنه نلج يتقدم الخوف إلى العقل الكظم ويتخذ أسلوباً معيناً يظهر به .

أعبر الأمثلة التالية :

١ - شاب نشاجر مع أخيه وتغلب عليه هذا الآخر . وهو لا يخلق عنه الخصال التي يرى نفسه فيها مهزوماً سواناً . فهو تسلل لأحلام اليقظة حيث يتخيل مواقف يشرب فيها هذا الخصم أو يتصر عليه بالحجة الدامغة .

ثم اعتبر هنا جميع الخطوط التي تمر بذهولنا في أحلام اليقظة حين يحدد الوجدان لتخيل مواقف لذيذة ترتاح إليها . فأنها جميعها تدل على عواطف مكشوفة وأمان محسوسة لنفس عنها بهاء الأحلام في اليقظة . وهذه الخطوط تعوضنا أي تعوضنا من آلام حياتنا .

٢ - وأحلام اليقظة لا تكفي . فأننا في النوم نعلم الأحلام التي تجري على مبدأ

والخيل حلم بالخمر - أي أن الذي كظم عاطفته الجوع في الصبح يحس الطعام في النوم وهذا هو البراءة لعدم اللاعلاء : تفريح عن عاطفته مكفوفة .

ج - وأحياناً حين يتردد علينا خوف - أو هم - مكفوف نعود إلى الحرب منه بالخمر حتى ننتبه . بل أحياناً تهرب بأنواع مختلفة من السلوك كالنكس والرهبة . والتسوية السراب هي في النهاية الانتصار لذاتية على الموضوعية أي انتصار للعاطفة على الوجدان . والرهبة هي حرب من مجاهدة الواقع في العلية .

د - وأحياناً يكون الحرب من الكظم أي التفريح عنه بالزنى الأخلاقي كالعبادة السرية عند الغروب من التعارف الجنسي السوي . بل قد يلجأ هذا الغروب إلى ألوان من التعارف الجنسي الساذج .

هـ - وأحياناً يؤدي الكظم إلى الأجرام الصريح . بل إن جميع الجرائم تعود إلى كظم لأن الجريمة هي في أساسها تفريح لكظم سابق . ويجب ألا ننسى أن ما نسميه جرائم - قد لا يكون كذلك في اعتبار آخر . فإن الشهداء كانوا يجرس في أعين الناس وقد كفوا الأيمان طويلاً ثم باحوا .

و - ولكن هناك ألواناً من السلوك تستر . كأنرجل لا يباشر عملاً . أي عمل . إلا ويغيب فيه . وعند التحليل نجد أنه يغيب . لأنه في كرامته يكره زوجته ويرغب في الحيلة حتى لا تنتزع هي بنجاحه . وكانشاب المدلل يقدم على الانتحار كي ينتقم من أبيه . وأحياناً نجد جندياً في الجيش قد سلبت ذراعاه حتى تقطع لحمها فلا يحس . وهذه هي المسخريه . وعند التحليل نجد أنه نظم الخوف في الحركة ولكنه لم يطق حاله لئلا يله عقله الحامن على هذا الشلل حتى يجد فيه الراحة بترك الحركة . لأنه . من حيث لا يدري . كان يتمنى سبباً يمنع من القتال .

ز - وأحياناً نجد المجنون الذي يصرح بأنه ميت أو أرمي أو مدير لأحدى الشركات لأنه كان تاجراً وألغى عن الإفلاس أو أفلس فلم يطق حاله . فالتقى به عقله الكامن إلى عدم السعادة الخيالية التي استقر عليها ووجد فيها راحته وعزبه من غاونه .

ولكن أذكر أياً القارئ أن كلنا هذا المجنون . والفرق بيننا وبينه درجي . لأننا نخجل في أحلام اليقظة وأحلام النوم هذا التراء الفاحش والوجاهة العظيمة . وأذكر أن التلميذ الذي يكره المدرسة يدعى التلميذ كالحمد الذي يجد المرض . الأول يدعيه بوجدانه والثاني يدعيه بكميته . والخمسة في السلم والحرب نعلمنا على أن نكظم عواطفنا . ولكن

العاطفة مودة كالبحار الخسوس إذا لم يخرج من الأنابيب الأصلية المعدة له تملأ عن مسارب
نفسية أخرى يتسلل منها ، حتى ولو أخذ هذا التسلسل صورة الأدب أو الشعر ، فإن
كتاب ألف ليلة وليلة هو في صميمه أحلام الجانحين المحرومين من الطعام الفاخر والزينة
الجسدية والفنم النظم . والمعار أبي العلاء المعري هي زهد المحرومين من الدنيا الذي يجد
الحصرم عنها . والنكاح الجنسية التي يتزوج بها الشبان وقت عزوبتهم تدل على كظم جنسي .
والإصرار على التناول قد يكون أحياناً مهرباً من التشاؤم المفرط الذي تصرخ به نواحر
الأحوال ، لأننا نفرط بالخفاف نؤمن بالفرح ونجهد الراحة في هذا الاثنان .

وقد سبق أن قلنا إن كل الالتواءات في التفكير تعود إلى أن نجاهد الدنيا ونعاسل
الناس يعواطفنا بدلاً من وجدنا . ولكن هذه العواطف إما سافرة فنعرفها وإما مستورة
فتجهل أصولها لأنها في العقل السكتم . وهي ، لأننا تجهلها ، تنساق في تيارها ونجد أنها
منها ميولاً واتجاهات وتصرفات تدافع عنها بالوجدان ونبررها بالنطق حتى ولو كانت سبب .
وقليل جداً من تصرفات تعود إلى الوجدان و ٩٩ في المائة من تصرفات تعود إلى العواطف
السافرة أو المستورة في العقل السكتم .

أنظر مثلاً إلى سلوكنا حين نتعصب ضد أشياء أو نستعرض أشياء نكرهها ولا تنفك
نستع عنها . فإن أغلب الظن أننا في كتماننا ، نفس ميلاً مكظوماً نحو هذه الأشياء نفسها
كما يقول برنارد هارت . ويعلق ولو في كتابه « علم الحياة » على هذه الحظنة بقوله في
صفحة ٩١١ :

« قلما يكون أولئك الذين يمدحون الاستعصام الخفيف على السواطي أو الذين يعارضون
في اتخاذ النساء لملابس لا تتفق مع الحياء ، في زعمهم ، قلما يكونون من الحكماء الذين
استطاعوا أن يضبطوا رغباتهم في تعقل . وهم في العادة بعض أولئك الذين كظموا غرائزهم
العنيفة وكانهم على إحساس شامض بأن هذه الدوافع التي لم يضبطها العقل وبوقوعها ،
تؤلك أن تجمع بهم وتقتلهم من موقفهم الأخلاقي . »

فمن هذا المثال يرى القاري أن هناك أنواعاً من النشاط تبدو بريئة ولكنها تدل على
الحماق مسنورة .

أو أنظر مثلاً إلى ازدواج الشخصية حين يسلك أحدهم ذاته في يوم جاكل وفي يوم
آخر هايد . فإن هذا الازدواج يعود إلى أن السكينة قد احتضنت فيها شهوات ورغبات يحلمنا
الاجتماع على إنكارها . فإذا بها في يوم ما تطفئ بنا فتشفي شخصيتنا الاجتماعية التي نعيش
بها وتبرز في شخصية أخرى هي التي كنا ننساها في أحلام النوم والبقلة .

ويجب أن نعرف ثلاث حقائق عن العواطف وأورها في الحكمة :

الأولى : أننا حين نكلم ، ونحن على وجدان بالكلم ، نحس قلقاً وتزعجاً ، ولكننا نحصر بالأسباب ونستطيع لذلك العلاج . ولكن إذا كانت العاطفة مبهوتة قد التفت إلى الحكمة فأننا لا نحصر بالأسباب فنحس قلقاً وتزعجاً لا ندرى أصلها ولذلك نحتاج إلى الدليل . وبهذه أخرى نقول إن الكلام مع معرفة السبب يسيل التخلص منه . ولكن الكلام مع جهل السبب يصعب التخلص منه .

والثانية : أن العاطفة المكفومة قد بقي في نوم أو خدر سنوات ، ثم تنبذ بالعدوى . كالأم التي قدمت إليها قد تعود إلى ذكره بعد عشر سنوات لأنها سمعت أن فرقة أو صديقة لها قد قدمت إليها .

والثالثة : أن الكوارث منها لمحت لا تؤثر في النفس كالحوادث اليومية المتكررة الطفيفة . ولذلك نستطيع الأم أن تفقد وحدها وتكلم حزنها وتستيق عقلها . ولكن الزوجة النارية تفقد عقلها لأن حماها يوجبها كل يوم ولنا لها في مسائل تافهة . أو لأنها تجد أنها تذاق الصغيرة من زوجها أو غرضها .

الأحلام ومغزاها

نضطرنا المحاضرة إلى أن نكتب عواطفنا. نتعذر هذه العواطف في كتابنا النفسي إلى أعماق لا تسبرها. وبمجموعة هذه العواطف المكثومة نسميها «الكلمة» أو العقل الذكي. لأن هذه العواطف المكثومة ليست بالكلمة ولكنها كلمة مترصلة. وهي - من حيث لا ندري - تؤثر في سموتنا وتصرفنا وتوجهنا وجهات في الحياة تعجز عن تعليلها إلا بعد التحليل الشاق.

ومهما قلنا أننا نحسن الحياة الوحدانية الموضوعية المنطقية لثنا في الواقع لثنا في جوانب هذه الكلمة ونعيش هذه غيرة عاطفية استغرافية، أي فائقة على عوى معين. فنؤثر ألسنا على ألسنا ونجرو سلوكنا بالوجدان. وقليل منا بل قليل جداً يستطيع أن يكشف عن جوانب هذه الكلمة وبسط وجدانه على سائرته.

وهذه العواطف المكثومة تبدو لنا مألوفة أو كاشفوفة وقت الاسترخاء، أي حين يزول عنا التوتر النفسي الذي يطالبنا به الواجب والنضيفة والشرف والمروءة. أي حين يزول عنا الوجدان الذي نكتب به عواطفنا. فبعد الغداء مثلاً حين نقبل أو حين نأوى إلى الفراش نيل النوم في الليل نسترخى ونفزع عن عواطفنا الخبيثة فنجد أننا نتخيل خيالات تسعد بها وقد يكون بعضها مائفاً. وعندما يتم هذا الاسترخاء في النوم نحلم أحلاماً تجد فيها العواطف المكثومة أوسع المجال للتعبير بل العريضة، أي أن ما لا يحيزه لأفئتنا بالوجدان في سحوتنا نستطيعه بالحلم في نومنا.

وحين نتحدر في النوم إلى درجة التطور الخيالي حتى أننا في الأحلام نجد التفكير يجري بصورة مثالية خالية من النكبات إلا قليلاً جداً. لأن اللغة طور جديد راقى في البشر والحلم هو رتبة إلى العواطف التي لا تحتاج في تعبيرها وعرضها إلى لغة.

ولما كان الحلم غالباً في الأغلب من الحديث والنكبات فإنه يسير بالرموز. ومن هنا الصعوبة في تفسيره. كما أننا نستطيع أن نستبره في التوقف على نشأة التفكير عندنا. فإنا نلظر إلى الداء في الحلم «كما لو كانت كذلك». أي أن الإنسان البدائي حين واجه

الذي وهو عاجز عن فهمها صار يحاول هذا الفهم على طريقته . كما لو كانت كلماته «
والسقاء مثب كعدت عليه الآفة والرعد إلى غاضب يزعم . وصار يظن أنه يستطيع أن يقتل
الحيوان بأن يرسم صورته على الصخر وفي نقشه حربة . فهو يمكن يستطیع أن ينفذ على
هذا الأسياء فصار يقول فهمها بأن يفرض أنها على حال مستبعدة من مأساة اليوسية .
وهن حين ترى الحلم ملغماً خائلاً بالرموز التي تحتاج إلى التفسير إنما ترى في الحقيقة محاولة
بسرعة بدالة تتذكر . ومن الحلم يعرف كيف نشأت اللغة بكلماتها أي رموزها كما تعرف
النبوءات الخشاً في كياننا النفسي . هذه النبوءات التي نكرها في دجونا لأن وجداننا
يطالبنا بالمشي في وسط الحضارة فتشب هي في نومنا .

وليس هذه الرموز مع ذلك سهلة . أنظر إلى رجل يحلم أن تعباً غليظ يرمي عليه .
فهنا لا يوس يدل على خوف مكظوم . وأنظر إلى امرأة تحلم أن تعباً يمسك بها . فالرمز
هنا جنسي يدل على التنبه الجفيس الآخر . فالرمزية هنا واحدة ولكنها تدل على حال
تعبية مختلفة بين الاثنين هي الخوف عند الأول والسبوة عند الثانية .

أو أنظر إلى زوجة تحلم حليماً متكرراً بأنها تعود طفلة للمعب مع إخوتها وأمه . فهنا نفس
كأزمة للحاضراتي نسب الزوجية تود أو تعود إلى أيام الصبا . ولعلهم من هذا الحلم عاشقة
سنة مكظومة نحو الزوج أو الحياة الزوجية عامة بما فيها من حماء أو غيرها .

أو أنظر إلى رجل يحلم أنه قد نجا من الخشب ولكنه ركبت يصعد إليه فتصطك
أجزاءه وتترجح كما لو كان يوصله على السقوط . وبعد حديث قصير نجد أنه كان في بقلته
ينكر كثيراً في مشروع يرغب في القيام به ولكنه يخشى الخيبة والفشل . فلهذا خوف
مكظوم له رمز إليه في الحلم بيت وركبت متخلف .

وكثيراً كانت العاطلة مكظومة في الصحو يكون الانفراج بالحلم في النوم . أي على قدر
الكظم والصور يكون الانفراج والتفليس . وفي الحضارة القائمة بكثر الكظم للعاطلة
الجنسية . ولذلك نجد معظم الأحلام هذا الاتجاه في التصريح وخاصة عند الشبان والنشوات .
أنشأ إلى هذه تعلم هذه الأحلام الثلاثة :

١ - سجل نسب على شجرة .

٢ - ساق ولغناه دفء زان .

٣ - ترى والدها يصب البنز في الأموسيل .

في الحلمين الأولين الرمز واضح يدل على جوع جنسي مكظوم بالغ رموزا مزين

النظر من . ولكن الرسل مستتر في الحلم الثالث . وهو يحتاج إلى أن نقول إن الفتاة تنظر إلى والدها باعتباره يمثل الذكورة وصاحب البنزيم في الأتومبيل مثل شبيهه (كما لو كان كذلك) لمعالجته الجنسي بين الرجل والمرأة .

واند قلنا إن تصرفنا أو سلوكنا في الحياة يتأثران بالحكمة أي بهذه العواطف المحبوسة للحكمة . انظر إلى الحلم الثاني :

كان أحد الأطباء الشبان يرفض الزواج ويتعلل بأن حالته المالية لن توفر له المعيشة لفتاة في الزواج . وجدت ذات مرة أنه كان ينحصر عن صبي مريض بالسبل . فلما خلع الصبي ملابسه أحس الطبيب أنه نذل . وعلمته هذه الحال الفالجية على أن يقصده إلى سيكوجي ويقص عليه ما حدث . وبعد التحليل أفهمه هذا السيكوجي أنه مصاب بشهوة جنسية . وأن هذا الشهوة هو العلة الحقيقية التي تمنعه من الزواج .

لينا طبيب في مركز اجتماعي يطالبه بالوقار والاستقامة قد حبس عاطفته شاذة وبيع في إحتوائها حتى على نفسه . ولكنها في تحد شاب فيها الوجدان وأبت وحقت وجودها . وكان يتعلل بعلى كاذبة للاستناع عن الزواج . فلما اتضحت له الحقيقة رأى الحلم الثاني :

رأى أنه على باب مرتضى معين . وقد خرج أحد مرضاه وسعد خطيبته وكان هذا الخطيب مديناً له . فوقف الألمان يحدثان الطبيب ورفع الخطيب صوته يقول إنه سيؤدي دينه . والتفسير أن الطبيب بعد أن عرف علته استخدم وجدانه في تقفله وحديث نفسه بضرورة الزواج . وارتضت عاطفته الجنسية هذا الانقلاب بعض الشيء . ووقف الخطيب يقول للطبيب ما معناه :

« لا تقل الزواج من الناحية المالية التي تتعلل بها كاذباً . فاني أنا مدون لك وسأؤدي ديني . وسيفعل مثلي كثيرون هنا . »

ومعظم الأحلام تتبناها عقب البقطة . ولكننا إذا تركنا الاسترخاء يطول فلما وتركتنا الخواطر المطلقة تتداعى بلا ضابط استطعنا أن نستعيدنا . نفهم مغزاها . أي أننا نستعيد الحلم بأن نستعيد حال النوم أو ما يقرب منه بالاسترخاء الأعضاء وترك الخواطر المطلقة بلا ضابط كما لو كانت حليماً . والعادة الغالبة أنه تكون هناك علاقة بين الحلم وبين حوادث اليوم السابق . ولكن ليس هذا محنوماً .

وفي الحلم تبرز العواطف المكثومة ولكن على مستويات قديمة ربما تعود إلى حال الإنسان قبل أن يخرج من الغابة . كما تبرز في العنفل يسقط في الحلم من مكان عال كأنه يعيش على سحبه . فإن خوفه هنا من صبي يضربه أو رجل متهرب قد ألغى هذا المستوى

اللامع حين كان الانسان لا يزال مع القرد يعيش على الشجر ويفتحى السقوط ، أو انظر إلى ما جر جنسي الانكسار ، انه يرى في الحلم أنه يغرق في البحر ، أو انظر إلى زوجة تكره حبلها وتقتله ، فلما تجد دايوسا في حلمها هو ليوم أو ليلة تزيه بها نفسها .

ومن الأحلام التي رأيتها في شاب متدين يستمع بطرب العفيدة وتسوتها الله في الحلم جد هذا الشرب وم استحال إلى طرب جنسي مافج ، وهذا هو ما تنظر بعد التأمل اللليل لأن الأحلام تعبر عن العواطف المكفومة وتنعبر إلى المستويات القديمة ، وأندم أنوان الشرب عندما هو الطرب الجنسي .

لا بل أكثر من هذا . فالتطرب الجنسي عام عند جميع النيان ، وهو ما تتساقى به كي تصل به إلى الطرب الثاني أو الديني ، فإذا كان موضوع الحلم نيا أو عبيدا للحر إلى المستوى الأدنى وهو الطرب الجنسي . فصار التعبير جنسياً ، ومن هنا تفسير الشهوات الذي وقعت فيه بعض الشرف الدينية القديمة ، ومن هنا اتصال البغاء ببعض المعابد الوثنية لديها وحسباً .

والأحلام مدهشة لأنها تفرج وتلمس وخصمان للكلم والنور ، والحلم لنا كالحلم . فمن لأوى إلى أرائنا متوزين من بعضين فتلعب وتخرج في الحلم بملات مارة اضرب فيها حصيد أو تسبح فيها جوعاً جنسياً أو تروح فيها وربة حظ أو نحو ذلك ، فلستفك في الصباح مرتاحين متوسطين قد تجدد لنا شغل وأحياناً تجدنا مقتنين بهم لا نعرف سببه ، وقد يرمع هذا إلى أننا حاولنا نطلم في مشكلة معينة ، والكلم هو ربة وفيد وجنس للعائقة ، ولذلك هم هذا الكلام أحياناً ستر نشاطنا فكري الحرة والعمل ونسملنا جوعاً ، ولو كنا قد وقفنا إلى حلم الفرجي لاستيقظنا نلطين سعاداً ، وبالطبع ليس الحلم تفريجة كاملاً لأننا في الصباح نعود إلى الشككة ، ولكنه بعضنا بعض الراحة بعض الوقت ، أما التفرج الكامل فهو التحول إلى أننا نضع المشكلة أمام الوجدان ونحلها الحل الموضوعي المنطقي .

وأحياناً يؤدي الحلم إلى حل مشكلة نالقة ، لأن الكلام الذي نمارسه في الصبح نلسمع أنه كائن له صميم حواشيه فنعجز عن التفكير ، كما نرى في الخائف الذي يجلس من الخوف ، وإن كان الحلم يتكون روابط هذا الكلام ويوده لتطلق الحواش وتنداعى لتبسط على حل .

وهنا يجب أن نتصح نقاري بالآ يروي حلمه ، بهذا الله يربنا ، لأحد إلا إذا وثق من كونه لأن أسط الأحلام قد يكتفه كما لو نوح بسر كان يجب أن يلفيه .
وحدة الحلم عندما يقص حلمه لعل على مغزي الحلم ، اعتبر مثلاً رجلاً يقص عليك

أنه رأى في نومه أنه يتنجر وأنه كان في الشمس والجنابة خشفه . ثم آخر يقص عليك مثل هذا الحلم . فإذا كان أحدهما يقصده وهو يضيعك لربما فهو بلا شك ينوي الانتحار لأن الموت لا يؤخره بل يقربه . أما إذا كان يقص الحلم وهو متأملاً يتصور من التفاصيل التي يبردها فحالته هذه تبعث على الضائقة . أي أنه ليكر في الانتحار ولكنه لا يزال يخشى الموت والأعقاب أنه لا يعرف على الأقدام عنه .

وأحياناً تنور بنا الكسنة وتتغلب على وجداننا . فتهب من الفراش ونحن لا تزال في النوم ونؤدي أعمالاً مختلفة في البيت أو حتى نخرج إلى الشارع . ونؤدي حركات مسيئة . وكثيراً ما يقع بعض الناس في أخطار هذه الحالات .

وأحياناً تنور الكسنة أيضاً وتتغلب على وجداننا . فإذا كان أحدهما يكره زوجته فإنه ينسى البيت ولا يعرف الشارع الذي يقع فيه . وقد بقي على ذلك شهوراً أو سنوات . ثم يعود إلى وجدانه . ولهذا تزوج شخصيته : الشخصية الأولى التي يعرف بها بيته وزوجته وأولاده . شخصية الوجدان الأولى عنه . ثم شخصية أخرى تتغلب فيها كمنته حين يلحق بيته وزوجته وأولاده .

والخير أن تغلب الكسنة أحياناً تغلباً تاماً على الوجدان بالسيكوز أي الجنون .

ونقد آتونا عبارة العقل الكاس على عبارة « العقل الباطن » لأن الكمون تنطوي على معنى التبرص والنشاط . وهما صفة الكسنة . ولكن عبارة العقل الباطن توهم الركود والجمود وليس هما من صفات الكسنة .

الكابوس وأسبابه

قليلٌ منا من لم تعرف الكابوس . وهو حلم مثل سائر الأحلام يدل على أننا نكظمنا عاقله فلما ننا وزان على الوجدان برزت وحقت وجودها . والبدء العام في الأحلام وهو أنها تخفى تهوؤ أو رغبة مكشوفة يتضح في الكابوس كما يوضح في أي حلم آخر .

فالحضارة التي تعيش فيها تمنعنا من التعبير عن غاوتنا . فالتلميذ مثلاً يكره الامتحانات ويخشاها ويود لو يمر منها . والجندى يخشى المعركة وهو يتخذ موقف الشجاعة مضطراً . والموظف الذي تلاعب بأسوال الحكومة يخشى الانفضاح . والأم تخاف الاختبار العبدية التي يلقاها ألبا في الشارع . والثالى يخشى الافلاس وهو دائم الهم بشأن الأسعار والأسهم . والمريض يخشى الموت أو مشرط الجراح .

وكل هذه الضموم نكظمها ولا نتحدث أو نفصح عنها وكأنها أسرار مغلقة في نفوسنا لا نحب أن أهدأ نعرفها لأنه يعرنا بالخبير أو بغير ذلك من الرذائل . فإذا ننا استباحنا عاقله الخوف طريق الانفراج . ولذلك يصرخ التلميذ والجندى والموظف والأم والمالى والمريض وهم في صراخهم لا يعلمون بالشككة التي كانت في مجموعهم سبباً لهذا الكابوس في النوم . لأن الأحلام تتخذ أساليب قديمة . فالتشككة العصرية بشأن الامتحان عند التلميذ أو البورصة عند المالى تتخذ أسلوباً قديماً يمثل الانسان (بل الحيوان) البدائى في الغاية أو ما يقارب هذا في الرمزية . ولذلك نجد هؤلاء جميعاً يكون أو يصرخون في النوم لأنهم يرون وحشاً يترفض بهم الموت أو ما يرمز إلى هذا الوجدان من رجل يحصل سكيناً بطلب ضمهم أو نصاً تحم السرير يسعد الموتوب .

وقد سبق أن قلنا إن الانسان في نومه يلقى وجدانه وتبقى عواطفه والعكساته . فهو في حال تنكيرية وقت النوم تشبه الحال التنكيرية للزواحف والسمك وقت الصحو . واستجاباته تشبه استجاباتها . ولذلك تجري الأحلام على منطقي قديم وإن كانت البواعث التي أثارها عصرية .

وهن في معاملتنا للاطلاع كثيراً ما نقول : « ما تخافين » ما تصرخين . ما تعيطين .

خليله شعاع . « والطفل يخضع ويضاع ويكته خوفاً . ولكن الصراخ كان شهوة طبيعية عند الطفل . فلما كظمها وجدت الانفراج في النوم بما تسعد الكابوس . ولذلك لمعل الجندی الذي منع من الحرب والأم التي منعت من الكاء الخ .

وإلى هنا لا نرى اختلافاً بين الحلم العادي والكابوس . كلاهما تعبر عن عاطفة أو شهوة كانت مكظومة . ولكن القاري يعرف أننا كثيراً ما نستذكر في يقظتنا المواقف الحسنة التي استمتعنا بها أو طربنا بها لكي تستعيد الاستمتاع واللذة . ثم تأخذ الأحلام اليقظة في التوارد خاطراً بعد آخر كأنها طرب ولذة . نفعل ذلك عندما نسترخى بعد الغداء أو قبل النوم . ثم إذا كنا رأينا الأحلام اللذيذة التي تحصل بهذه المواقف . فكيف نفسر هذا ؟ نفسره بأنه أيضاً ، أي هذه الأحلام في اليقظة والنوم . تعبر عن رغبات مكظومة لأننا لم نشبع من « المواقف الحسنة التي استمتعنا بها أو طربنا بها » فنحن نجوع إليها ونستعبدنا وكأننا نحسب أن نملاً كل ساعة من حياتنا بها .

ثم هنالك مواقف سيئة أودينا فيها بالأم أو باخترى والجوان . ونحن في غواطر اليقظة نستعيدنا ونجتزها مع التنفيع الذي يبعثنا في مواقف المنصر . ثم في الحلم أيضاً نستعيدنا مع هذا التنفيع . أي إذا حدث لنا أن اضطدنا بحادث مهين لنا فالتنا تعلم بأننا قد التينا بالشخص الذي أهاننا وضربناه أو عابسلناه بما يحزبه وبهينه . ثم تستيقظ من النوم موقاهين لهذا الاتزان الذي حققه لنا الحلم في عواطفنا : التضار في النوم عظم عزيمته في اليقظة . وهذا هو سلوك النفس السليمة . ومنهجنا في النوم هو نفسه منهجنا في اليقظة . فإن أحداً الذي يلقى ظرفاً سيئاً يحاول معالجته أو نسيانه . وهو في النوم يسرى عن نفسه يعلم يخفف من وقعه . لأنه يرغب في سلوك سوى .

ولكن إذا كانت النفس مريضة فإن السلوك هنا يتغير . فقد يكون أحداً تاجراً ثم ينلس . أو قد يكون عائلاً بزواجه ثم يتضح له أن زوجته خائنة وأنها قد فرت منه إلى آخر . فهو يجتر هذا الحادث فلا ينسى إفلاسه أو لا ينسى خائنه زوجته ولا يفكر في بناء جديد يبنى به ما يفرق من كيانه النفسي . فهو هنا يعمل عملاً يجتره بلا تدبير للمستقبل أي بلا أمل . فإذا نام رأى في الحلم كابوساً كأنه يسلط من بناء عال . والسقوط هنا رمز للإفلاس المالي . أو كأن وحشاً قد شق صدره ونظف قلبه . وهذا رمز لغريمه الذي انتزع زوجته . فالكابوس هنا يمثل جرحاً في النفس يحس صاحبه أنه غير قادر على لأمه . وفي مثل هذه الظروف يتكرر الكابوس حتى يعود المريض إلى حال سوية أي حتى يبرأ من جرحه النفسي .

وفي حياتنا المخوفة بالخطاطر يمر بنا أوقات نسوت فيها سلوك المرعى . فأتنا مثلاً قد نعرف
في نعروف الفناء من الاختلاف بالاشان حتى نختلط الشبوة الخبيثة عندها بالخوف العظيم
على بكرتها . ففى نرى مثلاً فيلا يهجم عليها بفرومده . فهنا كابوس رمز (بالخرطوم) إلى
الخوف من الاتصال الختسى . أو حتى نرى أيضاً بعضنا يخشى أو يطلق عليها سلساً .
نالسس والخشخ والخرطوم كل منها رمز إلى عضو التناسل الذى تفسد لفرط ما تمتعت عن
نفسه التطهارة وضرب الاختلاط . والذكر هنا رمزية التعبد (الخيد) في تعريف آدم وحوله
بالأسرار الجنسية .

ومثل هذا الكابوس يؤول عقب الزواج . وسببه أتنا بالخضارة وزولجرها الكثيرة
قد أحتنا حينما نديداً إلى كابوس مرمج .

والآن قد ذكرنا ثلاثة أنواع من الكابوس هي :

- ١ - كابوس نرغب فيه ونستبيبه لأنه نفس عن غامضة الخوف التى كظمناها .
- ٢ - كابوس يدل على جرح نفسى لا يستطيع صاحبه أن يتخلص منه فهو يجر نكبته
في يفظته ثم تعود كابوساً في نومه .
- ٣ - كابوس ثالث يختلط بالرغبة الجنسية .

ولم كابوس رابع نستطيع أن نسميه « الكابوس البيولوجى » قد اقتضاه تطورتنا . فكنا
نعرف أن كثيراً من الحيوانات لا ينام . أو أن نومه خفيف جداً كالفرس أو الحمار . ويدعى
أن نوم الوحوش أخف من نوم الفرس أو الحمار . وغلة هذا أن الأخطار كثيرة جداً في
الغابة والحياة الوحشية . ولذلك فإن الكابوس بهذه ويوقف أى أنه يأتى إلى النائم لكي
يحذره عن اللحظة حتى لا يقع فريسة لوحش يسئل إليه في الظلام .

ونظمتنا النفس مؤسس على الأخطار العديدة التى مرت بنا في مئات الألوف من
السنين الماضية . فالنفس تطالبنا بالنبظة وألا نسللم لنوم كما لو كنا نكرى .

ومعظم أنواع الكابوس ينحط شكل اللعب الذى يجر على الصدر حتى يضغط النائم
بالنفس ويصرخ . والعادة أننا نقول إن الأكلة الثقيلة السابقة للنوم قد ضغطت وأثقلت .
وقد تكون هذه الأكلة هي السبب المباشر . وإن كان كثير من الكابوس يحدث حتى
عندما ننام بلا عشاء . ولكن هذا الثقل هو نفسه رمز إلى حيوان جائع يوشك أن يموتنا .
فالنفس تنبه به لكي تستيقظ . وهو هذا السبب مفيد أو كان مفيداً بل مفيداً جداً أيام
الغابة والوحوش حولنا . والصراخ مفيد لأنه يوقف من حولنا من الجماعة .

ألقوا إلى هذا الكايوس : وجل يعلم أن هذه وذراعه قد صارنا مومنين والطم والجفد
بناتوان منها . فما المفقود ؟

عندما يستيقظ يجد أنه كان قد مود ذراعه فخدوت . فها بعد الكايوس تبيها . إذ
نفس يجوز لأحد أن نام في الغاية وندم خدوة ؟ ألا يعرفون يبدأ لأعظم الأخطار إذا كبسه
تمر أو ضع ؟

وبدهى أنه إذا كثرت الخسوم التي تعجز عن حلها كثر الكايوس . وفي حضارتنا
نتجمل هموماً كثيرة وغفاه كبيراً والكظم مخاوفنا فلذلك كثر الكايوس . والحليم السليم
الذي يرى الشخصيات المتفائلة التي تنظر إلى المستقبل راضية . يكاد يخلو من الكايوس .

الايحاء والتتويم النفسى

كان التتويم النفسى الذى نشأ بين الجمهور باسم « التتويم الغنطيسى » من الأسباب الأولى لدراسة السيكولوجية الحديثة . وكان باباً يفتح على ميادين رحبة وآفاق واسعة جعلتنا نملك من هذا العلم معارف جديدة زادتنا فهماً للطبيعة البشرية . والتتويم النفسى (الهينوتية) على الرغم من الادعاءات التى نسبها إليه الدجالون هو فى نهايته « الايحاء » لا أقل ولا أكثر . ولكم استفاضوا أن يتبرروا استطلاع الجمهور لأنهم أطلقوا عليه اسم « التتويم الغنطيسى » مع أنه ليس فيه أى مغنطيس . وكل ما فى الأمر أن هناك أشخاصاً أكثر تأوراً من غيرهم بالايحاء بحيث إذا أوحينا إليهم النوم ناسوا . وإذا أوحينا إليهم أنهم فى حرٍّ لا يظفون له مال العرق من وجوههم . وإذا أوحينا للأمر أن طفلها مريض بكت . فالوجدان يزول وتعود النفس وكأنها لوحة مسحاء نكتب عليها ما نشاء . والشامع يصدق كل ما نقوله ويستسلم الكليل عقيدة نقرسها فيه . ولا تعارض إلا انقلاباً جدياً أى يزول سند الوجدان إلا أقله . وطريقة التتويم النفسى أن نجعل الشخص يصدق أو بالأحرى ينطرح مستطعاً فى استرخاء ويجمع نظره فى شئ لا يحول عنه ولا يفكر فى غيره ثم ندرج به فى الايحاء بالايهام : أنت ستنام الآن . أنت بدأت تنام . جفونك تسترخى . ستنام . أو شئت أن تنام . لقد تمت ولكنك ستسمع كل ما أقوله لك . . . الخ

و يمثل هذه الكلمات المتكررة بناء ويسمع ويصدق كل ما يقال له بل هو ينفذ ما يقال له حتى بعد أن يستيقظ دون أن يدرك البواعث التى تعتمد على تنفيذ . كأن نقول له : عداً فى الساعة الخامسة ستذهب لزيارة فلان صديقك . فهو ينفذ هذه الزيارة دون أن يعرف أنه قد أوحى إليه بها فى اليوم السابق .

والغرض الذى نستنتجه من ظاهرة التتويم النفسى أن قوة الايحاء كبيرة الأثر فى حياتنا الاجتماعية . وإن العقائد التى نقرسها فى العقل الكائن (الكلمة) تبقى حية ترويضاً وتعين لنا أهدافاً لسير نحوها دون أن نعرف ما نأبها . وقد سبق أن قلنا إننا لا نست

ونصرف بالوجدان إلا قليلاً جداً وإن ٩٩ فى المئة من أخطاء التفكير يعود إلى أننا ننظر النظر الذاتى العاطفى دون النظر الموضوعى الوجدانى .

وبتعبير آخر نحن نعيش بعواطفنا فى الأكثر الأعم وبوجداننا فى الأقل الأخص . أى أن مرجع سلوكنا هو اللاشعور وليس الخ . ونحن والحيوان سواء فى هذا . والإنحاء هذا السبب أسهل فى بعض الحيوان مما هو فى الإنسان .

انظر إلى سرب من البط رأيت واحدة منهم شيئاً غريباً فصاحت وطارت . فما هو أن تفعل هذا حتى تطير نحو مئة أو ألف بطلة خلفها . لقد غيرت عاطفة الخوف بإنحاء البطلة الأولى . ولم يكن هناك وجدان للسؤال والبحث . وطون جميعهم وكن فى ما يشبه التنويم النفسى عندما .

وكثير من ظواهر النشاط البشري يشبه هذه الحركة البطلة . أذكر جنكيز خان وهتلر ونابليون : آلاف البط الأدمى يخرج من آسيا إلى أوروبا أو من أوروبا إلى أفريقيا لتتنق والتفسير بقوة الكهات الإيجابية التى تشبه صيغة البطلة دون أن يفهم واحد كى يتساءل : ما القيمة من هذه الكهات وهذا القتل والتدمير ؟

ومن هنا قوة العقائد الدينية والسياسية والاجتماعية فى توجيه الجماهير . فإن جميع العقائد عاطفية . وعلى tendency إلى العقل الكامن وتفركتنا إلى النشاط بإيمانها . وقد تكون هذه العقائد كلمات لا أكثر . مثل وطنية وإمبراطورية (عند الانجليز) وشرق وغرب وتاريخ وعهد . والدم والأرض عند هتلر . فإن هذه الكهات وأمثالها تحيل الأمة إلى ما يشبه النوم النفسى فتصلى خاضعة لكل ما تتطلبه منها من مجهود .

والإنحاء بصيغتنا بأنواعه المختلفة . فإن للكهات العاطفية فى اللغة أرواً لا ينقطع الخير أو الشر . للكهات شرف وإحباء وإنسانية ورحمة إحياء للخير . وللكهات شناعة وكفر وانقام إحياء للشر . والفضة التى تقرأها فى المحلة والصورة التى ترواها على الجائط أو فى الخريدة إحياء بوجهنا ويكون مزاجنا ويؤثر فى سيرتنا الشخصية أو الزوجية أو الاجتماعية . وإحياء الاعلانات فى الذين يشترون الأدوية المسجلة واضح . فأنهم يدعون عشرين قرناً فيما لا يزيد ثمنه على خمسة مليات للإنحاء الذى بعده الاعلان فى نفوسهم من الفائدة المزعومة لهذه الأدوية باتارة مخاوف وآمال عن محتم .

وأخلى المذيع وأغانيه توحى إلى الفتيات والشبان بالسكينة والنعمة سلوكاً جنسياً قد يصل أحياناً إلى الدغارة فى الأحساس . وفى بعض المناسبات يتخذ الكاهن من الأختان والتراتيل فى الجيو العم للمعبد مع البخور ما يزيد القبل للإنحاء فتتبت العقائد . ومثل

عندما اجتمع السكوت في فضاء القاعة لحفل الزار واستمر له حتى شرب الأبناء إلى تنويم
نفسه ثم يقرب الوجدان وتبرز الكثرة (العقل الكامن) فيجيب أن المراد كرقص
والترنج بمركات جنسية سافرة أو على لطلب التسليم بأن تركب خروفاً أو نحو ذلك .
وعندئذ يبعد الثاني بحث موضوع بلحاظ علاقتها إلى وجدانه ليقدم البراهين الموضوعية
بدمع بها حجته . ويبدأ أن يصرح إلى نتيجة يتفان عليها إذا كان الموضوع يحس العواطف .
ولذلك فإن أبرعها يعمد إلى الإغراء ويترك المنطق . والخبر القارح العائد الذي تدرب
على الخفايا يعرف أن أفضل ما يؤثر به على القاصي هو أن يبكي ويبدل ويذكر زوجته
وأولاده الذين ييمنون من الجوع إذا حبس وحرم من الكمح لهم . لأن حركة عواطفه
عنده تحرك باعنا كآلة ما يضارعه عند القاصي فيتعفن ويشغف . أما إذا جادل القاصي
وأبرح الحجة بالحجة فانه يبسي بالتصاوه المنطقي وقد يجد من القاصي رغبة في الانتقام لهذا
الانتصار عليه .

عن سموت أهدأ يقول لك إنه أرق في الحياة الماضية لأنه شرب في الساعة السابعة من
مساء أمس لعلنا من القهوة ؟ وعلى فكرت في هذا الأرق في كان سببه الحقيقي فتجان
القهوة بالذات أم كان إغراء هذه الفكرة . أي أن القهوة مؤثرة . في نفس هذا الشخص ؟
والقوة أي الخفايا من أعظم وسائل الإغراء . وهما أقوى أنواع من السيطرة . لانهما
تطابت عندما نرى أهدأ يتعذب . ويبكي في الحفازة عندما نرى البكاء حولنا . والخمار يأكل
أو يجري عندنا يرى زميلا لم يأكل أو يجري . والألم المحببة التي تختلج نوح الباب نوحى
الحزين واخترت من الغرباء عند أولادها . ومن هنا قيمة القدوة في الأب والمعلم . وقيمة
العائلة الحسنة في الأطفال .

والإغراء يحدث بالكلمة والصورة والفكرة والاشعة والقدوة . وهذه كلها
تسيطر علينا في حياتنا الاجتماعية ونفوسنا فتن عواطفنا . لكاد نحسبها لفرط إحسانها بها .
طبيعية . فأنسلت نتميز من لحم الخنزير . ولها . باستثناء الفصيين . تميز من لحم الكبش .
ونكاد نعتقد أن هذا الاستمزاز طبيعي وأو دعانا أحد إلى أن نأكل لحم الكبش بعددناه
أفضل إنسان في الدنيا . إن لم نعد مجنوناً . والواقع أن هذه العواطف اجتماعية تعود إلى
الإغراء أي إغراء المجتمع بالقوة وليس فيها شيء طبيعي .

ألفر إلى الإغراء السي في قصر للمسنين . فإن الموظف يحال على المعاش في سن الستين
وإن هذه الإحالة نوحى إليه بأنه لم يعد مفيداً . ثم نحن نوحى إليه الوقار . فلا يجري
ولا يلعب . فإذا تقدمت به السن إلى السبعين طالبناه بزيادة الوقار . فيجب أن يتعد

ويغفل من الحركة أى يجب أن يركد ويتعشى ويموت . وهذا بخلاف ما نظام السن فى أورده من الإنحاء بالشباب والصحة حتى أنه يكون فى السبعين ويلبس الشوط ويلعب بلى ويرقص . فهناك إنحاء للصحة والقوة وهنا إنحاء للمرض والضعف .

الإنحاء هو تنويم نفسى مخفف . وهنا عرضة له مثاثرون به . لأن معظم سلوكنا . بل كل سلوكنا إلا القليل جداً جداً . عاطفى يخضع للإنحاء .

الإنحاء يخاطب العاطفة ويحدث العقيدة . وإذا تسلطت العقيدة والعاطفة ضعفت الوجدان (= العقل المنطقى والنظر الموضوعى) .

وفى النفس البشرية طاقة من نوع آخر هى هذه الطاقة التى أصبح جميع السيكولوجيين يسمعون بها وهى « التليبالية » أى شعور أحدهما بما يحدث لآخر . ولو كان بعيداً عنا بنحو ألف كيلومتر . أى الشعور على بعد بدون الحواس المألوفة . فقد يحدث أن يكون أحد الشبان فى بولن فإذا به يضيق وبغمره كرب عظيم ويرى فى خياله صورة أبه فى القاهرة . وفى هذه اللحظة بالذات يجد عند التحقيق أن أبه كان فى النزع ولم يحضر دقائق حتى يكون قد مات . وقد يكون أحدهما مريضاً قد قذبت قواه الجسمية أو كادت فترى عز براءته . ابنها أو صديقاً أو أخاً . وهو فى غيب عظيم . فإذا حقق وجد أنه فى هذه اللحظة كان عرضة لحرق فادح قد قضى عليه أو زاد . ومن الممازجة العجيبة أن يقدم أحد بتفسير هذه الظاهرة . وتصارف أن نقول إنها كثافة جديدة فى النوع البشرى تظهر فى بعض الأشخاص المهيئين لها وسوف نعلم جميع الناس . مع غيرها من الكفاءات المجهولة . فى المستقبل . ولكن من المؤكد أن التليبالية هذه لا تنسحب إلى الفرائز القديمة فى الإنسان أى أنها ليست بعنصر لاجدى دفءاتنا القديمة . وإنما الأغلب أنها ارتقاء جديد فى الوجدان لا تقوم كنهه إلا عن طريق التشبيه كأن نقول إن لكل منا موجهته « الراديو فونية » الحقة التى تنطلق من حول الأرض . فإذا كنت جهازاً استقبالياً حدث الاتصال . ومادام الأب يشبه ابنه بحكم الوراثة فى نظام الأعضاء وقوتها ونجاعها . فإن الموجة تنصل بين الأب والابن ولو كانت المسافة بينهما آلاف الأميال . وكذلك الشأن بين الأشقاء والأقرباء . ثم إذا كانت الموجة دقيقة حدث اتصال بشوش حتى ولو اختلفت الجهيزات . وهذا يفسر الاتصال بين محربين فى النظام العضوى لجسم تربطهما صداقة حميمة مثلاً .

المركبات

كلمة « مركب » من الكلمات التي خرجت من اللسان السيكتوجي إلى مبادئ أخرى في الأدب والاجتماع بل في الخدمات العام . وهذا يدل على أنها قامت بهذه السبيلية لتتحدج إليها في لغتنا . وواقع هذه الكلمة هو يونج السيكتوجي السويسري ، وهو يحدد منها إلى مجموعة من الأفكار العاطفية تنحس في الكلمة (العقل الباطن) ثم نوجهنا لنسول والتجاذب لغتي علينا . وقد استعمل هذه الكلمة فرويد فيما أسبق « مركب أوديب » واستعملها أدلر فيما أسبق « مركب النفس » .

و يرى القارئ هذا الكتاب فصلا مستقلا فيه عن « مركب النفس » . ولذا قد نتاج هنا إلى أن نتحدث في إيجاز عن المركبات وعن مركب أوديب خاصة .

المركبات هي في صميمها رجوع مكيفة أي معدولة . مثالا الرجوع التي أحدها بالوقوف في السكالب . فالمركب يجري لعبه إذا رأى أو إذا شم القم . فإذا فرغ جرس مع رؤية القم أو لسه . ثم تكرر الفرع والجمع بين الاثنين أي القم والجرس . نشأ في نفس المركب رجوع العكسي مكيف أي معدول . حتى أننا إذا فرغنا الجرس وحده دون رؤية القم أو لسه . قال لعب المركب . لأن هنا « مركباً » مؤلفاً في نفس المركب من الجمع بين الجرس والقم . ومركبات الإنسان تزيد على ذلك بالطبع أي أنها ليست بهذه البساطة . وهي مركبات لغوية واجتماعية وعائلية . أي أن المجتمع واللغة والعائلة . كلها يكتفينا ويعين لنا . بما تحرسه نينا من مركبات ، سولا والتجاذب ونصرفات تنساق فيها مندفعين بعواطف لا ندري ما لها لأنها عرفت في الأغلب ونحن أطفال ثم نكون نشبه إلى منطقتها أو لغزنا في نائرها .

فانضمواي نلتأ على تقديس البقرة . فقداسة البقرة عنده « مركب » بشبهك بعواطفه . وهو بعد ، حتى السموت في سبيل الدفاع عن البقرة . وكلمة « الدم » في بعض فري الصعبد « مركب » يؤدي إلى الأخذ بالنار والمركب الجرائم للانتقام . وعندئذ نجد أن هاتين الكلمتين اللتين تردان على ألسنتنا في بساطة ، البقرة والدم . تحدث كل منهما مركباً إجرائياً في نفس المندوكي بالهند ونفس الجرجاوي أو الشاوي بالصعيد .

كان أحد الأشخاص . وهو الآن في الستين ، قد « عصى » وهو طفل ورفض الذهاب إلى المدرسة . وكان الخادم قد طأب إليه حمله أو جره إلى المدرسة . وبينما هو في هذا المأزق العاطفي يبكي ويرفس ويضرب كان ديك فرويد يضحك . فافترق صاح الديك بعواطف الكرب والخوف (أذكر الظم والجرس) . فهو إلى الآن أي بعد نحو خمسين سنة لا يسمع صاح الديكة إلا ويحس كرهاً وضيقاً . فهذا مركب قد استقر في كامناته ولم يبرحه حتى بعض نصف قرن من عمره .

وعلى نعيش أي نسلك في الوسط النسمي تركيبات حسنة وسيئة . أي أن رجوعنا الانعكاسية ليست أولية كما هو الشأن في الحيوان ، إذ هي ثانوية أو ثالثة أو حتى عاشرية . أي أن الرجوع الانعكاسي قد كثف ، انتقل من اللحم إلى الجرس . ثم انتقل بعد ذلك إلى رجوع آخر ثم آخر . فالذكر من الحيوان يرى الأنثى فيشبهها وينقل من الاحساس الجنسي إلى العمل . وأنا أقرر إلى الأبد أن الانتقال من الرجوع الجنسي الساذج (قل الفريزة) إلى نقل الملايس وتقدير مكانتها الاجتماعية منها . ثم أنذكر نصيبه العطف . ثم الدين . ثم مكاني الاجتماعية . وكل هذه رجوع مكثف أبدياً متعمداً . أو قل إنني تعلمت كطوباً ودرأيت عليها حتى أخذت في الوسط الحضري الذي أعيش فيه مكان النزوة الانعكاسية الأولى . ونستطيع أن نقول أن النفس البشرية بهذا الاعتبار ليست بشرة طبيعية حساسة بل آدمياً مديوناً مقيلاً يحمد عند اللقاء ولا يتحرك بالأثني أو الضعاف أو الخوف أو الغضب . أجل هي نفس كائنة . والآن لنقرر فيما يسميه فرويد « مركب أوديب » .

فإن فرويد يقول إن الطفل حين يوضع أمه في السنة الأولى من عمره يجد لغة جنسية معقدة في الرضاع والاتصال بأمه . وهو ينشأ بعد ذلك على علاقة ، غير وجدانية ، تربطه برابط جنسي بأمه . ولذلك فإنه يكره أباه ويعد وجوده بالبيت خطراً عليه . بل هو يخشى أن تؤثر أمه أباه عليه . فإذا شب وحدث له ترغزغ نفسي فيجب أن نشهد البؤرة لهذا الترغزغ في « مركب أوديب » أي أن الطفل قد عاش في طفولته وهو يخشى أن يفصل من أمه ، التي بعدها من حيث لا يدري ، زوجته . ومواقف القلق التي يقننها بعد ذلك إنما هي صراع خفي في نفسه موضوعه هو حبه لأمه من ناحية ، ثم تغلب الأخلاق الاجتماعية ، من ناحية أخرى . وهذه الأخلاق تقول بضرورة الرجوع عن هذا الحب لأن أمه لأبيه وليست له من الناحية الجنسية . مثال ذلك قد يجد هذا الطفل ، وهو شاب في العشرين أو الثلاثين ، أنه عندما يقف في البدكون يحس دوارة وكأنه سيسقط مغشياً عليه . فعند فرويد أن مرجع هذا الدوار هو ما استقر عند هذا الشاب من أنه مذنب يريد أن يتعرف

الاتصال الجسدي بأمه . وأن هذا الذنب هو « السقوط » الروحي أو الأخلاقي أي السقوط الذي أحس به وهو في اليأس . . .

ولمسة أوديب من التخصيص الأغرضية النفسية . خلاصتها أن أوديب هذا قد تزوج أمه وهو لا يدري . حتى إذا عرف الحقيقة فها عيبه . أما أمه فتنتحر . وقد نقلها فرويد وجعلنا جميعاً سجينين بحب أمهاتنا . وأن ما يصيبنا من نيوروز أي المني نفسي في المستقبل إنما يرجع إلى أننا لا نطيق هذا الصراع بين الأخلاق الاجتماعية التي نقول باعتراف الأم وبين هذه الرغبة الطفلية المسفرة في الكلمة التي نقول بأننا يجب أن نسلو وحدنا بحب أمهاتنا دون الآباء .

وتشير من السيكوجينيين نؤمن بأن مركب أوديب هذا من الخلفيات السيكولوجية التي لا يمكن تجاهلها أو إهمالها . ولكن أكثر منهم . بل أكثر كثيراً جداً يقولون بأن هذا المرض لا أمل له بلاناً ، وأنه اختراع سخف . وقد حاولت أنا طوال السنين العشرين الأخيرة أن أبعد أصلاً هذا المركب على النحو الذي يقول به فرويد ، فلم أجده . وكل ما أستطيع أن أقصده من علاقة الطفل بأمه هو أن هذه العلاقة كبيرة القسوة في التوجه الجسمي في المستقبل . بمعنى أن الطفل يجب أمه ويتعلق بها كثيراً مدة الرضاعة وعقبه . وهو بالطبع في هذا الحب يعرضه أن أمه جميلة تثير الحب في نفسه لثامياً ووجهها وموتها وأسلوب حركتها . فإذا بلغ المراهقة لم يستعمل من النساء سوى أولئك اللاتي يشبهن أمه في كل هذه الأشياء . ولذلك يفسر الشبان في العادة الغالبية نيات شبيهم حتى نطق من يفسر أحياناً إلى زوجين أنهما شقيقان . والسبب أن الشاب يختار فتاة تشبه أمه أي أنها تشبه هو لأنه هو بالحد كثيراً من ملامح أمه .

وعلى كل حال قد نبهنا فرويد بما أسفه مركب أوديب إلى القيمة العظمى لسنى الطفولة التي يفسدها في إنسان مع أبويه . وقد أفاض أدلر في هذا الموضوع .

مركب النقص

لشاعر المغربي يمت كبير المغربي يدل على بصيرة هذا العبقري هو :

لو لم تكن في النجوم أصغرهم ما كان منك عليهم كبير

ذلت أن الرجل الصغير في جسمه أو الدم في وجهه أو الحقر في مقامه أو الذي
جس صغيراً لعبب واضح يتخذ أسلوباً تعويضياً في ستر هذا النقص الذي ركب فيه
وولد معه أو أحده ظروف اجتماعية مدة طفولته . والنقص أنواع مختلفة قد يكون أنفياً
نحماً أو قسراً مقرباً أو غائلاً تشبه الحزان أو قوياً بانغاً أو أي نوعية جسدية أخرى . وقد
تكون هذه الشوكة الاجتماعية في حادث واضح أو سبب ترك ألوان نفسياً شيئاً .

وفي كل هذا نقول النفس ، على غير وجدان أي بلا دراية ، أن تعويض من هذا النقص
كألا . وعلى قدر الظروف الاجتماعية والفرص التعليمية وأيضاً على قدر الذكاء الموروث
يكون هذا التعويض .

والطفولة نفسها من أطوار النقص . لأن الطفل يجد أن كل من حوله أكبر منه وأقدر .
ولذلك يفرح كثيراً حين يقف على كرسي ويجد أنه أعلى من هؤلاء الكبار ، ويفرح كثيراً
حين يضرب أحداً فجري منه لأن هذا الانتصار يوحى قوة يخوع إليها نفسه . فإذا كان
بالطفل عشاوة أو عرج أو لعنة أو حول أو أي نقص آخر زاد شدوذه وطلب الكمال
التعويضي بسبل غير طبيعية أي غير سوية . وعندئذ يصير هذا التعويض نفسه شدوذاً
لأنه يفرط فيه . وقد يستمر على نوع من التعويض السخيف الذي لا يخدمه في ارتفاعه
الاجتماعي بل يؤذيه كالتكبر مثلاً . فإن التكبر يجد أنه في النهاية مبعد عن المجتمع وموافاه
الناس ويكرهون ملاقاته .

وعندك أفراد قليلون ورثوا كفاية ذهنية تمازاة إلى جنب النقص . فلم يؤخرهم
هذا النقص بل وجدوا فيه حافزاً للتمييز والتفوق . فهم في موقف سقراط الفيلسوف الأغريقي
حين ألف عنه أرسطو لأن دراسة « السحاب » تهيأه ورحمه في صورة كاريكاتورية . وحضر

سفرط عند الدراسة ورأى الجمهور يضحك من تبرزته فلم يغضب بل وقف بعرض وجهه
الديم وجسمه المكنث لكي يبرز الجمهور ضحكاً ! وهذا معقول لأن سفرط كان قد بلغ مركزاً
اجتماعياً سامياً فلم يكن يبالي أن يعبره أحد بهدامة وجهه .

وحدث قبل سنوات أن اشترك شاب أمريكي في مباراة رياضية فانهزم الفريق الذي كان
هو أحد أعضائه . انكتب إلى أبيه يقول : « وجد الفريق الآخر ثغرة خطيرة في فريقنا .
و كنت أنه عند الثغرة » .

انحن هنا إزاء إحساس بالنقص . ولكنه بدلاً من أن يحدث عوالة وضعة أحدثت عند
سفرط سروراً وأحدثت عند هذا الشاب اعتزازاً بدل على قوة العزيمة والاستعداد للانتصار
القدام . ولكن يجب أن ندرك أن النقص هنا أحس به سفرط وهذا الشاب وهما على
وجهان وبقيعة . فتأويلهما يانعغل والنظر الموضوعي .

ولكن مركب النقص يتكون في العادة أيام الطفولة والصبا حين لا يكون الوجهان
قد تكونوا وارتقى . ولذلك فإن المقاومة له في أغلب الأحيان تكون طفلية سقيمة بشي
بها الناقص وتحمس غيره . وفي حياتنا العامة نجانبها في سلوكنا ظروف تجعلنا نحس بنقصنا .
وليس أحلام اليقظة سوى معالجة لذينة لهذا النقص . وأحياناً إذا كان النقص يضر
الشخصية بهذا الحدة فإن الناقص يعمد إلى الخيال ويسلم لأحلام اليقظة حتى يكاد ينطمح
ما بيند وبين التوابع .

وهناك ظروف من المقاومة للنقص تراها في حياتنا العامة . كأمراء الدمية تسرجل
إلى حمة الظلال . وهناك الشاب الموهب يراع سوتة في الحديث ويؤكده وجوانده بالثناءات
لا ضرورة لها . وهناك الشاب النقي الذي لا تلفت إليه فتاة يتحدث عن انجذاباته
الجمالية . أو هو يعود « فاضلاً » يعزف عن النساء ويذكر خاتنتين وإيتار العزوبة على
الزواج . أو هو حين يتزوج يضرب زوجته كي يؤكده وجوانده الناقصة .

وفي أحوال هذه الحالات نكاد نرى مركب النقص سافراً . ولكنه في أحوال أخرى
يتخذ ألباناً من العنوض تحق ظلمنا . كتلك العائس التي تقدمت بها السن فلم تتزوج
ولكن غريزة الأمومة لا تزال حية في كيانها فتعمد إلى تربية التعلط . وهذا حق وسخط .
أو هي يعمد إلى نهش الأطفال وساعدة الملاجي . وهذا عقل وحكمة . وقد نجد شاباً
يؤثر العزلة ويجنب المجتمع لأنه أعور أو هو يظن كأنه بنت في سن العاشرة . وهو
يستغنى بهذا السلوك ويتأخر عن النجاح . وكان يجب التعجيل في تزويده بعين صناعية
لازالة هذا النقص أو بالأحرى لتخفيفه . ثم النظر إلى ذلك الرجعي الذي يكره الحضارة

الأوربية إذ يجد أنها تناقض وتكافح كل ما نشأ عليه حتى أنها تكاد تظارده في عيشه . فهو ينعي على العصر الحاضر تركه ويعود بمراحه وذمته إلى الخلد بالقديم قبل ألف عام والعودة إلى جعد القرن العشرين . بل هناك في هذا الوقت أدباء قصرت بهم كتاباتهم عن تنوع الحضارة النامية أو عجزوا عن حمل الجمهور الجديد على اعتناقها فشرعوا يملكون بالغرب قبل ألف عام ويؤلفون الكتب في ذلك . كما أن هناك كتاباً حملهم مركب النفس على السباب والبذاء حتى صار هذا حرفة لهم .

وأحياناً يؤدي الخوف من النساء . لعب صحيح أو موهوم ، إلى التزيغ الجنسي . وأعظم العلامات لمركب النفس هو الرغبة في الانعزال . وهذا الانعزال اللاتي إذ هو يتم بالجسم والعاشقة والذهن . والنقص يتم الجدران التي تفصل بينه وبين المجتمع في حين أن الشخص السوي يدم هذه الجدران . الأول يخاف لأوهي الأسباب ويتجنب ويعزل . والثاني يتصالح ويختلط وهو يتفاهل ويصن العيرية والمسؤولية الاجتماعية كما يحسن لدجاجة اجتماعية يقدم بها على الأعمال والشروعات . في حين أن ذاك يتشاهم ، ويحسن الأمانة التي يتوهم أنه يغدوها بالانعزال . وهو يشقى بهذا كل الشقاء لأنه يعتقد في الخلق نفسه أن الاجتماع يكشف عيوبه أمام الناس . مع أن هذه العيوب كثيراً ما تكون وحمية أو حتى حين تكون حقيقة لا تلفت انتباه الناس إلى الحد الخطير الذي يعتقد .

ولسوا الأشياء في مركب النفس أن يراقته تدليل . فإن الناقص المدلل تكبد على نفسه وعلى الناس وهو ينشأ عاجزاً عن كسب قوته . وأنت قد ترى في المدينة رجلين كلاهما أحدهم . أولهم يعمل في صناعة قد يربح منها خمسين أو ستة جنيه في الشهر . وقد أنسله النجاح هذا النفس فهو يسير وكأنه ليس به أي حذب حتى لقد اعتدل قوامه بعض الشيء . لهذا الأحدهم لا يدلل . ولكن النظر إلى هذا الآخر الذي اعترف الشجاعة . فإن أمه دلالته وأعجزته بهذا التدليل عن كسب قوته . فهو سحاذ يسير وقد زادت حديثه للدلة التي تناسها كي يستجدي العطف .

وأعظم ما يؤخر أو يعطل نمو الشخصية وإبداعها هو مركب النفس بألوانه القاترة والخفية . ونحن في حياتنا العامة لا نصاب بمركب واحد للنفس . فإن هناك مركبات عديدة تواليها إلى سن الشباب . ولكن مركب النفس يتكون في العادة أيام الطفولة حين لا يكون الوجدان قد نشأ ولما واستطاع المقاومة .

أنظر إلى شاب قد وصل إلى العشرين وخاب في حياته المدرسية . فإن هذه الحقيقة قد جعلته على التواكي والرهضي بالمرئز الوضع الذي لم يستطع أن يرتفع إلى أعلى منه مع الخلد

على الناجحين . ولكن من جهة أخرى قد تحمل هذه الخيبة على أن اتبع في علم أو فن
بمجهود الشخص حتى يعوض ما فاتته .

ولكن يجب أن نذكر أن مركب النفس إذا أدى مرة إلى نبوغ وإقدام فانه يؤدي
عشر مرات إلى انكشاف والعرال وضعة . وفي كل منا نقطة حساسة ترجع إلى مركب النفس .
ولكنك لنسأها بالنجاح .

وعلاوة البراعة من مركب النفس هي قدرة الشخص على أن يتحكم على نفسه . وأن
يسلك في غير سخط . وأن يتحمل الاساءات الصغيرة التي لا يتحملها غيره . وأن يخطئ
بالجمع في سر .

وكثيراً ما تعوض من مركب النفس بأن تتخذ اتجاهاً معيناً في الخفاء يجعلنا على
ألوان من السلوك الشاذ أو المستغرب أو الغامض . فان الناقص في يدافع عن نفسه .
من حيث لا يرى . يتنقص غيره . فالجاهل يستجمل الآخرين ويحجم عليهم في عطف
وصخب . والمرأة العسمة يزداد حياؤها وهي لتقلص أمام الرجال ولا تطلق صراحة
الاعانة أو النقد . والرجل الذي لا يتعمق في الجامعة يصر على أن يعلم أنواره في الجامعة .
والمرأة التي تزوجت رجلاً مسناً تصر على أن تتزوج بناتها شيئاً . كأن الأب والأم قد تقلا
نصهما إلى الأبناء وهذا إلى التعويض فيما .

وأخيراً يجب أن نذكر أننا أحياناً نحدث لأفئدتنا عجزاً في تزيد كثافتنا . فان دميتي
الملاكم المشهور كان وقت التدريب يربط يده اليمنى إلى ظهره . ثم يلاكم . يده اليسرى
فقط . رجلاً له يدان حريتان لملاكمة . وكان ديموسين الخطيب الاشرقي الكني . ولكنه
كان يزيد مركب النفس هذا أي المكنة بأن يطبع الحصى في يده ثم يخطب وهو على
شاطئ البحر حتى يسمع صوته من خلال زفير الأسواج على الرشم من الحصى وعلى الرغم
من المكنة .

أجلى . إن العجز أحياناً يؤدي إلى المكثاة . أذكر عنبرة الشاعر الأسود . وتيمورلنك
الأعرج . في كانواو الخصى . وإذا كر الشاف من أمثال هؤلاء .

الضمير

يجب أن نميز بين الوجدان والضمير لأن بعض الكتاب أوجدوا جميعاً شيئاً بين الاثنين . فالوجدان هو أن أجد نفسي أى أفكر وأحس أى أفكر فلا أنساى كلناهم أو الداهل فى عاطفة غالبية . تفكير الحيوان هو تفكير العاطفة التى تسوده حتى لا يدرك ما يفعل . كالنكسب نضع أنفه إلى الأرض ويطلب الطعام لأنه جائع أو حار أو كالدكر من الحيوان يطلب الأنثى فيجرى خلفها كالخيل لا يبالي أنه عتبة .

فهنا نجد عاطفة تحرك الحيوان ولا تترك له مجالاً للوجدان أى أنه لا يدرك ما يفعل . ونحن أحياناً نسلك هذا السلوك حين نظراً علينا ما يقضينا فننتفجر ونثور . فإذا هدأنا وصرع أحد الحاضرين بثوبنا على ما فعلنا أجبنا : « كنت متعباً . لم أدر ما فعلت . » وهذا السلوك العاطفى نراه كثيراً فى الأم عند وفاة ابنها فانها تهذى كأنها تائم أو حائلة . فإذا ذكرناها بما فعلت بعد ذلك بمدة لم تذكر شيئاً .

فى كل هذه الحالات وأشبهها نسلك سلوكاً ذاتياً أعنى كالحيوانات بلا وجدان . أى لا يدرك ما يفعل ولا تفكر التفكير المنطقى الموضوعى الذى هو ميزة الإنسان الكبرى . وإن تمكن هذه الميزة مقصورة على أوقات قليلة من حياتنا الفكرية . ويدهى أن الوجدان يؤدى إلى تبيين :

١ - التفكير الحسن القائم على اعتبارات موضوعية منطقية .

٢ - الضمير أى أننا نحس المسئولية الاجتماعية وننفذ باعتباراتنا .

نقول إن الوجدان يؤدى إلى المنطق وإلى الضمير .

والمنطق تفكير محض قد لا يداخله أى اعتبار أخلاقى .

ولكن الضمير تفكير اجتماعى تداخله الاعتبارات الأخلاقية .

ومن حين نعيش فى مجتمع ننهى إلى الأخذ بمقاييسه ومبادئه بإيمان القدوة وبالثقة

التي يتكلم بها أفرادها إذ نؤمن لنا القيم بكلمات هذه اللغة . ولهذا السبب لا يزيد الضمير على مستوى المجتمع الذى نعيش فيه . إلا إذا كان الشخص نذاً يستقل فى تفكيره ويرى رؤيا

لا يراها الأفراد المعادون كما هي الحال في الثالوثين والمصلحين والأنبياء والقديسين .
فإن ضميرهم يسمو على المجتمع لأنهم يتخيلون مجتمعاً زاهياً له مقاديس أخرى .
والضمير هو في جميع الحالات صراع يضاعف أو يقوى بين عاطفتين أو أكثر .
فهو صراع بين الأمانة والحرية . أي من تؤثر مصلحتنا الذاتية وإن يكن بها ضرر لغيرنا
أو تؤثر مصلحة هذا الغير أيضاً فستتسلط السلوك السيئ بين المصلحين ؟ أي أن الضمير
صراع بين الأمانة الذاتية وبين واجبات المجتمع . ويدهي أن رجلاً يعيش وحده بعيداً
عن الناس لا يمكن أن يكون له ضمير ، لأننا بالضمير نطالبه بأن يكون صادقاً نبلاً كريماً
مفتناً لمليون نساء يعرف لزوجته ويحجب الفحش والفسق والكذب . ولكن ماذا يعيش
وحده كيف يمكنه أن يمارس ما نطالبه به ومصلحة من يفعل هذا ؟

فالضمير اجتماعي أي أنه الصورة التي يقدمها المجتمع لنا لكي نعيش ونسلك على
رحمتها . ولذلك يختلف الضمير من أمة لأخرى . فضمير المرأة في سيلان أو كيت لا يؤهلها
عندما تزوج جيلة رجال في وقت واحد في حين نحن نشتمز من هذا السلوك . بل إن
الضمير يتغير عندما تتغير الظروف . فالتساكن القتل في الشارع أو البيت وسكننا نجبره
لجندى في المعركة أو نطيار فوق المدينة .

ومع أن المجتمع الذي نعيش فيه يعم يلبس لنا اجتماعية وأخلاقية فالتنا تقسم طبقات
وطوائف دينية أو عرقية . ولذلك تختلف صفاتنا . فالفلاح الأجير لا يدرك من معنى الحرية
ما يدركه عضو في طبقة سياسية متقدمة . وفي مدينتي كنا وسوفاً نجد أفراداً بشماز بدوية
تتشبه المضيئة بالانقضاء والنار . ويجس هؤلاء الأفراد وخرأ في صلاتهم عندما يحيطون
الانقضاء والنار .

وحيث نقول : « رجل ليس له ضمير » إنما نعني بهذا القول أن غرائزه الانفرادية قد
تغلبت على غرائزه الاجتماعية . وكثير من الأجرام يعود إلى هذا الاتجاه . والغرائز الانفرادية
أي تلك التي تتبعنا على أن نشهد مصلحتنا الخاصة دون مراعاة مصالح المجتمع هي أنتم
غرائزنا وأنفسنا في كياننا النفسي أي أنها الحيوان الذي لا يزال حياً قبيحاً . وهي نظرية
لا تحتاج إلى تعليم وتربية . أما الغرائز الاجتماعية فمديدة ولذلك نتعلمها من المجتمع بالتدوين
والدين والتعادات واللغة والكتاب والمدرسة . ولهذا السبب نجد أن الحيوان الاجتماعي يتأخر
بضمير ما لأن الاجتماع يضعه بين المتناوين جدران له وجداناً هو بالطبع دون وجداننا
بكمبر . ولكنه . أي هذا الوجدان ، يحصله على أن يقدر مسئولية أمام المجتمع كي يقدر
مصلحته الذاتية .

انظر إلى الكلب وأنت تأكل . فإنه يشره إلى الطعام ولكنه يحجم لأنه يخاف . وهو في هذا التردد بين الشره والخوف يحدث له وجدان يحرك ذكاه ويجعله يحسن بالاستئونة . والكلب حيوان اجتماعي يحسن معنا ويصادقنا . ونحن . في منطق الكلب . كلاب مشته . ولكن انظر إلى القط الذي لا يتأخر عن خطف ما في الطبق إذا جاع . والقط بالطبع حيوان انفرادي يعيش في بيوتنا ولكنه لا يشترك معنا في عواطفنا . فإذا خرجنا لم يسعدنا . وإذا دخل علينا غريب لم يهجمد كما يفعل الكلب . ولذلك نحن نعجز عن تعليم القط السلوك الاجتماعي الذي موافقنا ولكننا نتجع مع الكلب في هذا التعلم .

ولكن والكلب من الحيوانات الاجتماعية التي نجد فيها بذرة الضمير . ولكن يجب ألا ننهم من هذا أن الضمير يتكون بالقطرة . فإن نظره عاجزة في أعاء العالم تدل على أنه ليس كذلك وأنه يكسب بالتعليم وأن ما نعدده رذيلة في أمة قد يكون فضيلة في أخرى كظاهرة الضمير (زواج المرأة جسة رجال) التي قلنا إنها شائعة في سبيلنا وثبت . والضمير مؤلف من ثلاث ذوات :

١ - الذات البيولوجية أي ما ورننا من الحيوانات في الملايين من السنين الماضية . وهي أحط ذواتنا التي نطلب بها حاجتنا البدائية كالطعام والأمان والسيطرة . ولكنها مع اضطرارها أثبت ذواتنا ودوافعها أيوى الدوافع عندنا لأنها غرائز وشهوات . وهي كاملة في الأكثر وجدانية في الأقل .

٢ - الذات الاجتماعية وهي مؤلفة من العقاليه والعادات والأفكار الاجتماعية التي نستخدمها لمصلحة الذات البيولوجية السابقة دون مخالفة لمجتمع الذي نعيش فيه . وهي وجدانية في الأكثر كاملة في الأقل .

٣ - الذات العليا التي تتألف من الدين والأخلاق والمثلثات التي تحملنا على أن ننكر على أنفسنا بعض المباح . ونحن نكسبها في الطفولة من الأبرار ولكننا ننقضها بعد ذلك .

وضميرنا مؤلف من هذه الذوات الثلاث . ولكن الذات الأولى تتغلب في الضمير وتجعلد أتاباً لا يبالى الجميع . في حين أن الذات الثانية تتغلب في الإنسان العادي الذي لا ينحط ولا يرتفع . أما الذات الثالثة فتتميز بها الصوفى في الأمة . وفخر الضمير هو في النهاية الأم الذي نحسه بانصراف القائم بين هذه الذوات الثلاث في أنفسنا . والضمير السام هو الذي تتغلب فيه الذات الثالثة على الذاتين الأولىين أو على الأقل تتغلب فيه الذات الثانية على الأولى .

والمستطیع أن یفعل معارضة أخرى :

إن یسیر المحرم فی الأغلب مؤلف من الذات الانسانية العاطفية التي یجری نشاطها الأكبر فی الكفة .

وسیر الرسل العادی فی الأغلب مؤلف من الذات الاجتماعية العاطفية أو الوجدانية .
والرجل السامی مؤلف من الذات الوجدانية نشطة وإن كانت جرد هذه الذات ترجع
إلى الانعجاب بالألمام العظيمة وتفاد المسویة باعتبارها البطل الذي يجب أن تقتدى به .
ولكن لسیر لنا واحد ، ولا واحد ، إلا وهو مؤلف من الذات الثلاث التي تتداخل
وتتقدم فی نفس واحد ولكن له سمی . وإذا اخضع أحدهما من الآخر لاختلاف درجی .
ولیس نوعاً ، فی الغلب أو زيادة إحدى الذات على الأخرى .

وهنا يجب أن نعرف كلمة « التسویة » . فإن النفس تسوی أي تسوخ أحياناً نوعاً
من السلوك المذكر بسلوكات ونشاطات وجدانية حتى یبدأ الضمیر بقتل على ما كنا
نقبل عليه أو من وجداننا سلم وكانت ذاتها العليا تتقدم على الذاتین الاجتماعية والأثانیة .
كما نفعل مثلاً حين نقول : إن الغاية لجر الوسيلة . فتعذب الحيوانات كي نصل إلى
المدارج علمی . أو حين یعمد الطیار فی الحرب إلى إلقاء القنابل على المدينة فی ظلام الليل
فیقتل الرجال والنساء والأطفال وهو یجر هذا بأن الوطنية تتضییه وأن السلام سیم فی
النهاية . وكثيراً ما نجد نحن إلى التسویة فی حیالنا العالقة كما نفعل حين نضرب
الأطفال بحجة تعسفیهم . مع أن الضرب قد لا یكون فی هذه الحال أكثر من تفتیس عاطفة
الغضب على العقل الوجدانی .

والضمیر الحسی عام لا یخلو منه . بل لا یخلو تماماً ، إلا المحرم المحنون أي الذي
نستطیع أن نعلل جرمته بالبوروز أو السیکوز . ولكن الضمیر العقلی ذلیل جداً وهو
یحتاج إلى الذات العليا التي ذكرناها . فإن أي واحد منا لو طلب إليه أن یقتل إنساناً
لرفض . ولكن لا یبالی قتل الجماهر فی الهند . وعندما تقرأ هذا الخیر فی الخرائد تنسأه
بسرعة لأن سیرنا فی الحال الأولى یقوم على الحس . أما فی الحال الثانیة فنقوم على التصور
بالعقل . ولذلك یمکن أن نقول إن هناك الضمیر الذي الذي يتأثر ويتغرز لقواید البعیده
العائیه من الحس ، كما أن هناك الضمیر البلید الذي لا یتحرك إلا عندما یتحرك الحواس .

المجتمع البشري

كأن الناس في بحر البشرية يعيشون في مجتمع بيولوجي أي خاضعة له الحاجات الأولى من طعام وأمن وسأوى . ولا يزال بعض المجتمعات البشرية يعيش على هذا المستوى كما أولئك الذين يقطنون الغابات ولم يهتموا إلى الزراعة ، وأولئك القاصون بالصيد في بيئة نائية عن الحضارة . وفي مثل هذه المجتمعات يعيش الناس بلا تاريخ ، أي يعيشون على المستوى الجغرافي فقط ، لم يصلوا إلى المستوى التاريخي ولا تتجاوز معيشتهم الأعمال الضرورية اليومية وليس عندهم ما يجعلون ما يمكن أن يوافق حتى يتقنوا ليس القادم . فهو من اليد إلى الفم في جميع حاجاتهم .

ولكن بعد الاعتماد على الزراعة وتوالي المحصولات شرع الإنسان ينتج أكثر من حاجاته . وعلى هذا نشأ الرق . لأنه عندما الإنسان لا ينتج أكثر من طعامه فلا فائدة من استراسته . إذ ماذا تكسب منه ؟

ولكنه حين يشرع في الإنتاج بحث يؤدي عمله في الزراعة مثلاً إلى توفير الطعام لشخص واحد ، حينئذ فقط ، يصير الرق مفيداً ، لأن عندئذ أنتج شخص واحد وأرضيهما العمل فينتجان طعامهما وطعامي دون أن أحتاج أنا إلى مسقة العمل .

والآن نسأل : هل مذهب الرق نشأ قبل ممارسة الرق أم العكس هو الذي حدث ؟ أي أن الناس مارسوا الرق ثم وضعوا نظامه وواقفوا عن مذهب ؟ نقول أن الثاني مسلم بالفرض الثاني أي أن الإنكار تأتي بعد الحوادث . والتفسير السيكولوجي لهذا أننا حين نبحث عيلاً نحس عاطفة الإحناء والتسلط . ونس العاطفة تنشأ الشبهة وهي أن الرق نظام حسن .

وعلى هذا القياس نقول إن الناس استلوكوا الأرض قبل أن ينشأ « مذهب » الاستلاك . فالأحوال المادية التي تمارسها في الوسط هي التي تقرر لنا عقائدها لأنها تحدث لنا فكرة ومحاب . ومن هذه العقائد نشأ الأنظمة الاجتماعية .

وليس شك أن الأسس التي يقبى عليها المجتمع هي غرائز الفرد ، الموروثة في الجنس

الآخر قد أحدثت أنظمة الزواج والعائلة والموارث الخ . . . والرغبة في الطعام قد أحدثت أنظمة الصناعة والزراعة والتجارة .

والرغبة في الثمانيات قد أحدثت أنظمة الحكومة والديانة .
والرغبة في السلطة (— الطمأنينة الاجتماعية) قد أحدثت امتلاك الأرض واسترقاق

الأفراد .

ولكن كى هذه الرغبات ثابتة أيضاً عند الاسكيماوى في القطب الشمالى وعند رجل الغابات . ولكن لم تنشأ منها عندهما عائلة أو صناعة أو تجارة أو حكومة أو ديانة . لأن الوسيط المادى لا يبيح هذا التفكير لها . إذ ماذا يستند الاسكيماوى مثلاً من استرقاق رجل آخر يعرف أنه لن يصد أكثر مما يكفده ؟ أو ماذا ينتفع من الحكومة وهو لا يفتنى أحداً إلا ليس عنده شئ يسرق ؟ أى أنه بعد أن اجتمع الناس بالزراعة وبعد أن استعملوا الأسرى شرعوا يستولفون امتلاك الأرض والرق بأنفسهم ثم هم أنها هي الأصل مع أنها هي القوة . ونحن نعيش في مجتمعات يعتقد أنها مت العواطف . ونحن نسوح سواحنا إلى الخيصر . سواء آتينا لسير على نواضحه أم لنشد . بتضمرات أو حتى تقريجات لا تصطدم بمواظفنا . وسواء كنا الاجتماعى بلبنى لهذا السبب على أسس عاطفية وليست وجدانية . وقبل منة . بل قبل جداً . من يحاولون النظر إلى نظام الخيصر بالوجدان أى هذا التقار الموضوعى النفسى العظمى الذى لا يستسلم لعاطفة .

وجميع عقائدنا عاطفية حتى ولو كان لها أصل وجدانى . فإن المسلم لا يحرم لحم الخنزير فقط بل يستنزه منه . أى أن العشرة عنده تستند إلى عاطفة . وكذلك كان الشأن عند كابلنا عندما طلب إليهم تحرير عبيدهم . فإن اقتناء العبيد أحدثت عندهم عاطفة فبهذه هي الامتلاك والتمسك . وهذه العاطفة أحدثت عقيدة الرق وأنظمتها .

والشعر الاقتصادى لتاريخ أو النظر المادى لتاريخ هو تفسير وجدانى لأنظمة الخيصر وتغيراته . ولذلك نكرهه بعض الناس لأنه الكراهة لأنهم يؤمنون بعقيدة الامتلاك التى أوجدتها في زعمهم « شريعة » الآباء والأدغار .

ومن هنا الصعوبة الكبرى في تغيير الأنظمة الاجتماعية ، لأن هذه الأنظمة قد أحدثت في نفوسنا عواطف . وهذه بعثت عقائد تكاد نطقن أنها طبيعية . وهذا يفسر لنا كيف أن تلسوناً مثلاً مثل أرسطوطاليس ما يجد في الرق ما يستحق الانتقاد . بل إن الأنبياء أنفسهم لم يعترضوا على نظامه ولم يفكروا في نقاده .

وخلامة القول أن البيئة المادية التى نعيش فيها تحدث لنا عواطف وعقائد نعلم فيها

بطبيعتها ونكره ذلك الوجداني الذي يرفض العواطف ويحاول أن يفهم ويعدل في الأنظمة. ومن هنا الاضطهاد أو على الأقل التكرار ثلاثاً كدين والبشريين ودعاة ضبط النفس ونحوهم لأنهم يشدون على قواعد المجتمع التي يمارسها أفرادهم بقوة العواطف. ونحن مثلاً نلبس ملابسنا على الزى الذي يرسمه لنا المجتمع ونحمل المشاق في سبيل الخضوع لقواعده هنا حتى أننا في أشد الأيام الحارة وأجسادنا توشح العرق من جميع أجزاء البشرة نلبس ملابسنا الكاملة بلا قص. بل نحن أيضاً نأكل كما يطلبنا المجتمع على آنية يرسمها لنا بنظام يجب ألا نخالفه فيه. ونحن نساير المجتمع في كل ذلك بأجاء المحاكاة لمحبب ألا نخالف.

ولست هذه المحاكاة مقصورة على اللباس والطعام لأن العقائد العامة نفسها تجري مجرى اللباس والنعيم بحيث أننا ننظر إلى الرجل الذي يستند عن قواعد الدين لفرقة إلى رجل يسير في الشارع بلا رباط رقيقة أو يأكل البصل على اللبنة كما يأكل التفاح. فالمجتمع يكسبنا، بأجاء المحاكاة، أزياء في اللباس والطعام كما يكسبنا أزياء في الأخلاق والعادات. ونحن نشتمز من المخالفة هنا كما لو كنا نخالف غريزة طبيعية. والحق أن الفرائض الاجتماعية مثل اجتناب لحم الخنزير أو التبول جهراً أو تخدعي العادات الاجتماعية، هذه «الفرائض» تلك مخالفاتها كما نؤلفنا مخالفة الفرائض الطبيعية. بل إن هناك من يعجز عن التيسول في المراحض العامة، أو في الفراش حين يكون مريضاً، لأنه منذ طفولته دأب على اجتناب التبول إلا منفرداً مستتراً. فهنا تتعلم «الغريزة» الاجتماعية على الترحح الانعكاسي الطبيعي لتبول. وليس على هذا كثيراً من سلوكنا الاجتماعي الذي نعتقد أنه طبيعي. وليس هناك ما يدل على أن الإنسان من الحيوانات الاجتماعية أي التي توت غريزة الاجتماع بفطرتها كما هي الحال في الخرفان والغزلان والحياتوس. لأن أبناء عموست الفرداء العليا لا تزال إلى الآن الفردانية عائلية أو حتى غير عائلية. ولكن نشأتنا الاجتماعية تمسكنا على الأخذ بالمقاييس والنظم الاجتماعية والتأثر بالأجاء الاجتماعي حتى أننا نتأثر تخالفه المجتمع كما نتأثر لكظم عاطفة طبيعية.

والآن يصح أن نسأل: ما هو المجتمع الحسن؟

- ١ - هو ذلك المجتمع الذي يحاول أن يجعل الوجدان (بالنظر الموضوعي والمنطقي) فوق العاطفة في إيجاد الأنظمة ولكنه لا يحمل قيمة العواطف.
- ٢ - وهو الذي يجعل الأنظمة الاجتماعية بحيث يفل الكظم في الأفراد إلى أقل.

مستدير. ولكن مع ذلك لا يصح أن يؤول الكلام تماماً لأنه إذا كان حقيقياً فإنه بعدد قوة محرّكه.

٢ - وهو الذي يلقى الألسنة بأن يعاملها بالسواء كالأكثرية بلا أدنى فرق .

٣ - وهو الذي ينظم بحيث تكون . لذات العليا . الوجدانية القيادة في التفكير

لذات الاجتماعية والذات البيولوجية . الخواصة . عند الأفراد .

٤ - وهو الذي يحاول جهد استطاع أن يعالج الأخلاق والافهام والسياسة

بالروح العلمية الموضوعية (الوجدانية) الذي يعالج به الإنتاج الصناعي أو الزراعي

أو الفنون في النظر لثمنه . وكذا أن الاختراع لا يرتقي بالتزام الشالدة كذلك الأخلاق

والاجتماع لا يرتقيان بالتزام الشالدة .

٥ - وهو الذي يجعل التعاون يأخذ مكان البداة في أسلوب الكسب والعيش حتى

يقبل الكلام من التحسد والغيرة والمطامع .

٦ - ولكنه . مع أنه يجعل مصلحة المجتمع هي العليا . لا ينسى أن غاية المجتمع

الأساس في النهاية هي إيجاد الشخصية التي للفرد .

٧ - ونكلمة عامة نقول إن المجتمع الأساسي هو الذي يعمل الذكاء الوجداني الموضوعي

البعدي فوق العوامل الدائمة . لأن الذكاء الأساسي يطلب التغيير . أما العاطفة فتراسخه

جائده .

العائلة البشرية

إذا كنا نجتمعنا بمرور العوامل الاقتصادية التي جمعت أفرادها بعائلة القرية أولا ، ثم بالزراعة والصناعة وبناء المدن والقرى ثانياً ، فإن العائلة تعود إلى أصل طبيعي ، أي أو لم تكن تعيش في مجتمعات عشائرية عائلية كما يفعل إلى الآن ذكر الغوريلا مع أنثاه وأولاده . ذلك أن العائلة تعود إلى الرغبة الجنسية أي العلاقة الفسيولوجية التي تحمل أحد الجنسين على طلب الآخر . ثم وجود الأولاد والتضامن بينهم ، والمجتمع البشري عموماً في النهاية بمرور هذا المجتمع العائلي أي أن الأولاد الذين يرتبطون بالأم ، أو الأم والأب معاً ، يبقون على هذا الارتباط حتى بعد وفاة أبويهم . ولكن هنا نجد البقرة فقط . أما سيرة المجتمع فتمت بعد ذلك بالعوامل الاقتصادية حين احتاج الإنسان إلى الاجتماع فاصيد . ثم إلى الاحتياج من الضواحي التي كانت تفرس مساحته مدة الرعي ، ثم احتياج بعد ذلك إلى الاحتياج من الفاضل مدة الزراعة .

وفي مجتمعنا الحاضر بعد العائلة أساس المجتمع لأنها تفرس لنا عواطف وبعين لنفسنا اتجاهات مختلفة حين تكون في من تقبل فيها هذه العواطف والاتجاهات بلا معارضة ، لأن العقل الوجداني لم يكن قد اكتمل نمو . وللعائلة أثر في الأولاد وفي الأم وفي الأب . ولكن يجب أن نوضح هنا أن كلمة عائلة في مجتمعنا من الكلمات السلبية المانعة .

للرجل مع زوجته وأولاده يكونون عائلة .

والرجل مع زوجته وأولاده وأمه يكونون عائلة .

والرجل المطلق من زوجة سابقة مع زوجة أخرى وأولادها يكونون عائلة .

والمرأة المطلقة من زوج سابق مع رجل آخر وأولادها يكونون عائلة .

والأرملة مع أولادها تكون عائلة .

والأرملة التي تزوجت بعد وفاة زوجها مع أولادها منه تكون عائلة . الخ . الخ .

وهذا الاختلاف في تكوين العائلة يؤدي إلى اختلاف في عواطف الأطفال واتجاهاتهم في الحياة . ومن حق كل طفل أن يكون له أبوان يحميه فيهما الطمأنينة قبل كل شيء .

فإذا وقع الطلاق أو إذا كان الزواج حافلاً بالشجار بين الزوجين تزعزعت هذه الطمأنينة عند الطفل وغاش سائر حياته بنفس مكوبة . وله برأ من هذا الكى أو لا برأ . لأن هذا السكين الذى نشأ فى الجو العائلى المزعزع المضطرب كتمى نفسه ومن من الجميع قبضه . ثم يدفع عن نفسه هذا الخوف بالاعتزال أو العدوان .

من حق كل طفل أن يكون له أبوان . ومن واجب كل زوج أن يرتبط بالزواج على ما به من مصالحه لأجل أولاده . أما الفقرة بالطلاق أو بلا طلاق فيجب أن تكون آخر ملحقاً إليه أحد الزوجين .

وأما العائلة السكوتية فى الأولاد كغير جيد . لأن الطفل بأخذ أوزانه وميله الاجتماعى من عائلته أى أبويه وإخوته والصوف . ومن اللغة التى تسعمل . والسلوك الاجتماعى لكل فرد داخل البيت . فإذا وجد الطفل أباه محترمين فإن من أنقى المشقات ألا يكون هو يوماً . والسعادة العائلية للأطفال تبعث الطمأنينة فى نفوسهم بعد ذلك حتى إذا سب أبواهم هذه الطمأنينة . وقد وجد عند إجلاء الأطفال عن لندن سدة العراب فى الحرب السكوتية الأخيرة أن الذين سبوا أن سعدوا منهم بوسط عائلى حسن تعلموا الغربة أكثر مما تعلموا الذين لم يسعدوا بمثل هذا الوسط . وذلك لأن الوسط العائلى الحسن بعد الطمأنينة فى الأطفال فواجهوا الغربة مضطحين . ولكن الوسط العائلى القاق جعل الأطفال الذين نشأوا فيه يزادون قلقاً بالغربة . وإذا أعطينا لطفل مدة الطفولة فى العائلة الصداقة والحب والطمأنينة أعطى هو سبل ذلك للجميع . وإذا أعطينا الشجار من أبويه أو الاضطهاد من زوجة أبيه أو زوج أمه نشأ متقللاً يخاف الجميع ويعاديه . وقد نفسه السقل لأن أمه دلته وحتمته أكثر مما يجب ليشأ وهو يحس الحاجة إلى من يحميه ويحمى الاستقلال ويطلب الجميع بأن يمدله أيضاً . والجميع بالطبع يرفض هذا التذليل . فتكون النتيجة أنه يحس أنه مظلوم . وقد يمدله هذا الاحساس على الإجراء أو الاعتزال . وكذلك قد يمدد الطفل لأنه مظلوم إما لأن زوجة أبيه تؤكد أبناءها عليه وإما لأن أمه لا تحبه كما تحب إخوته . وهذا الاضطهاد العائلى يمدله بعد ذلك على كراهة الناس والتوحش منهم . ولدت الخيل التى كان يمارسها وهو طفل كى يحصل على حقه فى وسط غير ودى تعيش معه ليعادلى بها الجميع نفسى إليه ويساء إليه . وهذا السبب ليوه له من حتى كل نفس :

• أن يكون له أبوان صديقان .

- ٢ - وألا يجد بينهما شجاراً أو انفصلاً .
- ٣ - وأن يكون كل منهما شخصاً ناضلاً .
- ٤ - وألا يجد منهما أو من أحدهما تدليلاً أو اضطهاداً .

وعده بالنطع في الحال التي لما يبلغها ولكن يجب أن نشاهد حتى ينشأ الأطفال بطفولتهم وحتى ينشأوا بضميرهم إلى المجتمع .

وهناك أثر سيكولوجي للعائلة في الزوج أي الأب هو تكبير شخصيته بالمسئولية للعائلة وحمله على اهتمامات اجتماعية وأخلاقية ما كان يباليها لولا الارتباط العائلي . فان مسئولية الزوج وأولاده تحمله على الاستقامة والشرف والحذر والأمانة . وعلى أن يجد زوجاً له أولاد بكر في الانتعاش . وقليل من الأزواج من يميل إلى الاجرام .

وكذلك هنا أثر سيكولوجي للعائلة في الزوجة أي الأم لأنها تجد الكرامة الاجتماعية بالزواج وتكبر شخصيتها برية الأولاد وتحمل المسئوليات لهم . وعم نيل كل سى منذ عاظمي لها كثيراً ما تعرف قيمته في أولئك العوائس اللاتي يشكون ليبروراً لاستعداد عاطفة الأمومة عندهن لأنهن لا يتزوجن .

والجتماع الحسن هو ذلك الذي يسر تكوين العائلات وترسية الأطفال في بيوت جميلة مزودة بوسائل الراحة حتى لا تشتت أعضاء البيت . ومناخنا في مصر يحرم لأجمع أعضاء العائلة كما يجتمعهم الجو الأوربي البارد حول الدفء للاعتلاء . فان هذه الدفء وسيلة للاجتماع العائلي الذي لا تعرفه في مصر .

وفي أوروبا نبي المنزل الحسنة الرخيصة للعائلات . كما يرى الأطفال باهجان . ونظام الضرائب يتيح للعائلة المتوسطة أن تعيش في رفاهية بل يتيح ذلك أيضاً لعائلات العمل . وكل ذلك تشجيعاً لتكوين العائلة التي تعد نواه المجتمع . وليس الطلاق سبباً للزوجين إلا بعد الاتفاق التام بأن انفرا كهما في المعيشة قد أصبح محالاً وأن انفصالهما خير للأطفال من بقاءهما . والطلاق في مصر هو الكارثة التي يعني الأطفال كثرها المرة في فوضى حياتهم .

ومن أحسن ما قامت به روسيا لتوثيق الرابطة الزوجية اضطحة الأطفال أنها جعلت كل ما يقتضيه أحد الزوجين بعد الزواج ملكاً لهم دون أحدهما . وهذا الاشتراك في الملكية يبعدهما عن الانفصال والطلاق . ووضح أنه لا يجوز في روسيا إستلاك العقارات التي تحتاج لاستغلالها إلى محال .

والآن اعتبر الأسرة التالية وتأثيرها السيكولوجى فى الزوجين والأطفال :

١ - أسرة تربي أولادها الذين ينشأون معها فلا يعرفون الضيافة وواجباتها لأن الزائرين (دون الزائرات) قبلون أو معدومون . فالأولاد ينشأون انفراديين منعزلين يعيشون الخسعات ولا يحسنون السكينة الاجتماعية .

٢ - زوج أنوثراطى يعتقد أنه لا يبقى للزوجة أن يكون لها رأى فى نشأ الأولاد نشأة غير ديمقراطية . وهذا كثير فى مصر معدوم فى أوروبا حيث الزوجان زميلان ليس أحدهما رئيساً على الآخر .

٣ - الأم الحجيبة التى تفضل الغرباء وتتجنب فتح الباب فربما أبنائها بالقذوة وهم يخافون الغرباء .

٤ - الزوجة التى عملت وكسبت قبل الزواج . وأدى براسها لعمل والكسب إلى زيادة وجدانها بالجميع وحرصها على مصلحة زوجها فى عمله . وأثر هذا فى تربية الأولاد .

٥ - الزوج الذى لم تعلم شيئاً لا من أبيها ولا من زوجها . فلما مات الزوج انهارت . وأصبحت كالعدومة تصار الأولاد يتامى من الأب والأم معاً .

نحتاج إلى ثقات موهبة عن مواقف العائلة من المجتمع .

١ - ذلك أن الفرد - حين ينتقل من العزوبة إلى الزواج - يظل ارتقاء والخصائص الاجتماعيين . فأمما الارتقاء فالأول « واحدته » والثانية تبسطان إلى « ثالثة » وعبرية . فهو يعنى بزوجته وأولاده . وقد كان قبلاً يعنى بنفسه فقط . ولبعده العائلة تحسده على تربية نفسه وانتظامه فى الحياة .

٢ - وتكون العائلة لعرض المجتمع من حيث أن أعضائها يتجمعون كتلة متكدة تكون منفصلة عن المجتمع لها أمانة خاصة . والزواج يجهد أنه عقب الزواج قد نقص الاتصالات الاجتماعية . أى أن الامتناس الاجتماعى يتعارض مع الاحساس العائلى . وكثيراً ما يجد لهذا السبب أزواجاً لا يعرفون العواطف الاجتماعية السخية كالوطية وحقوق الجمهور ونشر التعليم وتعميم الصحة لأنهم محدودون بالعواطف العائلية الضيقة أى « أنا وعائلتى فقط » .

٣ - التنوع الاجتماعى فى نشاط الزوجة يؤدي إلى تفكك عائلتى . كما أن التفكك العائلى يؤدي إلى تفكك اجتماعى .

٤ - عندما حدث انزاع الأمريكية وكسبت وارتوت تهيئت العائلة . كما يتضح من كثرة الطلاق وتأخر السن للزواج . ولكن هذا التذك العالى قد رافقه تزايد اجتماعى أو وجدان اجتماعى جديد .

٥ - بما أن أعمال البيت قد صارت آلة أى تقوم بها الآلات فى البيوت الأمريكية وبعض الأوروبية قلت الروابط التى تربط الزوجة بالبيت وزادت الروابط التى تربطها بالمجتمع .

٦ - الطوائع السيكولوجية المتغيرة تدل على أننا نسير نحو النوع الاجتماعى والمضيق العائلى . ذلك لأن المرأة تعلم كالرجل وتكسب ماله وتحترف وقد صارت لها كرامة اجتماعية تعنى بها وتوحيها إلى جانب كرامتها العائلية . بل هى أحياناً ، مثل الرجل ، تضفى بتركزها العائلى لأجل مركزها الاجتماعى . فلا ترضى مثلاً بأن يترك حرفة كى تتزوج . لم يبق إذا تزوجت كان اجتماعها خارجياً اجتماعياً وليس منزلياً داخلياً .

وهذا الاتجاه يزيد بزيادة الحضارة الصناعية . ونحن هنا نقرر الحقائق فقط كما نرى أماراتها .

التطور الاجتماعي للشخصية

غاية جميع الأمثل هو إيجاد الفرد الأمثل . أي الفرد الذي يتناز بالشخصية المثلى .
والذلك يحتاج إلى أن تنشر في الأموار التي ترتب إليها أو تتغير بها الشخصية التي هي جلع
الحو النفسي والذهني والجسمي .
تمر الشخصية في عشرة أطوار يداخل بعضها في بعض . وهي تبلغ إيمانها فيبدأ
الخمس وتستمر على ذلك إلى الشيخوخة .

١ - فمن الميلاد إلى إتمام سنتين ينحصر النشاط في اللعب الطعام والراحة .
٢ - ومن سن سنتين إلى خمس سنوات يواجه الطفل أسئلة المثلث والمساكنات
فيلمح الأحياء .

- ٣ - ومن سن ٣ سنوات إلى ٥ أشهر الطفل في التحفظ وضبط عواطفه .
- ٤ - ومن سن ٥ سنوات إلى ٦ سنة يتضح تلاقه فتيكم ويكثر ويحال .
- ٥ - ومن سن ٦ سنوات إلى ٧ سنة يتنافس ويغار .
- ٦ - ومن سن ٧ سنة إلى ٨ سنة يثبت إلى الجنس الآخر .
- ٧ - ومن سن ٨ سنة إلى ٩ سنة يكثر في كسب العيش .
- ٨ - ومن سن ٩ سنة إلى ١٠ سنة تبرز فيه الرغبة في الحق والظلم .
- ٩ - ومن سن ١٠ سنة إلى ١١ سنة تنظم له قيم ومقاييس روحية واجتماعية .
- ١٠ - ومن سن ١١ إلى ١٢ توضح هذه القيم والمقاييس فيكونه الشجر .

وإعني أنه في هذه الثمرات من العمر يبرز صفات كل فترة أكثر من غيرها من الصفات
التي قد تضعف ولكنها لا تزال موجودة . فالانتقال إلى الجنس الآخر (٦ - ٧) قد يبق
إلى سن الستين أو بعد ذلك ولكنه يبرز ويظهر على الشخصية فيما بين سن ١٠ و ١٢ سنة .
ويشعرنا أن هذه الانتقالات والتغيرات تعرف أن كلا منا يتناز بشخصية منظورة .
وأن أحياناً في سن الثلاثين قد يكون شخصاً آخر في سن الخمسين .

والشخصية تتكون بالاجتماع . والإنسان بلا مجتمع حيوان بيولوجي لا ينفك من الحيوان إلا من حيث الذكاء الفطري . وهذا الذكاء الفطري لا قيمة له مادام الإنسان منفرداً إذ هو يبقى خاملاً أخضر غشياً حتى يعمل به المجتمع ويقومه ويوجهه وحتى ينهض كقالب اللغة وتوجيهه .

وفي حياتنا الاجتماعية تمر بنا ظروف تقرر لنا شخصيتنا متى ثابته قد صيغت في قالب أو جملة قوالب حيث لها السك والكيف . وصحيح أنه عندما تقرب من من العنبرين يشرح كل ما في تكوين شخصيته بوجوده . وقد يتجهج في بناء نفسه وتصحيح الأخطاء السابقة وتعيين الأهداف الحسنة التي تتجه إليها . ولكن هذا الوجدان يتوقف على ظروف كثيرة مؤالية أو معاكسة . ونحن نجعل هذه الظروف فيما يلي :

١ - عند الميلاد يقرر ذكواننا من حيث المذار كما يقرر مزاجنا من حيث الانحياز . فقد يولد أحدهم ذكياً أو بليداً أو متوسطاً . وقد يقرر له منذ ميلاده عمره طويلاً أم قصيراً وصحته قوية أم ضعيفة ثم هو قد يولد بعاهة تحدث له مركب نفسي أو قد يولد سوية . ثم هو قد يولد انبساطياً اجتماعياً أو انطوائياً انعزالياً . ولكل من هذه الحالات أثر في الشخصية .

٢ - ثم هناك التربية التي تحصل عليها في البيت منذ الميلاد . فله يتوقف على كبير من الأخلاق على الرضاخ هل هو بمواعيد يتعلم منها الطفل ضبط نفسه أم عسوي يجرى اعتباطاً . فبعضاً هو بعد ذلك تروياً عاطفياً لا يضبط نفسه . ثم هو يتأثر تأثراً مختلفاً إذا كان قد دلتل أو اضطهد أو عوسل بالانصاف . ومركب أوديب (صور) أمه في نفسه (سطر) في علاقاته الجنسية المستقبلية . ثم معاملة أبويه أحدهما للآخر . ثم مكانه بين إخوته هل هو الأكبر أم الأصغر ؛ وهل عاش مع بنات أو أولاد . وهل كانت أمه مع أبيه أم بطلقة منصلة . ففي كل هذه الحالات تتأثر الشخصية وتنمو في قالب معين .

٣ - ومن هذه الظروف التي تقرر شخصيتنا أيضاً ظروف المرافقة حين التذب العاطفة الجنسية والغريزية . فبعضنا يقضي هذه الفترة في أسر يختلط بالفتيات ونحوه مراافقته وهو سوي سليم . وبعضنا يقضيها في عسر وعنته فيعجز عن التصرف السليم ويوقع في العادة السرية ويسرف فيها ويخرج منها ملغماً . وقد يحدث في هذه الفترة شذوئ سي .

٤ - ثم هناك المدرسة وما تحدث من سراملة أو مزاجمة وما تصيب النفس ثم الشاب من نجاح أو فشل . فإن لكل هذا أثره الحسن أو السي في الشخصية .

٥ - نعم هناك الزواج . وعلى كل موقف أقام على الحبيب والاحترام ، أم اتضح أنه غريبة وأن نصارى ما يرمي بهه نسوة . وعلى هو بلا أولاد أو بأولاد . وعلى الزوجان في خريف وعريضة أم في وفاق ورزالة ؟ فكل هذا أيضاً أثر في الشخصية .

٦ - وأخيراً هناك مكان أو ثلاث سنوات تقع عند المرأة عند الثالثة والأربعين أو حواليها وعند الرجل في سن الثالثة والخسين أو حواليها ونعني بها الركود أو الضعف الجنسي . وهي الوقت الذي تسميه خطأ سن الرأس . وفي هذه التسمية أثر سيكولوجي من في المرأة لأن هذه السن هي سن الحكمة وإدراك سن الرأس . وهذا الانتقال من الشباب إلى الشيخوخة كثيراً ما يؤدي الشخصية إلى أحياناً تكون أخطاره عظيمة وخاصة في المرأة .

ولكننا نعرف أمارات الشخصية السيئة في الفتاة الصاعدة السنية التي لا تعرف الرشاقة بل تعتمد على جهل كمال أو في ذلك الشاب البارد الذي يسكت طويلاً ويعاني سخرية . ولعرف ذلك « البارد » الذي نتجبه ونبتوى لقائه لأشياء نفس جسده كآله قد يبلغ من خشب إذ نطمناء لم يزل .

ولشخصية أساس من بناء الجسم وخاصة من الغدد الصماء التي تقرر المزاج والقواء والتعاطف والتمتع الخ . ونحن نستظرف الغد التحريف والتفكير التناسلية ونسلك الجسم المتكامل الذي يسعى وكأنه يدير الترفيع . ولكن . هـ في تلك من الشخصية نفس وأسر جسيماً . والظرف والرياسة واليأس والخفة والروح من صفات النفس وهي ثمرة المجتمع أكثر مما هي من صفات الجسم أو ثمرة الغدد . ولو كانت الشخصية من صفات الجسم فقط لكان من الصعب الكلام عنها والبحث عن ترقيتها . وأنا أرجو القارئ الذي يغني التوسع في هذا الموضوع أن يقرأ كتابي « الشخصية الناجمة » .

ولكني أخص هنا الشروط التي يجب أن تتوافر لإيجاد الشخصية المثلى :

١ - أن يكون الإنسان اعتمدات متعددة تستغل ذهنه ونفسه وتزيد صلته بالمجتمع فيجب أن تكون له حرفة يحسنها يكسب منها العيش ويكسب الكرامة الاجتماعية .

ويجب أن تكون له عواطف تفي فيها فراغه ونعني عواطف يرتقى بها ويستغل بها الوقت لا أن يقتله . ثم يجب أن تكون له اعتمدات اجتماعية في عمل النير أو الاشتغال بالسياسة أو الدجاج عن مبدأ أو نحو ذلك . وهذه الاعتمدات هي شروط أساسية للسعادة الفردية ، والظبية الاجتماعية .

- ٦ - ويجب أن يترك الحياة الزوجية على العزوبة لأن مسئوليات العائلة والزواج تربي شخصيته . والمسؤولية هي قيتامين الشخصية .
- ٧ - يجب أن يترك نفسه على تغليب وجدانه بالمشقة والنظر الموضوعي على عواطفه ويتجنب النظر الذاتي في المشكلات .
- ٨ - يجب أن ينشأ فلسفة صالحة ويبنى عليها .
- ٩ - يجب أن يجعل المستقبل جزءاً من الحاضر . ولكن يجب أيضاً ألا يضحى بالحاضر من أجل المستقبل .

وبالطبع هناك الشخصية المرضية التي ، نذكرها ، لأنها خصصنا لها فصلاً آخرى .

مرض النفس هو مرض المجتمع

اجتمع المرضى وبعت الأمراض في نفوس أفرادهم . وأعراض النفسانية جميعها من
السكرانولية البسيطة كالحمى أو التبرد أو الزرق الخفيف . إلى البوروز حين تصد
الغرائب وتترتب حتى لا يتبقى وقد تزعج على الانحمار . إلى السكران حين تحتل العقل
ولا يرى الأشياء على حقائقها الموضوعية . جميع هذه الأمراض تعود إلى مجتمع مريض .
لهذا أننا نعيش في مجتمع اقتضى بدعو إلى تنازع البقاء وببعت الخوف والقلق من
السقط . ويعمل التفوق أو التطفل كحركة المبارزة . فهو مجتمع انساني تحاسدى تلازمي .
وفي كل فرد خوف من السقط لهذا السبب . وجميع أفرادهم في مبارزة كملهم شكوكا وشبهات
يتناولون الفكر ولا يجدون التماثلية . حتى النسي في المدرسة يطالب بالمبارزة والتفوق
في الامتحانات .

وليتأمل القارئ ما يطرح من معنى المبارزة ومعنى التفوق هنا في نفس الصبي . فانه
عشى هذه المبارزة ويمثل نفسه شكوكا عن الفشل في السقط . وهو يغار من الشوازين
ويكرههم . وهو جسد ومعن . لم هذه الرغبة في التفوق تعتمد على الغضب والكرامة
تغيره وسب السبق لنفسه . وجميع هذه المواقف كدرجة لبقية في قلق . لماذا يترك المدرسة
وجه هذه الصفات أيضاً في المجتمع في صورة أوضح بل أشع لا ند ينتهي إلى أن يقيس
ويزن بهذا الاعتبار التالي : يجب أن أبتلك وأتفوق عليك . وأيضاً أكرهك إذا سبقني
وتفوقت على . وأنا أحسب الفشل . ولذلك أنا قلق خائف غير مطمئن إلى الدنيا . . . ومثل
عدم الجبال تجعلنا جميعاً مرضى . وهذا هو الواقع الآن . وإنما فقط لتفاوت في درجة المرض
أى في درجة القلق والهم والخوف والقلق .

وهذه الصفات الملصق بنا والعود غواطف نعتقد أحياناً أنها طبيعية . فالزوج يعامل
زوجته بروح الاقتناء يريد أن يأخذ ولا يعطى . بل هو يفعل ذلك حتى في الواضف الخمسة
بينه وبينها . والخوف المستشري نفوسنا من الفشل في هذه المبارزة لأجل الاقتناء . اسئله
المال والوجه هذا الخوف جعلنا على أن نلتصق بالسلط والتجبر لأنهما يؤمماننا

البعد عن الخوف. وهذا إلى نظام خيالية بشأن الثراء والفقر والقوة تتغلغل في نفوسنا وحسنا على بدل مجهودات مادية كانت مبحثنا الجسمية والنفسية .

وكما ما تؤمن به من عقائد . وكل ما ينبعث في نفوسنا من عواطف . أتيجد هذه العقائد . إنما تأخذ من المجتمع الذي تعيش فيه . فالخمس والغيرة والخوف والقلق والرغبة في التسلف (الاستبداد) والشك . كل هذا يعود كما لو كان عواطف طبيعية في نفوسنا . مع أنها لأمراض نفسية نشأت عندها من المباداة والاكتناء في المجتمع .

ولذلك نجد أن أعظم الأثر إيماناً بمذهب الانتقاء وممارسة لمباداة هي أيضاً أعظمها في الأمراض النفسية . وهذه الأمة هي الولايات المتحدة الأمريكية . حيث يزيد عدد الأسرة للأمراض النفسية في مستشفياتها على عددها للأمراض الجسمية : مباداة وتنازع وتخاصم وخيرة وخوف وقلق . يؤدي إلى التيارات في الأعصاب واختلال العواطف ثم إلى انهيار واختلال في العقل .

وأمرنا النفس هي في النهاية تعجز الفرد عن أن يعيش في المجتمع على أساليب وأخلاقيات وأهداف . وجميع مشكلاتنا النفسية هي : هذا السبب . مشكلات اجتماعية . وثالثه مغزى كبير هنا أن المدارس الجديدة في الولايات المتحدة تمنح المكافآت والامتيازات وتضمن التلاميذ على التعاون بدلاً من المباداة ويجعلهم يحلون مشكلة عامة متعاونين . وذلك لأنها عرفت ما تحدثه المباداة في نفوسهم من قلق وخوف وما تبعته فيهم من عواطف كراهية كالتمسك واللباغض . ولكن ماذا يجدي التعاون في المدرسة إذا كان هؤلاء المتعاونين سيجربون إلى مجتمع كله مباداة وممارسة للاكتناء بل ممارسة للظلم والتنازع بقاء ؟ - ولأن الخطي " القبل " أو المستخف الانتحار .

ولسنا قادرين على أن نغير هذا المجتمع التماسدي إلى مجتمع تعاوني أي نغير أسلوب العيش من المباداة إلى التعاون . ولذلك سنبقى معاً الأمراض النفسية مادام مجتمعنا قائماً على أسلوبه هذا . وقصاوي ما نستطيع أن نفعله أن نعالج حالة فردية بعد أخرى ونحاول أن نرد المريض إلى وجدانه أي إلى العقل . وبكلمة أخرى نحاول أن نبين له أنه يجب عليه ألا ينطوح في الأخذ بأسلوب هذا المجتمع حتى يمرض ويجن .

وإلى أن يتغير مجتمعنا من المباداة والاكتناء إلى التعاون فالتأثير سيقضي مرضي . . . نهرب من عواطف القلق بالخمر . ونفر من الفضل بالانتحار . ونجهد الجسم والنفس في مجهودات لتحقيق نظام خيالية . ونجأ إلى المارستان كي نعيش في أحلام الغيبوبة . لأننا لا نطبق الواقع بكل ما فيه من مصاعب .

- ١ - اعتبر أيها القارىء موظفاً فى الدرجة السابعة فى الحكومة يتحكم فيه الرئيس ويتعنت ويهدده من وقت لآخر بالغرامة وبتجلس التاديب ويترقب به الأخطاء كى يوقع به . ففى هذه الحال يلقى هذا الموظف ويخشى فصله من الوظيفة وهو يجد أربعة أو خمسة أطنال مع أنهم يجب أن يوزنوا . والتلقى يحدث له أضراراً جسدية مثل لغط القاب أو زيادة الضغط الدموى أو اضطراباً معوياً من إسالك إلى إسبال .
- ٢ - واعتبر آخر يعمل فى بورصة الأوراق . وهو بين ساعة وأخرى يرفع سروراً أو ينخفض احتمالاً لقلب الأسعار .
- ٣ - ثم آخر ، فتاة مثلاً ، تقضى أن تفوتها من الزواج . لأن الخاطبين يطلبون فتاة ثرية وهى فقيرة .
- ٤ - ثم آخر . قد نكبه الزمن بزوجة مسرقة . فهو مهما جده لا يستطيع أن يصدق مطالبتها وهى دائمة التقرع له على خلفه ، تضرب له الأسنابل عن غيره الذين ينجحون ويقتنون أزواجهم الخ .
- ففى كل هذه الحالات نجد أمراً نفسية تعود إلى المجتمع الذى تعيش فيه . هذا المجتمع الذى يخالجه بالمباراة ، ولا يؤمن من القافة أو المرض .

العاطفة والوجدان

تستطيع بعد أن بلغنا هذه المرحلة من الكتاب أن تعود إلى هذا الموضوع بزيادة في التوسع .

فنعين البشري نواجه هذه الدنيا بثلاثة رجوع تؤدي إلى الطعام بينما وبين الوسط :

١ - الرجوع الانعكاسي . كالضوء مفاجئ بعد الظلام فاضطرب عيني ، أو النار تلامس يدي فأحسها . فهنا رجوع يعطيني على تصرف معين هو الاحجام أو الهرب . كما أني أرى الطعام وأنا جائع فيجري لعابي . فهنا استجابة لعائي على الالتراب والأكل . وهذا الرجوع قد يكون مباشراً أو معدولاً أي مكيناً قد تقل من أصله النهائي آخر يتصل بالأصل . ونحن في هذا الرجوع المباشر نشترك مع أحط الحيوانات كالاسفنج . ولكننا نمتاز بأننا ، وبعض الحيوانات العليا ، نستطيع نقله من أصله . كالجرس يندق فيجري لعاب الكلب لأنه تعود وضع الطعام له مع دق الجرس . نصار الدق وحده يجرى لعابه ويذكره بالطعام .

وهناك من السيكولوجيين ، مثل بافلوف وواطسون ، من يقول إن كل نشاطنا الذهني (النفسي ؟) هو رجوع معدولة أي مكينة . ولكن هذا القول يعني في النهاية أن كل تفكيرنا إنما هو ذاكرة لا أكثر .

٢ - ثم هناك الرجوع العاطفي حين أستمع من منظر يفتي النفس في الشارع . وهناك الاستجابة العاطفية حين أدخل الدار السيئة . وأتذكر برؤية الافتحانات والأشخاص . وقد يقال هنا إن العاطفة هي الرجوع الانعكاسي . ولكن قليلاً من التأمل بين أن الرجوع الانعكاسي مفاجئ سريع زائل كطرفة العين عند وقوع القذى بها ، ولكن العاطفة بطيئة متبادرة كما يحدث حين أرى فتاة جميلة أناملها ثم أذكرها بعد رؤيتها بيوم أو شهر . وليس شك مع ذلك في أن أساس الرجوع العاطفي هو الرجوع الانعكاسي . ولكنني في الرجوع الانعكاسي أتحرك بسرعة وأقو أو أقبل فلا أفكر . ولكنني في الرجوع العاطفي أتريث . وفي تربي أجد الفرصة للرؤية والتفكير .

وصحيح أننا عندما نتأمل حيواناً حتى من الحيوانات العليا نواجه أنقى لا نعرف هل هو يستجيب إليها استجابة العكسية أو عاطفية. وحياتنا الخطارية قد أفسدت علينا هذا التمييز لأن رجوعنا العاطفية والانعكسية قد صارت بالحضارة معدولة أى مكيفة أى صارت مركبات. ولكن يجوز لنا أن نقول دون أن يتعد كثيراً عن الحقيقة أنه كلما انحط الحيوان صارت مواجهته للعكسية. فإذا ارتقى صارت هذه المواجهة عاطفية تتبع ببطئها وتتأخرها شيئاً من التفكير.

والقارئة هنا تشبه القارئة في شأن الذاكرة. فإن لنا ذاكرة بدائية نحس بها حين نتأمل مصباحاً مشتعلاً ثم نغمض العين. فبقي صورته ماثلة لا تتبدل إلا بعد دقيقة أو نصف دقيقة. وواضح أن ذاكرة كثير من الحيوانات لا تزال في الغالب باقية على هذا المستوى أو تزيد قليلاً. ولكن ذاكرتنا نحن قد تجاوزت هذا المستوى إلى أنى استطع أن أدرس العلوم والفنون وأن أذكر حادثاً مضى عليه أربعون أو خمسون سنة.

فالذاكرة البشرية على متأخرها السنين القاطنة تعود مثلاً إلى الذاكرة الضمنية أو السمكية على زوالها بعد دقيقة. وكذلك الرجوع العاطفي في الإنسان يعود مثلاً إلى الرجوع الانعكاسي في السمك.

أجل. إن الأصل واحد. وما زلنا نلمس هذا الأصل ونتجده. ولكن ما أعظم الفرق! ثم هذا الفرق لا بعد كبيراً فقط بل صار نوعياً. لأن الانتقال من الرجوع الانعكاسي السريع الزائل إلى الرجوع العاطفي الشابر الباقي قد أتاح التفكير.

— ثم نحن البشر نواجه الدنيا بشئ ثالث ليس هو الرجوع الانعكاسي وليس هو الرجوع العاطفي بل هو الوجدان.

وهذا يقرب علينا بالقلوب والافسوس وقولان: ما هو الوجدان؟ أليس هو جملة رجوع انعكسية معدولة؟ ألغوا هذه الكلمة «وجدان» لأننا ليس عندنا ما نواجه به الدنيا سوى الرجوع الانعكسية.

ولكن هل نستطيع إلغاءها؟

إني أؤلف هذا الكتاب الذي تقرأه بوجدان اجتماعي نقائي وأستطيع أن أحلل البواعث التي وصلتني إلى مقعدي هنا أمام مكتبي وأقف على الرجوع الانعكسية أو العاطفية المعدولة أى المكيفة التي يعتنى على التأليف. ولكن ماذا في هذا؟

إن أقول بأن وجداني هو مجموعة من الرجوع الانعكسية كالتقول تماماً بأنني لست مؤلفاً

من لحم وشحم ودم وعظم ، إنما أنا مؤلف من كربون وهيدروجين وأوكسجين وحديد وفسفور وصوديوم الخ . . .

إن الماء مؤلف من هيدروجين وأكسجين . ولكن خصائص الماء ليست خصائص هذين العنصرين . ونحن هنا ليسنا إزاء إضافة وجمع يساويان كماً . وإنما نحن إزاء إضافة وجمع يساويان كميّاً أي انبجاساً جديداً لم يكن للمي به عهد من قبل .

في الأصل رجوع العكسية موضوعية لا تسبح التفكير لسرعة زوالها .

ثم رجوع العكسية قد صارت عواطف عامة بطيئة متغيرة فأتاحت التفكير . وهذا انبجاس جديد . وهو تفكير ذاتي انفعالي ولكنه تفكير نشترك نحن والحيوان فيه .

ثم عواطف مباشرة أو معدولة قد تجمعت في الإنسان فلم يكن حاصل تجميعها زيادة الكم بل كانت انبجاساً جديداً في الكيف فأحدثت الوجدان .

والخطأ الأصلي عند بافلوف وواتسون أنهما يخلطان بين العادات الجسدية والنفسية وبين التفكير الوجداني . فأننا نشرب الشاي كل يوم يرجوع العكسية كقوة عادية ليس فيها تفكير . ولكني أكتب هذا الكتاب بوجدان أحاول فيه أن أخلص من عواطف وأن أفكر التفكير الموضوعي المنطقي . وهناك بلا شك عادات ذهنية كثيرة ، غير العادات النفسية . تعود إلى انعكاسات أو عواطف . وكذلك ليس شك في أن كثيراً بل كثيراً جداً من تفكيرنا يعود إلى عواطفنا ورجوعنا الانعكسية . وهذا هو التفكير الذاتي أو الانفعالي .

وقد سبق أن قلنا إن معظم أخطائنا في التفكير يعود إلى أننا ننظر ونفكر بالنظر والتفكير العاطفيين . ومن شأن التفكير العاطفي أنه يتعيز جزءاً من كل . فإذا تغلبت على عاطفة الجوع فكرت في الطعام فقط . فأننا هنا ذاتي انفعالي في تفكيرى . وبما أن هذا التفكير صغير . ولكن التفكير الوجداني يحملنى على خمسة أو ستة اعتبارات مثل قيمة الاقلال من الطعام حتى لا يثقل على فأنفسى . وبمثل تجنب اللحم لأن أحماضه كثيرة . وبمثل تجنب الملح لأنه يزيد الضغط . وبمثل ضرورة التباطؤ في الأكل للموائسة . وبمثل تأمل الآلية الجسدية لهذه القنية . . . الخ

فكل هذه اعتبارات اتسع بها مجال التفكير . وصحيح أنها مؤلفة من عواطف مختلفة . ولكن تجمع هذه العواطف لم يؤد إلى جمع وإضافة فقط بل أدى إلى تفكير كيمي هو الوجدان فصار تفكيرى موضوعياً منطقيّاً واسعاً بدلاً من أن يكون عاطفياً انفعالياً ضيقاً . كما أن تجمع الأكسجين والهيدروجين لم يؤد إلى جمع وإضافة فقط بل أدى إلى تغير كيمي بإيجاد الماء .

حين يسودني العاطفة يكون تفكيري تسليماً . كالمحب يسلم بحال حبيبته تسليماً أعمى .
والجائع يأكل أي شيء . ولكنني حين يسودني الوجدان أشتد وأحطل . والاختراع
والإتقان كلاهما من الوجدان .

السكر العاطفي يسير عفواً بل أحياناً سرّاً لا تتدركه كما يحدث في أحلام اليقظة
أي الخواطر السالفة . أما التفكير الوجداني فيسير بإرادتنا فوجهه كما نريد . وعندما تمرق
النفس بغيب الوجدان وتزده إلى التفكير العاطفي القهري الذي لا نستطيع التغلب منه .
ونحن نرتد شوقاً من الشهوات والعواطف نعلم في المجتمع كيف تسيطر عليها ونظمها
ولميتها جسوداً في خدمة الوجدان . وعلى قدر نجاحنا في هذا التسلط أو التنازل تكون ملامتنا
النفسية وتصرفنا الحسن .

الانعكاسات المعدولة

الرجع الانعكاسي هو أهدم الرجوع العصبي في الإنسان . وهو مثل العطاس وانطراف العين وسحب اليد من النار ونحو ذلك . وهو ، ليدائيته ، قد ظهر في الحيوان قبل أن يظهر المخ . ولذلك نحن في أحيان كثيرة نحس الرجوع الانعكاسية بأعضائنا التي لا تصل إلى المخ وإنما تصل إلى النخاع الشوكي في صاحب الصور فقط . ونحن سواء في هذا الرجوع مع الأسماك والسمك والتمل والجنبري والكلب والتمل وغيرها من أدنى الحيوانات إلى أعلاها التي تتنازع بين أو ليس لها مخ . ونحتاج هنا إلى التمييز بين التوسع مع المخاطرة بالمكرار .

فقد يكون هذا الرجوع الانعكاسي مباشراً كما يحدث عندما أكون جائعاً وأرى اللحم المشوي أو السمك فيجري لعابي . وقد يكون معدولاً أي عدل به عن أصله إلى شيء آخر له علاقة به كما يحدث عندما أكون جائعاً وأسير في الشارع فأرى كلمة « مطعم » أو عندما أسمع حديثاً عن الطعام أو عندما أرى مائدة عليها أطباق فارغة ليس عليها طعام . ففي هذه الحالات يجري لعابي أيضاً لأنني أفهم هذه الأشياء بالطعام . وقد استطاع بافلوف أن يجعل لعاب الكلاب يسيل عندما يذق جرماً لأنه عودها أن ترى الطعام عقب ذق الجرس أو بكلمة أخرى تحرس في الكلاب عادة جديدة لم تكن تعرفها في فطرتها هي استهزاء الطعام والابتداء في عملية الهضم بالقسم عند سماع الجرس دون رؤية الطعام . ووضح أن مثل هذه العادة لا تعرفها الكلاب التي لم تتعودها .

وإلى هنا نجد كلاماً حسناً ومفهوماً . ولكن بافلوف يزيد على هذا بأن كل تصرفنا في الحياة وتفكيرنا وفلسفتنا ومثلثاتنا وما عندنا من دستور للدولة وما نعرف من الكيمياء أو الفلك إنما هو كالمخ . وأكثر منه ، رجوع انعكاسية معدولة لا تفتن إلى أصولها لأنها تسدت إلينا رويداً نقطة بعد أخرى حتى صرنا نسلك سلوكاً المذنب أو الثقافي وتنبعث إلى هذا العمل أو التفكير ونحن لا ندري أننا نندفع برجوع انعكاسية معدولة .

ومثل هذه الدعوى كبيرة جداً وإن كانت لها قيمتها التي لا تنكر في تصرفاتنا السليمة والمرضية . فنحن مثلاً لا نستطيع أن نعزو نظرية النسبية التي قال بها اينشتاين إلى الرجوع

الانعكاسي المعدول . بل كذلك لا نستطيع أن نعزو اعتداء الصبي وهو في الثامنة من عمره إلى العمليات الحسية كالضرب والنقمة والمباذى الهندسية الأولى إلى الرجوع الانعكاسي المعدول .

ولكن في حياتنا المدنية الحاضرة نعيش ونسكن بكثير من المركبات التي هي في واقعها رجوع انعكاسي معدول . فأغلبنا مثلاً إنما هي عادات عملية ، وغالبنا إنما هي أيضاً عادات اجتماعية . ولما هي ترجع إلى رجوع انعكاسي معدول أي مركبات . وهذه المركبات ينشأ من تباينها في النفس أنها تغير الوضع الأصلي للرجوع الانعكاسي كما نرى في الرذائل التي تؤدي صاحبها ومع ذلك لا يستطيع التخلص منها . كما هي الحال في التعلق بالخمر أو بالمخدرات أو بالشهوة الجنسية الشاذة . فتعني هنا إزاء رجوع انعكاسي قد عدل به عن أصله إلى شيء آخر نصير مركباً نفسياً أي عادة متصلة تضر صاحبها وهو عاجز عن التخلص منها .

أنظر إلى امرأة تشكو مرضاً نفسياً هو أنها لا تظيق بالثة السمن . ولما كانت جميع أطعمتنا تقريباً تظيق بالسمن فإنها أصبحت تنكره الطعام وتستمر منه وكأنها تنوي أن تكون جوعاً . والأصل لهذه الحال أن زوجها ضريباً وأسرف في الضرب حين كان رأسها منكباً على إلقاء السمن . حدث لها وقت الضرب هذا الرجوع الانعكاسي المعدول فصارت تنظر من رائحة السمن الذي ترون بالضرب والآلة . فهنا مركب نفسي مريض . كذلك المركب الذي أحدثته بافلوف في كلبه بأجراء لعابه عندما يسمع الجرس .

وكثير من التجربة إنما يقوم بإعداد مركبات أي رجوع انعكاسي معدول . فتعني نعوذ الصبي أن يضبط عواطفه أمام الغواية . وأن يستحي من بعض أعضاء جسمه . وأن يوزع الشكولاتة بينه وبين إخوته بالسواء . ونحن بهذا نفرض فيه مركبات مدنية اجتماعية تخالف الرجوع الانعكاسي الأصلي . ومن مثل المرأة التي كانت تستمر من رائحة السمن تستطيع أن تكف السكير عن عادة السكر بأن تخرج الخمر مخفية ليس له طعم أو رائحة . ولكن بعد أن يشرب تملاً أو كثيراً يجد أنه يقي . وعندئذ ينظر من الخمر . . . كما نغرت تلك السيدة من السمن .

إن نظرية بافلوف مفيدة جداً بشرط أن نتف بيا عند حدودها . والفارسي لهذا الكتاب قد عرف لنا قراً إلى هنا أننا نؤمن بأن سلوكنا في الحياة إنما هو في الأكثر سلوك العاطفة . والفرق بين الرجوع الانعكاسي والرجوع العاطفي ليس كبيراً ، لأن العاطفة في منهاها مجموعة من الرجوع الانعكاسي الموروثة تسير في ببطء وتربك فتتاج الفرصة بهذا البطء والتربك للتفكير . ولكن التفكير الناتج يحتاج إلى أكثر من هذا ، يحتاج إلى الوجدان .

الذاكرة والتخيل

في الفصل الأسبق حاولنا أن ننقل من تفكير العاطفة الحيواني إلى تفكير الوجدان البشري . وقلنا إن الوجدان يسهل أن يكون مجموعة من المواقف نعملنا على مواقف التردد والاختيار ، فننقل بهذا الموقف من الانفعال إلى الوجدان .

ولكن هنا نغره نستحق الملل هي الذاكرة . وقد سبق أن أومأنا إلى منشا الذاكرة حين أسرنا إلى رسم الصباح يبقى في العقل بعد انقضاء العين نحو ديبته أو أكثر . فنحن :

١ - نذكر الصباح دقيقة أو أكثر بعد انقضاء العينين .

٢ - ونخيل الصباح دقيقة أو أكثر بعد انقضاء العينين .

فمن هنا نعرف أن الذاكرة هي الأصل للتخيل . وما دمتنا نذكر ونخيل دائماً فنحن نذكر أي أننا ونحن في خطوة نستعيد الصور أي نذكرها ونخيلها . ولكننا لا نذكرها كما لو كانت صوراً فتوضايفية طبق الأصل . لأننا نسلط عليها غواظنا فنختار منها ما نحب لنستعادده لأنه يسرنا مثلاً ونستبعد ما نكره منها لأنه لا يسرنا . ولذلك نحن نعرف من التذكر والتخيل إلى غاية . فنختار هذه الصورة ونفيدها الأخرى . وهذا نوع من الاختراع لأننا نؤلف صوراً مختارة نجد فيها خيالات نرغب في استدامتها ونحن نحرك هذه الصور ونخيلها أو نغير فيها طبقاً لغاية .

ونكاد نقول إن التذكر هو الأصل في الحياة . لأننا ننمو ، سواء أكننا من الحيوان أم من النبات ، بالذاكرة . ولا عبرة بأننا ندرى بهذه الذاكرة أو لا ندرى . أي لا عبرة بأننا على وجدان بهذه الذاكرة أو هي كاسنة فينا لا ندرىها . إنما الواقع أننا لا نستطيع أن نفر من الغرض الذي يحم علينا بأننا ننمو من الجنين إلى الطفل إلى الصبي إلى الشاب إلى الشيخ بذاكرة عضوية مورثة . وكذلك نحن نوضح في الطفولة بذاكرة أي أن ما نسميه بحريزة إنما هو ذاكرة . بل إن قصة التطور إنما هي في النهاية قصة الذاكرة النوعية أي ذاكرة النوع البشري أو غيره من أنواع الحيوان والنبات .

فالوراثة والفريضة البيولوجيتان في الحيوان والنبات كما تراهما في النمو والسلوك إنما هما ذاكرة كامنة غير وجدانية .

والذاكرة البسرية التي نتعلم بها إنما هي أيضاً من هذا الطراز أي لا تختلف من الوراثة والفريضة . والذاكرة عندنا ، كما قلنا ، تؤدي إلى التخيل والتوهم أي أنها تؤدي في النهاية إلى التفكير بالعاشقة أو بالوجدان . ونحن نعرف من اختيارنا أننا حين ننتقل مثلا بعد الغداء ونستريح ونشرح في الخواطر أي أحلام اليقظة إنما تبدأ هذه الخواطر أو الأحلام باستدراك حادثة سابقة تسلسل لنا منها خيالات وصور تأخذ في تحسينها أي تحسين هذه الخيالات والصور . وهذا يدلنا على أننا نستذكر حادثة سابقة دون غيرها لأن لنا هذا منها غير هذا التحسين كأننا نقول : ما هو السلوك الأمثل الذي كان ينبغي في هذه الحادثة ؟ وإذا ترجمنا هذا إلى الغاية الهدفية نقول : ما هو السلوك الأمثل لي إذا عاد مثل هذا الحادث ؟

وقد سبق أن قلنا إن الوجدان هو مجموعة من العواطف التضاربة التي تعمل على وفاة الفرد والاختيار مثلا الساق متفعلا في عاطفة واحدة . والآن نقول إن أداة الوجدان في الاختيار هي الذاكرة التي تعمل على التخيل والتوهم لتحقيق هذا الاختيار بالممارسات بين ما هي اختياري وبين الظروف القائمة . ولي هدف في كل ذلك هو التزام ما يسرى وتجنب ما يؤذي . ولكننا هنا نخرج إلى التقييم بأن الذاكرة ليست كالعادة . لأننا وأنا أناس العادة لا أختار ونسكن في الذاكرة أختار . والعادة آلية جامدة لا تعيل التفتيح والتغير . ولكن الذاكرة حيوية هائلة أي ترمي إلى غاية .

العادة مثل ركوب البسكيت أو شرب الشاي مجموعة من الرجوع الانعكاسية أو العاطفية التي تتكرر بلا تنقيح أو اختيار .

ولكن الذاكرة تعيل وتوهم وخواطر تؤدي جميعها إلى تفكير يختار هذا وينفذ ذلك من الخيالات والخواطر . وقد يكون هذا التفكير عاطفياً . ولكنه قد يكون أيضاً وجدانياً موضوعياً . ويختار الإنسان على الحيوان امتيازاً عظيماً لأن ذاكرته أطول وتخييله أوسع بالغة التي تزود الفرد بذكريات لغوية تتسع بها أفاق وجدانه الزمني والجغرافي .

وعندما تتأمل الخيالات والصور التي نؤلّفها من ذكرياتنا الانطباعية نجد أنها تأليف جديد لا يتقيد بالرجوع الانعكاسية (التي يقول بها والمسون وباللوف) . ذلك لأننا نؤلف ونخترع ونزيد ونقص ونفتح ونغلق . ويجري كل هذا على أسلوب كلي غير تفصيلي . أي أننا في التخيل تأخذ بالسكريات لا الجزيئات .

وعنا نذكر كوهلر صاحب المذهب الكلية الطرازية أو « جيشنات » الحكمة الألمانية التي يلعبها هذا المعنى . فقد وجد أن السيكولوجية التي تقول بأن التوهم ينشأ من مجموعة الانعكاسات ليس صحيحاً . فالطفل الذي يرى الكلب لا يسمع اختياراته له ويكون فهمه له جزءاً بعد جزء فعرف الذئب ثم الوجه ثم الأقدام ثم يتحسن الشعور ويجمع هذا كله إلى الصوت والرائحة... الخ . وإنما هو يدرك صورة كلية مجموعة من الكلب لأول ما يراه . وعند « الكلية » هي شرط أساسي في الفهم . ونحن عندما نسمع خطأ لا تأخذ في تحليله إلى أنفسه المؤلف منها كي ندركه كلاً كاملاً . والصورة التي نراها لا نحاول عندما نرى تفهمها إلى تجميعها أجزاء تفهم منها الجزء بعد الجزء . وإنما نفهمها كلها .

وهذه هي طبيعة الفهم عندما حتى أنه إذا رسم أحد منا شيئاً ناقصاً أكلناه — ونحن ننظر إليه — في ذهننا . طبيعة أذهاننا أن نفهم الأشياء بأكملها وليس بأجزائها .

وعنا نجد ثوباً واحداً بين « جيشنات » وبين التحليل الذهني قال « جيشنات » تقول إن تحليل الفكرة إلى أجزائها خطأ لأنها عندما تفكر نعود إلى ذوات بالذات وليس بالأجزاء . ثم بين « جيشنات » وبين السلوكية فرق آخر . وهو أن الثانية تقول إن كل ما تعلمه هو استجابات ميكانيكية غطى ونصيب فيها حتى تقع على الصواب فنلزمه ونجيب المنطق . ثم نكرر الصواب فيصير عادة . ولكن « جيشنات » تقول بأننا نفهم المسائل بطبيعة أذهاننا لأننا نستحضر منها كلاً منظم فنحل المسألة الواقعة أمامنا بالعودة إلى ما يتوهمه ذهننا من « تنظيم كلي » .

وقد أجرى كوهلر وغيره تجارب مع القردة العليا كتبت هذا « التنظيم الكلي » فقد وضع موزاً خارج القفص . وكان بالقفص قرد وعندة عصوان قصيرتان . ولكن يمكن إذا تداخت أن تطلوا وتعودا عصا واحدة . فعندما حاول القرد أن يصل إلى الموز بالتمصص ووجد نصرها جمع العصوين وقعد بعداً عن الموزة . ثم لعب بالعصوين حتى أدخل طرف الواحدة في طرف الأخرى فطالت واستطاع بذلك أن يجذب الموز من خارج القفص .

هنا نجد أن القرد لم يفكر تفكيراً ميكانيكياً من عادات واستجابات سابقة قد تعلمها بطريقة الخطأ والصواب . وإنما هو يحل المسألة أمامه كاملة تامة ثم شرح يفتح الطريقة التي يحقق بها خياله . وهذا هو ما تعلمه نحن أيضاً كما فكرنا في حل مسألة . تتوهمها معلولة ثم نعود فنتمسك إلى الحل بذرائع مختلفة . وهذه بالطبع خلاصة قصيرة جداً لجيشنات ولكنها تعطي التاري فكرة عامة عن هذه السيكولوجية التي يجب أن نوضع جنباً إلى جنب مع التحليل النفسي ومع السلوكية في فهم التفكير أي التفكير الذهني .

التفكير الناجع

ي نصل إلى التفكير الناجع في تصرفنا يجب أن نتجنب :

١ - التفكير العاطفة . وقد سبق أن قلنا إن تسعين في المئة ، بل أكثر ، من أخطاء التفكير تعود إلى سيطره العاطفة . ونحن ، لأننا نرغب في إشباع هذه العاطفة ، نسوّغ هذا التفكير بضروب من المكر والاحتيال حتى نقنع بأننا وجدانيون ولنا عاطفيين . كما يحدث كثيراً عندما نؤجل عملاً يتطلب السرعة في الإنجاز ولكن نسوّغ هذا التأجيل بالوان غامضة من المنطق . أو كما يحدث لمشترّيب عندما يعزم على الكف عن الخمر ثم يؤجل هذا العزم بقوله « هذا اليوم فقط » ويتعديده في الغد .

٢ - كذلك يجب أن نظن أن ميسول وأهواء وانجذبات قد أحدثتها الكسبة (العقل الكامن) . وعلى جميعها مقنعة بالوجدان تبدو كأنها منطقية ليس فيها ما يشوبها . كما يحدث عندما نكره أو نحب لأسباب يشق علينا توضيحها ولكننا نعود إلى ما انغرس في نفوسنا أيام الطفولة . كالخوف من العقابيت جمدنا على الاعتقاد بأن الأرواح خطيرة واقعة حتى نستطيع أن نحاطبها . أو ، لأننا ، نحب أمهاتنا أيام الرضاعة وبعدها ، نلصق ونحن لا نستجمل سوى تلك الفتاة التي تشبه أمنا في الوجه أو القوام أو الصوت . ويؤدي هذا إلى أن نتجاهل جميع عيوبها . وكثير من التعصب الطائفي يعود إلى تكراره غرسه من أيام طفولتنا أو حدثت فيها حوادث كظم فيها غيظنا أو خوفنا ثم استطاع تعصباً أفسد وحداننا وتفكيرنا الموضوعي .

٣ - كذلك يجب ، حين أعالج موضوعاً أو أعامل شخصاً ، أن أنظر على أنا معتمد على العقيدة (عاطفة) أم على المعرفة . وكثير من الناس يفسد تفكيرهم لأنهم يعتمدون على عقائد ليس لها أصل من الحقائق ويسوء تصرفهم لهذا السبب . وكثير من الأمهات في مصر يقتضون على أطفالهم بالمرض أو الموت لأنهم يخشون الدواء عن غفيدة وليس عن معرفة .

٤ - كذلك يجب ألا ندسى أن اتجاه الانطوائى يختلف من اتجاه الانبساطى . فإذا كان

أعدنا انطوائياً وتزوج قلة انبساطية لأن الأغلب أنه سختلف معها كثيراً لأنها اجتماعية وهو انفرادي . ومن على هذا اختلافه حتى مع أصدقائه وأولاده . وإذا تجاهلنا هذه المول بين الشرايين فانه تنور في معانيات بسوء بها تصرفنا وقد تؤدي إلى شقائنا .

٥ - وكثير من كلمات اللغة تحدث لنا التباين في التفكير واتجاهاً سلباً أيضاً . فان هناك كلمات ذاتية أي عاطفية نعملنا على التفكير العاطفي . وهناك كلمات كاذبة نقولها « من اليأس » للمرأة التي تبلغ من الحكمة وإنتاج الشخصية حوالي ٤٨ أو ٥٠ . فان هذا التعبير السني ' مثلاً نفسها تشاؤماً وبهيمتها لأعراض أو تصرفات خطيرة . أو النظر إلى عبارة « الحكر العري » فانها وصف حسن للحكم السني ' . إذ هو ليس عرقياً لأن المعجم يقول : « العرف هو ما استقر في النفوس من جهة شهادات العقول وبقته الطابع السليم بالقبول » فإين هذا التعريف من حرماننا من حقوقنا المدنية مثلاً مدة ١٠ سنة فيما بين ١٩١٥ و ١٩٤٥ ؟

وكلمات اللغة السني' إلى تفكيرنا الوجداني كثيراً كما يرى القاري' في كتابي « البلاغة العصرية واللغة العربية » . بل كثيراً من الأمراض النفسية وكثير من الجرائم يعزى إلى اللغة السيئة التي تحفل بكثير من الكلمات العاطفية .

٦ - وهناك بالطبع التفكير النيوروزي وهو تسلط العاطفة تسلطاً قهرياً على النفس وفي بعض الأحيان تقع فيه أبلغي وجداننا بعض الوقت أو كله .

والآن وقد عرفنا ماذا يجب أن نتجنب أي ما هي الوسائل السلبية للتفكير الحسن ، يجب أن ننظر فيما يجب أن نأخذ به . أي ما هي الوسائل الإيجابية للتفكير الحسن .

١ - وأول ذلك أن نعلم على الروية . أي أن نعطي الوجدان الفرصة كي يتغلب على العاطفة . وكل من عانى التفكير يعرف أنه يحتاج إلى الحضانة كي ينضج ويخلص . كأن الذهن حين يمتد به الوقت يأخذ في التذكر والتخيل والراجعة والمقارنة حتى ينتهي إلى الصورة المثلى . وعندئذ أن الحضانة هي الاستسلام للكسل والاسترخاء واللعب مدة قد تكون أسبوعاً أو شهراً .

٢ - العاطفة المحزنة تبطل التفكير كما تبطل حركة الجسم . كما نرى حول الجنائز حين يصمت الحاضرون ويحدون . ولكنهم في العرس يتحدثون ويأطون . والحزن يمتد الذهن . والعواطف السارة تحركه . ومن هنا كان كثير من المؤلفين يعمدون إلى الشراب القليل كي يغمرهم سرور خفيف يحرك أذهانهم . ولكن لهذه الوسائل الصناعية أضراراً

أكيدة في التباد . وقصارى بالحاج إليه أن تتجنب ما يثير حزناً أو اغتامة وقت التفكير .

٣ - نستطيع أن نقسم الناس من حيث التفكير والتصرف إلى عاطفيين ووجدانيين . ولكن هذا التقسيم غير معين بحدوده . إذ ليس هناك إنسان عاطفي مائة في المئة إلا إذا كان في المائتان . وليس هناك إنسان وجداني مائة في المئة . وكذلك نستطيع أن نقسم الناس من حيث مرجعهم في التفكير ثلاثة أقسام :

١ - أولئك الذين يرجعون فيه إلى العقيدة كما كان الشأن في الأمم القديمة وكما هو الشأن في العامة من الشعب في عصرنا ، والنوحشون والسأخرون في الحضارة على وجه إجابي .

ب - أولئك الذين يعتمدون فيه على المعرفة وهم خاصة الأمم ، والعلميون ، مهما يكن العلم الذي يتأصلون .

ج - أولئك الذين يعتمدون فيه على الحكمة ، وهي فوق المعرفة . فقد يعرف أحدنا أشياء كثيرة ولكنه ينجبها ويبعد عنها في تصرفه ولا يعتمد عليها ويترفع بالحكمة التي يظلمها الطرف القائم .

والمثل أنواع التفكير - ونعني هنا التفكير للتصرف - هو تفكير الحكمة .

د - هناك عادات تفكيرية تعودها ، كالصمت في الشكوة . وهو يؤدي إلى إخماد العاطفة وإيجاد الحال لوجدان قلوبية ، وكالمصاحبة والمحاولة بدلا من التحدي والخصومة ، والتألف والبناء بدلا من القتل والحدم . وهذا هو تفكير التصرف الحسن في الحياة . وهذا نذكر شاذي الذي نعصم عن الكلام يوماً في الأسبوع .

هـ - مع كل ما قلنا عن ضرر التفكير العاطفي الذاتي يجب ألا ننسى أن خصوم العواطف ، كما يحدث في الشيخوخة ، يؤدي إلى خمول الذهن .

والبطالة الفكرية في الشباب تعود إلى بطالة العواطف . وفعل هذه الحال سبباً فسيولوجياً بتعذر بالعدد الصلاه . ونحن نرى أن الخواطر تنوارد بسرعة وقت التهج أو التعجب أو الغضب بشرط ألا تغمر الشخصية بشوياً فتعزل دون التفكير . كما قد يؤدي لتجانس القهوة أو الشاي إلى تثبيت العواطف .

٦ - يحتاج التفكير الحسن إلى استخدام الكمية (العقل الكامن) بالاسترخاء والحضالة حتى تستثار العواطف الكمية فتنتفع بما فيها من اختبارات ، وأيضاً مما فيها من توترات وظواهر نفس التفكير وتكسبها البصيرة والتوصل إلى نتائج قد لا تتفق مع المنطق

القائم، ولكنها صحيحة في ضوء اختياراتنا، ولذلك كثيراً ما يؤدي المرض والتزام السرير شهراً إلى تفكير جديد يقارب الاختراع وتغيير الشخصية .

٧ - نجد أحياناً جموداً في التفكير ووقفة لا تتحرك منها . وفي أكثر الأحيان يرجع ذلك إلى عترة ذهنية خفيفة غابت عنا ولكنها انفست وكنت . والشبح الخفيف يعيد إلى الذهن حركته . كأن نمشي بسرعة . فإن حركة الشيء تحدث حركة في الذهن لتتوارد الأفكار وتشتك الجمود .

٨ - الإرادة تحدث الخيال وتنظمه . كما أن الرغبة في الطعام تحدث خيالات الأطعمة سواء في البقطة أم في النوم . وإذا تركنا الذهن حراً صارت الخيالات عابثة لا قيمة لها . ولذلك يجب أن نسيرها ونوجهها بالإرادة .

٩ - الطبائفة النامد والعواطف السبعة التي لا تجوع أبداً ، كتناغم تحدث ركوداً في التفكير . كأن النفس تقول : « ماذا التفكير ؟ كل شيء على خير ما أطمح وليس هناك ما يدعو إلى الجهد . » ولذلك نجد أن الصعوبات والوقوات تثير التفكير . والاختراع الذي يكثر مدة الحروب يرجع إلى القلق الذي تحدثه . وقد عزى الجمود الأدنى في عصر الملكة فيكتوريا في إنجلترا إلى انجذاب الناس المستمر . لأن الطبائفة المالية انتبهاه ذات دون التفكير . وهذا حق . ونحن في حاجة دائمة إلى قليل من القلق لتذبذب يد ونصحو وتنبيه .

الاتجاه الذاتي والاتجاه الموضوعي

كثيراً ما نرى أن الاتجاه السلوكي يعين لنا نوع الكفاءة الذهنية أو يكاد . ونحن نختلف في اتجاهاتنا باختلاف الخبرة التي نحاس فتختلف بذلك أنواع الكفاءة الذهنية . ولا عبرة بأن يقال إن ذلكنا . متى طول قاستنا أو لول بمرسنا . موزوت حدود . فإن الحياة النفسية والفكرية تتفاح لختلف مما هي عند الحيوان أو الهندس كما تختلف عند هذين مما هي عند الكهن المسيحي أو الفقيه المسلم . وأحياناً نجد عند أحد الناس اتجاهات استشارية بالدنيا . أو اتجاهات تشاؤمية . أو اتجاهات البساطا مزاحياً . أو اتجاهات تسلطياً عدوانية . وهذه الاتجاهات تعين الحياة النفسية والفكرية لكل منهم حتى التفكير يجد حدوداً أو امداءً تحده أو تده . ولكن هناك اتجاهين نفسيين لكل منهما قيمة كبيرة ، بل كبيرة جداً ، في الحياة النفسية لكل منا . وهما الاتجاه الذاتي حين يكون بؤرة نشاطي ذاتياً ، أنا . والاتجاه الموضوعي حين يكون بؤرة نشاطي العمل الذي أعمله . وبالطبع ليس هناك إنسان ذاتي مدة في المدة إلا إذا كان في المارستان مجنوناً كاملاً لا غش فيه . وليس هناك إنسان موضوعياً مدة في المدة إلا إذا كان أرستوقراطياً أو أفلاطون . ولكن هناك من تغلب عليه الذاتية . وهناك من تغلب عليه الموضوعية . الذاتي ، إذا كان مهندساً قد قام ببناء منزل حسن ، يقول أنا قبحت . وإذا لم يكن البناء حسناً فإنه يقول : أنا قشلت . الموضوعي . إذا كان مهندساً قام ببناء منزل حسن . يقول : هذا المنزل حسن . وإذا لم يكن البناء حسناً فإنه يقول : هذا البناء غير حسن . الذاتي يعبر عن كبراً لأنه يجعل الحسن والسوء في البناء حسناً وسوءاً في ذاته . في نفسه . والموضوعي لا يعبر عن لأن الحسن والسوء خارجان عنه أي في الشيء الذي صنعه . الذاتي ينظر نظره نفسه . والموضوعي ينظر نظره موضوعية . عندما يسوء البناء يعبرن الذاتي ويغناظ . ويتذبذب من انقيط كالألوسويل يدور موحده وهو واقف مكانه . ولكن الموضوعي يفكر في إصلاح الخطأ

بلا حزن أو غبط لأنه لا يعالج عواطفه كالداني بل يعالج الخجر والخشب .
 لنفرض أن اثنين قصدا إلى محطة العاصمة ليلن إلى الاسكندرية . فلم يلقاها وجدا أن
 القطار قد قام . قالداني بفضب لأنه تعود أن يجعل ذاته مصدراً أو مورداً لكل ما يقع
 حوله . وعضبه هنا عظيم . فقد يسب أو يضرب الأرض بقدمه . ولكن القطار ان يعود .
 أما الموضوعي فيتأمل الساعة ثم يبحث عن سيعاد القطار الثاني ثم يبي نفسه لفضاء ثلاث
 ساعات بل قيام القطار . وهو يقضيها في تعقل .

والفيلسوف . وهو أملي طراز فالشخصية الموضوعية . يبحث الشؤون البشرية ويحيو
 يحرص على ألا يكون لمواطنه . ذاتية . أي أن في بحثه . والمجنون يصيح كل حركة حوله
 بصيغة ذاتية . قالناس الذين يتحدثون على مسافة منه إنما يتكلمون عنه . وأنت حين
 تسأله سؤالاً ساذجاً إنما تحاول الوصول إلى سر معين يخفيه . وهو غذا متعجب معنى بمواطنه .
 وهذه الذاتية . وكلها بلا استثناء تقريباً ذاتيون إلى حد كبير . تنشأ لنا منذ
 الطفولة . إذ كانت الأم حين تؤدي عملاً حسناً تقول : أنت أحسنت . أو أنت آسأت . أو
 أنت ذكي . أو أنت بليد . وكان يجب أن تقول بدلاً من هذه الكلمات : هذا العمل حسن .
 هذا العمل سي . يمكنك أن تصلحه من هنا ومن هنا .

ذلك أنها في الحال الأولى توجه الطفل وجهة ذاتية في كل شيء يحدث في هذه الدنيا .
 إذ يقاس عنده بما يجلب له من سرور أو يحدث له من حزن . فهو عاطفي بحسب ويكره .
 ولا يحاول فيحسن . أما في الحال الثانية فلما توجهه وجهة موضوعية يؤرؤ الاهتمام عنده
 ليست نفسه بل هذا الشيء الذي يصح .

الموضوعي يتكيف بسهولة ويعمل نفسه ملائماً للوسط . ولكن الذاتي جامد لأنه
 عاطفي . الأول يتعلل ويجهل ويحاول . والثاني عاطفي يجهل ولا يحاول ولكنه يفرح أو
 يعضب .

وبركيب النفس هو في النهاية أننا نعالج شؤون الوسط المحيط بنا . بشراً أو مادياً .
 بالأسلوب الذاتي . كأن حوادث الدنيا إنما هي صدى لذاتيتنا لا أكثر . وكأننا نفكر
 واجباتنا الاجتماعية ليس بالعمل الذي يؤديه بل بقيمة شخصيتنا .

وهذه الذاتية تشبهنا كثيراً لأنها نغنا تلبه عواطفنا بدلاً من الموضوعية التي
 توقظ ذكاًنا فنحن نسلك في الحياة بالعواطف الجامدة العمياء بدلاً من التعقل
 البير البصير .

ويجب علينا في كل مأزق نقابلنا أن نسال : هل أنا هنا ذاتي أليس العاطفة أم موضوعي

أنكر والعقل ؟ كما يجب علينا أن نتذكر أننا قد سمعنا قريبا في الصفوة وأنه نشأنا
تلك ذاتين إلى حد كبير . ونشغل النفس أكثر فأكثر من الطفل التي حوسل به
وعامل . وقد انتهى الأول إلى أن يجعل كل شيء واعتمده في الدنيا أن يجذب إلى نفسه
الأنظار . فإذا وجد إهمالا تعب ، بل قد يعرف هذا الإهمال إلى غاية . وأحيانا ، وهو
يحاول جذب الأنظار إلى نفسه ، يتورع في سلوك غير الجاهل .

الخصائص السيكولوجية للمرأة

تختلف المرأة وراثياً وبيئياً عن الرجل . ومسرح أهما يعيشان في مجتمع واحد . ولكن هذا القول تعميمي أكثر مما هو تفصيلي . وهو أنه نقولنا إن الإخوة في البيت يعيشون في بيئة أي وسط واحد .

ولكن نجد في الحالتين أن الوسط ليس واحداً للرجل والمرأة . وكذلك ليس واحداً للإخوة في البيت . ذلك أن الرجل ينشأ على حرية لا تجد مثلها امرأة إذ هي تطالب بالانضام أكثر منه وتجد من الزواجر ما لا تجد . وهو يتطلع إلى النشاط الاجتماعي على نطاق واسع في التجارة والوظيفة والسياسة وغير ذلك في حين هي تمتنع تقريباً من كل هذا .

وكذلك الشأن في الإخوة في البيت . فانهم فيما يبدو على السطح سواء في الوسط . ولكن اعتبر الدوافع التي تنشأ من اختلاف الوسامة بينهم ولعلق الأيون أو أحمدهما بشخص دون آخر منهم . واعتبر الابن الأكبر الذي لا يجد مزاجها مع سائر الأبناء والبنات الذين راحم بعضهم بعضاً للحصول على « المجال الحيوي » في البيت . واعتبر الابن الأصغر المدلل . والبيت الوحيد بين خمسة أبناء أو الابن الوحيد بين خمس بنات . فكل هذه الظروف تثبت لنا أن بيئة البيت مختلفة للأبناء . وهذا الاختلاف يؤدي إلى خصائص سيكولوجية لكل منهم .

وكذلك الشأن في المرأة التي تعيش في مجتمعها مع الرجال . فاننا نلاحظها بما يفصلها عنا نفسياً . ولذلك نحتاج إلى أن نسهم قليلاً في شرح الخصائص السيكولوجية التي تنسب بها بسبب هذا الفصل . والأثر السيكولوجي لهذه الحال أيضاً في الرجل .

كاننا نعرف أن الرجل أقوى من المرأة . ونحن في هذا لا نشذ عن الحيوان لأن الذكر على الدوام أقوى من الأنثى . كما نرى في الديكة إزاء الاناث من الدجاج ، أو في الأسد إزاء الناقة ، أو في ذكر الجاموس إزاء أنثاه . فانه وحش وهي ودیعة . ثم يجب ألا ننسى أن الأنثى محسنة وتلد . وكلا هذين العاملين يعجزها مدة طويلة فتضعف أمام الذكر بل هي تحتاج إلى معاونته . وكثيراً ما يعاونهما .

والروح العدوانى واضح فى الذكور ، وليس واضحاً فى الاناث . وشئ من هذه الشهامة التى نجدتها بين البشر فى علاقة الرجل بالمرأة نجد مثله أيضاً بين الحيوان . فان الذكر يقاتل الذكر ولكنه لا يقاتل الأنثى . وكثيراً ما ينسحب أنثىها مع أنها قد تكون هى المعنوية .

وضعف المرأة واحتياجها إلى معونة الرجل فى الحمل والولادة . كلاهما قد زاد ضعفاً وجعل السيادة للرجل فى الحضارة القائمة . وحضارتنا إلى الآن هى حضارة الرجال . أى أن أوزانها وقيمها هى أوزان الرجل وقيمه . والأغرب أن هذه الحال ستغير قريباً لأن الوط الصناعى يحرر الاستقلال الاقتصادى للمرأة . وهذا الاستقلال الاقتصادى يؤدى بدوره إلى استقلالها النفسى .

والمرأة ، بعد هذا الذى ذكرناه ، توث تراثاً بيولوجياً يختلف من توات الرجل . فان الحش بأليها كل شعير . وهذا الحدث الشهير يعملها على المساواة والمواريه . لأنها لا تحب أن تشرح به . وهى حين تركته وتخلط بنا تغشى نفسها حالاً لا تعرفها نحن الرجال . فان هذا الحيف يحدث تزعماً عورمونياً حتى أنها تنفزز ونضيق قبل الطلاق الدم . لم كنا نعرف أن كظوم المرأة كثيرة أكثر من كظوم الرجل . لأننا نسمع مثلاً فى الانزلاق الجنسى للنفسى أو الشاب . ولكننا لا نسمع شيئاً للمثناة بمثل هذا الانزلاق لخطورته عندها . وفى تربية الأبناء والبنات من المألوف أن نجد الأم تقول لابنتها : « لا تفعل هذا . هل أنت ولد ؟ »

وهذه الكظوم العاطفية الكثيرة تحدث توترات نفسية كثيرة عندها . ثم لها أثر آخر هو أنها فى الفتاة تصد عن كثير من النشاط النفسى أو الذهنى الذى يمارسه الشاب . وقد يعزى تأخر الفتاة فى العلوم والآداب والتجارة والاختراع إلى كثرة هذه الزواجر التى تلقاها فى حباها وشبابها : « أنت لست مثل الولد . لا تفعل هذا . لا تفعل ذلك » لأن كل هذا يؤدى فى النهاية إلى أنها . هى نفسها . تهم نفسها بدوداً تحم من نشاطها فلا تفكر فى هذا الموضوع ولا تمارس هذا النشاط .

ومن هنا نلهم أن الصدمات العاطفية للمرأة أكثر من صدمات الرجل . وأن كظومها فى الكليئة أكثر . ولذلك أيضاً نجد أنها كثيراً ما تنزعزع وتقع فى السورور أى جنون العاطفة أو فى السيکورز أى جنون العقل . ولكن العجب أنها أسرع من الرجل فى الشفاء والرجوع إلى الحال السوية .

ولكن هذا الشفاء أو هذه القدرة على التحمل هما صفة عامة فى المرأة دون الرجل .

وقد سبق أن قلنا إن الرجل أقوى من المرأة . ولكن إذا اعتبرنا الأسراري والعمير وجدنا المرأة أقوى من الرجل . فاتها تعمر أكثر منه . والأسراري لا تقتلها كما تقتل الرجال . وهذه المثانة الجنسية توافيها أيضاً مثانة نظية إزاء التوترات والمارق .
اعتبر مثلاً الانتحار . فانه يوهان على أن النفس ألفت أمام الظروف القائمة . ومع ذلك نجد من الإحصاء الذي أصدره حكومة الولايات المتحدة في ١٩٣٨ ، أن عدد المتحررين كما يلي :

من الرجال	من النساء	أقل من ١٥ سنة
٤٢	٧	
٢٥٩	١٧٥	بين ١٥ و ١٩ سنة
٩٤٠	٤١٠	بين ٢٠ و ٢٩ سنة
٢٣١٩	٩٤٤	بين ٣٠ و ٣٩ سنة
٢٩٥٤	١٠٢٠	بين ٤٠ و ٤٩ سنة

وواضح أن المجتمع يكلف الرجل أكثر مما يكلف المرأة ويعرضه للازمات النفسية التي تنصل بالنجاح المالي والكرامة الاجتماعية أكثر مما يكلف المرأة التي كثيراً ما تؤدي انفصالها واحتجازها في البيت إلى « انفصال » نفسي من أوزان المجتمع وقيمه . ولذلك هو عرضة للانتحار أكثر منها . ولكن حتى مع هذه الاعتبار لا تتألك من الاحساس بأنها أندر منه على تحمل الصدمة العاطفية والتغلب عليها .

والجريمة مثل الانتحار في التقدير البيولوجي . ولكن في الجريمة أيضاً لون العدوان وهو من خصائص الذكر في الحيوان والإنسان أكثر مما هو من خصائص الأنثى . لحرائم الاغتيال في الولايات المتحدة (١٩٣٩ - ١٩٤٠) بلغت من الرجال ١٥٩٥ ومن النساء ١٤٣ فقط ، والسرقة من الرجال ٥٥٧٣ ومن النساء ٦٩ .

وهناك خصائص بيولوجية تعين الجريمة . فان الاغتصاب مثلاً جريمة لا تستطيع المرأة أن ترتكبها في الرجل . لأن الرجل إذا لم يكن في حال التهيح الجنسي لا يستطيع أن يقدم المرأة . ولكن المرأة على العكس تقدم الرجل وهي مغتصبة . ولذلك فشلت الدفاعة الحرفية بين النساء دون الرجال .

وقد ذكرنا أن السارة والوارية تسودان أخلاق المرأة . وعلمنا ذلك بأن المرأة تطالب بكثوم كثيرة لا يطالب بها الرجل . ثم إن الحبس يحملها أيضاً على التخلي وتجنب الصراحة

وهذه الحال تغشى كل حيائها النفسية وتبعد في إثرها مراكبات من الخفاء إلى السيل إلى
التبصر والتكهن .

وللا اتصال الجنسي أيضاً أثره في أخلاق الرجل والمرأة . فإن العاطفة الجنسية تغشى
حياتنا رجالاً ونساء . والوضع الذي نتخذه وهو الاستعلاء الذي للرجل والخضوع والاستطاعة من
المرأة . كما أن التبادؤ من الرجل والاستجابة من المرأة . وكل هذا يؤدي إلى أن الرجل يسير
في الحياة بروح عدواني . ينادي "الشكليات ولا يتراجع . ويضرب التفوق والسادة .
في حين أنها هي تطلب في الحياة التسوية ولا تبادي بل تتلقى وتستعجب . ثم هذا الوضع
نفسه يسوق إلى حد ما عن النظرة المتعالية التي ينظر بها الرجل إلى المرأة . ويجب ألا
ننسى هنا أيضاً أن الاشتهااء الجنسي في الرجل يختلط بالروح العدوانى . وقد يتفاهم هذا
العدوان نؤدي إلى السادية أى الرغبة في إبلام المرأة .

الحياة الجنسية

في تعيش الحياة السعيدة ، أو على الأقل الحياة السليمة ، يجب أن نعي بأربعة أشياء هي :

الحياة الجنسية أي علاقتنا الطبيعية بالجنس الآخر .

واحياء الخرفزة أي العمل الذي نكسب منه .

واحياء الاجهزة أي علاقتنا بالحيض والأخذ بتقاييسه ونمته .

والحياة الفراغية أي الوسائل التي تقضي بها فراغتنا والهواية أو الهوايات التي تتعلق بها .

وكي نقضي في واحد من هذه الأربعة بشئنا إلى حد ما ، وبعض الشقاء الذي نعابه منها قد يندفع حتى يحدث لنا تملؤ أو جنونا .

وفي مجتمعنا المصري الذي يقضي بجزء المرأة في البيت ويمنع اختلاطها بالجميع إلا قليلا ، كما يمنع تكسبها واستقلالها ، في هذا المجتمع تعدو الحياة الجنسية والزواج بؤرة الاعتماد عندها . أما الرجل فيجد اهتمامات عديدة أخرى بل هو يستطيع أن يشكر في صديقته في أن يعيش أعزب . ولكن من الحال أن تذكر فتاة مصرية مثل هذا التفكير ، ولذلك يعني المرأة كثيراً بالتزويج كما أن البيت تكبر قيمته جداً عندها . وينبع هذا الحمل والولادة . وربما كانت أحفاد الكوارث التي تقع بالفتاة عندما بعد العزوبة الفهرية هي العقم التناسلي . وحفلات الزار تحتاج إليها المرأة دون الرجل . وهي في نهايتها محاولة خرقه لمعالجة الحرمان الجنسي أو الفيرة من الفرة (أو غير الفرة) أو الرغبة في السيطرة دون الحماسة . وجميع هذه الظروف تقرباً خاصة بالمرأة المصرية دون المرأة الغربية التي لا تحتاج إلى الزار . ووضع من سلوك المرأة في تربتها ومواقف الازناء لزيفتها وتجهيزها . اهتمامها الذي يشبه أهم والنمى بالحياة الجنسية . وفي مجتمع آخر مثل المجتمع الروسي نكسب فيه المرأة غيبها لا وينبع هذا الاعتماد إلى التقاعم العظم الذي يوضع إليه عندما . ذلك لأنها تقضي يومها وهي عاملة تشغلها شئون عدة كما أنها تجد الكرامة في هذا العمل فلا تجوء إلى سنام اجتمعي بالزواج . ولذا يعرف انحراف المرأة بل انحراف العنسة التي ينتجها الحرمان من الحياة

الجنسية في الشذوذات الكريمة التي تقع فيما بين الرجل والمرأة معاً . وهي تبدأ من العادة السرية إلى حب أحد الجلسين لجنسه دون الجنس الآخر .

ولكن أمة تمارسها الخاصة بالشئون الجنسية قبل الزواج وبعد . فنحن في مصر نفقن الأطفال . وإذا تم هذا الختان قبل إتمام السنة الأولى من العمر فإنه لا يضر النفس . ولكنه بعد هذه السن يجرح الطفل يجرح نفسه إذ هو يتخذ عنده صورة التزيق لأعضائه . وقد يحدث له في المستقبل مركب نقص أو اختلال في الوظيفة الجنسية أو خوف من التعارف . وخاصة إذا عرفنا أنه ترافق الختان أحياناً كلمات وعبارات تؤلم الطفل وتقيمه . وبعض النساء يلجحن في ضرورة الختان للصبيان . حتى ولو يكن مسلمات . بروج الانظام أي انتقام العيب من الصبيان المذكور قبل الرابعة أو الخامسة من العمر . وهذا الروح يبنى حتى بعد أن يصرن أمهات وحتى لو كان هذا الصبي ابنهن .

وليس هذا مكان البحث في الضرر الذي يصيب الصبيبة من الختان حين لصير زوجة . ولكن يجب ألا ننسى أن كل تأخير في إتمام التعارف الجنسي بسبب الختان يؤدي إلى ضرر نفسي بالزوجين . وقد منع إخواننا السودانيون عملية جراحية معينة لبنات كانت تؤدي إلى مثل هذه الحال . ولذلك يجب على الذين يمارسون الختان أن يكونوا من الأطباء وأن يصبروا بتسليم الفتاة حين لصير زوجة .

ويجب ألا ننهم الصبي . إذا كان الختان قد تأخر إلى السنة الثالثة أو الثالثة من العمر . أننا ننوي قطع عضو التناسل ويجب ألا نقال له كلمة يشم منها هذا المعنى لكلا بغرس في راسه (عقلة الكفن) هذا اليوم ليصاب بالعمى وقت الزواج . ويجب ألا نغير اصطلاحه أو نحدث له ألماً في هذه العملية حتى لا يلتفت كثيراً إليها فذكرها ويكون بمثابة من أجريت له عملية في الكبد أو الكلية بلناً يذكرها ويتعسس مكانها ويفكر في حالها . وهناك عادات تمارسها وقت العزوبة فإذا تزوجنا عجزنا عن التخلص منها . مثال ذلك ما أثار إليه ليون بلوم الرئيس السابق للوزارة الفرنسية في كتاب له حيث يقول إننا وقت العزوبة تشتري المدة الجنسية بتقودنا من التومسات فلا نبال أن نشق نحن وشريكنا في سعاد الاتمام . ثم ثبت هذه العادة . فإذا تزوجنا لازمتنا وأحدثت لنا فناً جنسياً .

الحياة الجنسية تحتاج إلى الاستعداد لها منذ الطفولة . ويجب أن نهأ بها . فلا يومنا أهولنا ولا تقع نحن في أسلوب نفسي سيئ يكون أسلوبنا الجنسي بعضه . وهذه الشذوذات مثل السادية أي القسوة مع الجنس الآخر وقت التعارف . أو المازوخية أي حب التألم مع الجنس الآخر وقت التعارف . كلاهما أسلوب جنسي هو بعض الأسلوب النفسي الذي تتبعه

في العائلة والمجتمع . والعادة أننا نتخذ وجهة الخرافة من الأب فيكون لنا مزاج ذهني مثل مزاجه الذهني . ولكن القيم والعادات الاجتماعية كثيراً ما تتخذها من الأم . وكل هذا يتم تقريباً في السنوات الخمس أو الست الأولى من العمر . ومن هنا الصعوبة في تغيير عاداتنا ووجهاتنا ومزاجنا وقيمنا ومبادئنا ومقائدها . ولكل منا حظه في هذا إن شاء وإن سعادة . والحياة الجنسية الصالحة يجب أن يكون هدفها الزواج السعيد . وهذا الزواج يحتاج إلى أن نشأ على المساواة بين الجنسين وإلى أن يحس الزوجان أنهما متكافئان . وكل هذا يستدعي إشعار الأطفال بالمساواة والتكافؤ منذ السنين الأولى من العمر لا فرق بين طلق وطفلة . ويجب أن يكون التعليم لهذا السبب مشتركاً في جميع المراحل تقريباً . ويحتاج إلى أن نكون وجه الحياة للمرأة كوجهتها للرجل سواء . ليس هذا للكسب والعمل ولك للبيت والطبخ . لأن الغاية الأولى لكل منهما يجب أن تكون تكوين الشخصية وإزالتها . ويجب ألا يتعود الشاب عادة جنسية سيئة لأن مثل هذه العادات تبت ويشق الانقلاع عنها بعد ذلك في الزواج . ومن هنا الضرر الفادح من البغاء . لأن الشاب لا يتعارف بالبغي ولكنه يفسق بها . وهو بهذا يفسق بغير يؤته الجنسية وبالحب ويجنس النساء عامة .

والتعارف الجنسي يجري بين آدميين وجهاً لوجه وليس كما هو بين الحيوانات وجهاً لظفر . ويجب أن يكون في هذا الوضع البشري الخاص مغزى للمساواة والتكافؤ . وأن التعارف الجنسي ليس شهوة لازمة وإنما هو تعاقب ومزاينة ومساواة وتعاون . ولكن لسعد بالحياة الجنسية والمعيشة الزوجية يجب أن :

١ - نتعلم فن الحب والتعارف الجنسي . فكم أن المائدة ليست لالتهام الطعام فقط بل للمزاينة والمباينة كذلك يجب ألا يكون الحب شهوة فائقة سرعان ما تنفد . المبدأ يجب أن يكون أساس التعارف الجنسي التعاون . هذا التعاون الذي لا يمكن مجتمعاً صغيراً كالعائلة أو كبيراً كالامة أن يعيش بدونه إلا مع الضرر العظيم .

٢ - يجب أن يتعد الزوج عن اعتبار الزواج كإثارة سرية له خاصة ويجب ألا يمارس أي عمل من شأنه أن يؤدي إلى هذا .

٣ - يجب أن يتجنب المباراة بينه وبين زوجته ولعنى المباراة بأنواعها المختلفة في أولوية الرأي أو غير ذلك لأن الزواج تعاون ومزاينة بين متكافئين وليس شركة بين رئيس ورسول .

٤ - يجب أن يكون الحب ثمرة الزواج وليس سبباً للزواج . وعندئذ يصير الحب كالصداقة ينمو ويؤدد . أي يجب عندما يفتار الشاب خطيبته ألا يتسائل : هل أنا أحبها الآن ؟ بل يسأل : هل أستطيع أن أحبها بعد سنتين ويزداد حبي لها أم يتناقص ؟

الحياة الاجتماعية والحياة الحرفية

يولد لنا المجمع الذي نعيش فيه عادات تقارب أو تشبه الغرائز الطبيعية . وأغلب الظن أن الإنسان ليس اجتماعياً بطبيعته أي أنه لم يكن وقت بدايته يعيش جماعات كما نرى في جماعات النمل والحياتوس والشفة والعزلات . ولكنه تطبع بالاجتماع عقب الزواجة أو قبل ذلك بقليل . ولذلك فأننا نألم من مخالفة العادات الاجتماعية واعتقادنا بأن المجمع يحقرنا . بل أحياناً نصبر العادة الاجتماعية . كما قلنا ، قريبة جداً من الغريزة الطبيعية حتى أننا لنشعر أو ننظر من الغالين لعادتنا أو تقاليدهم إلى الموت . وليس التعصب الديني مثلاً سوى عادة اجتماعية انضبت إلى عقيدة تشبه الغريزة .

بأجل حال ساء الوضع لما أن فستأبنا لا تتفق مع الزنى الجديد . أو حال أهدت عن الرجال إذا كان فاعداً في الترام أو القطار واضع له بعد نظرات مؤسفة من القاعدن أن زواجهم يتأذى من الأسام . أو حال أحد سيوحننا حين يطل من النافذة في القطار وتظهر حمالة . أو حال الصمدي في لنا إذا رأى أنه إن بنت غائبة لمب فلاناً . أو حالنا إذا علمنا مثلاً أن الحرار الذي كنا لنشترى منه اللحم كان يبيعنا لحم الخمار باعتبار أنه من الضأن . أو حال حين نسمع أحد اليهودين وهو يعض ويقول إنه ليس هناك لحم أو جهم . أو تأمل دهشة السمر الشرابي زعيم حزب المحافظين في بريطانيا بل أنه وحقة حين يقال له إن الجنود يدر وهم أطلق في الاستقلال مثل الانجليز .

نجد هنا إراء عادات اجتماعية قد شابهت الغرائز الطبيعية وصارت لها قوتها . بل أحياناً تزيد قوة العادة الاجتماعية على الغريزة الطبيعية . كما نرى مثلاً في عجز كثير من الناس عن الصول في المأول العامة لأنه خرس في نومهم منذ الطفولة أنهم حين يحتاجون إلى الصول يجب عليهم أن يعزوا ويغردوا وأن ينجسوا من رقة أحد لهم .

المجتمع الذي نعيش فيه هو لنا بمبادئ نسبية وذميرة حتى تنهى بأن تضرب الكرامة الشخصية مسرعة والفزول عن جميع مخالفات وعاداته ونفسي الخافضة وتتمنيها . وصحيح أن هناك مخالفين . ولكن هؤلاء لا يرون وهم يعرفون أنهم قد خالفوا عادة أو عقيدة لأنهم

رحموا لأنفسهم صورة أعلى من الصورة التي رسمها لهم المجتمع . وهم بالطبع يقبلون الاعتقاد عن رضى هذا السبب .

والجميع يرسم لنا صورة تعالفاً عليها وتصونها من التغيير . وهذه الصورة على أعظم الأسس للضمير الشخصى . ونحن لا نسرق أو نقتال أحداً ولا نؤثّر ولا نؤذى لأن القوانين تعالفاً فقط إذا فعلنا هذه الأشياء بل لأن لكل منا صورة اجتماعية عن نفسه قد ارتسخت في نفسه . فهو يرى نفسه محترماً له كرامة إذا تولى على رأى المجتمع وعقائده ومخاطراً إذا خالف . ونحن نعبر في مصر في مجتمع اعتنى بطالب كل فرد بأن يقتنى شيئاً أى يدخّر مالا أو يشتري عقاراً . بل وحتى يبنى زوجة . ولذلك نجد تحقيق هذه الأهداف مع أن كثيراً منها غير طبعى أى غير بيولوجى . بل نستطيع أن نقول إن بعض الناس يزوجون لا حاجة بيولوجية بل حاجة اجتماعية لأنهم يرون أن العزوبة لا تهيئ لهم الكرامة الاجتماعية التي يهيئها لهم الزواج . وكثير من أطباءنا إن لم نقتل جميعها اجتماعى وليس بيولوجياً . وأحياناً حين يغيب في تحتفلها نصاب بشذوذ أو حتى جنون . كما يحدث لرجل كان يملك ألف جنيه فقد نصبها في البورصة . أو لفئة خباب رجالها في الزواج . أو لشاب يحسن على الرشاقة المتناهية . أو لشاب آخر رسب في الامتحان المدرسى أو الجامعى .

فهنا قيم ومقاييس اجتماعية صارت لها قوة الغرائز الطبيعية وهي تحدث لنا إحساساً وتذكيراً واتجاهاً تعين جميعها سلوكنا ونحمل الشاق بل أحياناً الانحلال في تسليح بها . كما يحدث مثلاً عند أحد الآباء يستدبر ويصرف على زواج بنته لكي « يظهر » وبناش إعجاب المجتمع . وقد يؤدي هذا « المظهر » إلى إفلاسه . ولحاج إلى وجدان بلغ ومبادئ موضوعية في التفكير كي يخالف هذه العقائد الاجتماعية . ونحن لا نبعد تماماً بهذه المخالفة . حياتنا الاجتماعية السوية ضرورية لسعادتنا . ووصفها بالسوية هنا ليس له من المعنى أكثر من النزول على القيم والمقاييس والصورة التي رسمها لنا المجتمع أو بالأحرى طبقة المجتمع التي ننتمى إليها .

وحياتنا الحرفية كذلك تكسبنا الكرامة الاجتماعية . والشاب الذي يغيب في الحصول على عمل منظم يكسب منه بعض عوائداً عالياً لا يقل عما تحسه الفتاة التي تغيب في الحصول على زوج . وفي مجتمع الثنائى كالذى نعيش فيه بين الوارث الكرامة التي يجدها الموظف بل أكثر . ولكن للفرقة بينات سيكولوجية أخرى لأنها تكسب النفس لظناً وأخلاقاً وهي تكون شخصاً للتحرف المشغول . وكل هذه الفضائل لا يجدها الوارث إلا إذا كان يستغل عقاراته بنفسه . وهو عندئذ لا يكون وارثاً فقط بل يكون محترفاً أيضاً .

وخلاصة القول إنه ، لكي نعيش على وفاق مع أنفسنا وعلى وفاق مع الجميع ، يجب أن نعني :

- ١ - بحياتنا الجنسية التي يجب أن تكون سليمة من الشذوذات كما يجب أن يكون فيها الزواج ، هذا الزواج الذي نشد فيه الرفقة الصديقة كي يصير الحب بين الزوجين متكاملاً ليس فيه استغلال أحدهما للآخر .
- ٢ - بحياتنا الاجتماعية فنزل على فهم المجتمع ومقاييسه ونجرب في مضماره . وهذا بالطبع كلام للمعادين ، ولكن هناك الفرد الذي لا يباله لأنه فرداً ولأنه يرسم صورة أخرى لمجتمع أرق من الصورة القائمة . وهو يسعى بكراهة هذا المجتمع أو باحتقاره له .
- ٣ - بحياتنا الحرفية . ويجب أن تختار الحرفة التي فيها تستطيع الانغماس المأني أو الاجتهاد أو الذهن عن سبيلها . أي يجب أن تكون الحرفة ارتقائية تتحرك بها إلى الأمام وتراقى فيها تقدم السن . ولا تقف فيها جامدين تفرج منها في الستين أو السبعين كما دعانا فيها أيام الشباب .
- ٤ - وأخيراً يجب أن نعني بحياتنا القراغية أي بفراغنا . لأن لكل منا فراغاً يستطيع أن يستغله بقرابة شخصيته ويعوض عن سبيله ما لا ينقص في حياته الجنسية أو الاجتماعية أو الحرفية . واستغلال الفراغ يقتضي تعدد الاهتمامات بالتمتع بهواية ما أو بالاستطلاع الدائم للمعارف واكتسابها . وبعض نساءنا وبعض أنفسهن بالقبول والقال وأكل الحب لأنهن لا يستمتعن بالاهتمامات الكثيرة التي تشغل الرجال !

حياتنا الفراغية

في وسطنا المتمدن يكثر الفراغ حتى أن موظف الحكومة في القاهرة مثلاً يستطيع أن يجد كل يوم بعد طرح ساعات العمل والنوم والغذاء والرياضة نحو ثماني ساعات هو تافه فيها لا يجد ما يشغله . وهناك بالطبع غير الموظفين ممن يعملون مستغلين في التجارة أو الصناعة وقد يعبثون مثل هذا الفراغ أو أقل أو أكثر .

وعن ننظر إلى الفراغ هنا من الناحية السيكولوجية فقط أي من ناحية استعماله للتعويض من النقص في حيواتنا الثلاث : الجنسية والاجتماعية والفراغية . ذلك أننا ، على الرغم مما نبذل من عناية وجهد كي نلتصق ولستمع بهذه الثلاث ، نجد فيها ألواناً من النقص تحدث لنا كظوئاً تزعجنا وتؤذيها وتؤخرنا . فإذا استخدمنا فراغنا فيما نرتاح إليه من هواية تتعلق بها كدراسة لموضوع مفيد أو صناعة يدوية تنفس بها عن كظم وغيد فيها فنأ يرق بنا أو نحو ذلك ، فإننا لن نصيب بما نجد من معاكسات وصدومات في الوظيفة التي نحترف أو في مناصب البيت أو في المجتمع .

وهذا يجب أن يكون لكل منا هواية تخفف عنه هذه الكفوف . وفي الوقات الخاضرة كثيراً ما نجد الزوج يهرب من بيته لأنه يجد زوجة راكدة لا تماشي في نشاطه وشلياته . أو يهرب من المنزل لضوضاء الأطفال بل أحياناً يهرب لأن له جارة لا يبالي أن يملأ الجو الضيق بصخب الذباب وأغاليجه ونهيقه . وواضح أن العلاج الأصلي هو العلاج المباشر بتربية الزوجة وتلشيط ذهنها واختيار منزل حسن في بقعة راقية يعرف سكانها قيمة السكنية وتربية الأطفال وإيجاد السلويات والملاهي الحسنة لهم . ولكن إذا انضج بعد مجهود معين أن هذه المحاولات لم تنجح النجاح الكامل فإن الزوج يجب أن يفتو إلى نفسه من وقت لآخر أي مدة فراغه وأن يمارس عملاً بهواً تنتشرج توتراته . هذه التوترات التي لا يصح أن تنفج بالخمر أو بالتعاب الحظ السخيفة في القهوة .

ولكن الخيبة في الحياة الزوجية يجب ألا تؤدي إلى الفرار منها إلا وقتاً . ويجب الاستمرار على معالجتها باحالة البيت إلى مجتمع راق يكثر فيه الضيوف من الأصدقاء

والاصديقات الذين يستطيعون أن يتركوا أعضاء البيت الراكد من إلى الرق الثقافي والاجتماعي.
و كثيراً ما نجيب أحداً في حياته الخفية لأن الخفية وقعت له بالمصادفة فكانت كالشر
اللازم بمشاكلها ك نياً من كسب فقط . وقد يجد من ممارستها مضيقاً كما يجد ألباً من غطرية
الروضاء . ويعيد أن يستطع هو إصلاح هذه الحال . وهو إذا استخدم مراد في عمل يجد
أى عناية تتعلق بها فإن نوترانه التي تحتها له الخرفة وما يجد من كظوم في نفسه لأنه
يتأخر عملاً يكرهه فتفرج لأنه يمارس بهويته عملاً يرغب فيه بنفسه وعقله . وبمثل هذه
العناية ينتفع بها كثيراً عندما يبلغ من السنين ويحال على العاش . لأنه لا يجد نفسه عندئذ
عاطلاً . بل يجد في هذه العناية عملاً يبعث نشاطه ونصون كرامته ويشغل كل وقته تقريباً .
من صير هذه العناية عندئذ كأنها صير جنيد .

وما نجد من نقص في حياتنا الاجتماعية كذلك نستطيع أن نصحه بحياتنا الفراغية كأن
ننسى إلى حزب سياسي أو نتابع دراسة معينة أو نتغير الاصدقاء ونحرص على صداقتهم
ونمارس نوعاً من البر أو الكفاح نعرف فيه ونرتاح إليه . وكثيراً ما يكون مرجع
النقص في الحياة الاجتماعية جديداً لفساد العادة وأبيتنا الضمنية حتى أننا نقرأ الخريدة
ولا ندرك معنى الأخبار . ولذلك يجب أن يكون لقراءة الخريدة والكعب الشأن الأكبر
في حياتنا الاجتماعية كما يجب أن تكون بيوتنا بالائها متاحف يجد فيها الضيف الصورة
الجسدية والآلة الجسدية الأثاث الفني كما يجد الضافة استعيرة التي لا يحسد فيها الطعام
والشراب . كأن البيت مطعم ، بل يكثر فيها الفن والثقافة . وإذا لم يكن هذا مستقاعاً
حتى مع المتابعة في إيجاده . فإن العواية تستطيع أن تعوض هذا النقص .
والله أن نعرف أن حياتنا النفسية السليمة تقتضي منا العناية بالبيت أي الزوجة
والأولاد والحياة الجنسية كما تقتضي العناية بالجنس وبالخرفة . ثم العناية بالفراغ .

السعادة

يختلف معنى السعادة عند الناس باختلاف ذكائهم وثقافتهم . فالسعادة عند العامة هي أن يجد على الدوام الأسباب لمواظبة أي ضمانات من الخوف والمرض وتبعاً من تاحتي الطعام والجنس وما يتبع هذا من توافر المال والسلطة والوجاهة .

ولكن السعادة في لبها هي الوجدان . أي زيادة الفهم لأنفسنا ولغيرنا من البشر ولدنا ولكون . وكلما ازدادنا وجداناً ازدادنا سعادة حتى ولو كان هذا الوجدان سلباً . لأننا ننظر عندئذ بعقل حساس والشب نرى . نعقل لأننا نفهم ، ونفهم لأننا نعمل . وفي كائنات الخلق نستمتع بأنفسهم . وعندما يصير الحياة سفر لا يحسد ولا يقاربه من يقع بالأسباب عواطفه .

وفي الاعتبار السيكولوجي نقول إن السعيد هو السوي الوجداني .

وفي الاعتبار السيكولوجي أيضاً نقول إن النش هو السوروزي العاطفي .

وفي مجتمعنا الحاضر نحتاج إلى العناية بالزواج (والعائلة) وبالمجتمع وبالحرفة وأخيراً بالفراغ . ومتى عتبت هذه الأشياء الأربعة وحدة فيها جميعها الوسيلة إلى التوسع الثقافي فتوسع بذلك ألقا ويزداد وجداناً .

والسعيد هو الذي يرتبط بالمجتمع بروابط كثيرة فيحس مسؤوليات اجتماعية فعلمه على أن يكون مفيداً للمجتمع ، كما فعلمه على تقبل الصعوبات وعلى أن يدرس المجتمع وعلى أن يحار بهجاجة اجتماعية . وهو لهذه الأسباب يجب أن يكون غيرياً بذكر مصالح الغير .

والنش هو الذي يتعد عن المجتمع ويكره خدمته لأنه ألي . وهو يبرهن عن فشل المسؤوليات فتغدو عقبا انعزالياً لا تنفع أحداً . وهو في انعزاله ، وكراسته للمجتمع لا يشكر في ترقية ذهنه بالثقافة ، لأن الثقافة في لبها اجتماعية فيفهم عنده الوجدان وتزداد عاطفته . والسعيد ينمو لأنه اجتماعي يحوي ما حوله بالذهن والعمل والدراسة والحكمة . وانفردت مستقبلية لظهورية بلبي المسوم لأنه جعلها أو يجعلها .

والسعيد لا ينمو لأنه انعزالي قانع بعواطفه يبتزها ونفسي بها . وهو لا يدري ولا يعمل

ولا يخدم . ونظيره إلى الماضي تفت عنه حادثة في حياته فيصدق بها ويجعل منها بؤرة لهم
الدائم العنيد . نشأ بذكرها ويحفل بها جميع مواجبه يذكرها . السعيد نشيط وجداني وسعري
متقابل له هدف مستقبل دائم الحركة الذهنية والجسدية ، والشقي راكع عاطفي ساكن
مستأنم لا يتحرك إلى المستقبل ، لأنه مقيد بالماضي . وهذا القول يصحح عن الأمم كما يصح
عن الأفراد .

والسعيد سريع سائر مستقيم الأخلاق في خبونه النفسي .

والشقي سلس سرى معوج متأثر له وجهان أو ثلاثة وجوه .

والسعيد مجاهد يطلب لونه ذهنه ونفسه وغائلته ومجتمعه يؤمن بديانته ما قد استقر
عليها بوجدانه .

والشقي جسد لا يرى نفسه أو مجتمعه أو عائلته ليس له دين . أو هو لا يعرف من

الدين سوى الممارسات العفوية اليومية المألوفة .

وقليل من التحلل للأخلاق ينير بصيرتنا . فإن الصراحة مثلاً تخدم الصحة

النفسية ، لأنها لا تحمل مجهود الاخفاء الذي يتعمده المنافق الموارب . والرق والظهور بالدراسة

والخدمة يملآن النفس سروراً . وهما يفركان النشاط ويحولان الصحة النفسية والجسمية .

ولذلك فإن الكذاب والشاذي والمنافق والمالك . كل هؤلاء يتعبون ، لأنهم يتحملون مجهوداً

في ستر أنبياء لا يحتاج إلى سترها الصريح الأمين الظلم . والجاهل الذي لا يرى ولا يظن

يحب تشاؤماً ملازماً لأنه لا يجد مغزى لحياته .

والمتبرين الذي سكن إلى ديانة حسنة وصل إليها بمجهوده ، وليس بتقاليده . ينتقل

في سلوكه ونصرته من العاطفة إلى الوجدان . فهو يشكر أكثر مما يفعل . في حين أن

ذلك الآخر الذي لم يسكن إلى ديانة حسنة . قد وصل إليها بمجهوده ، بل فتح بالممارسات

المألوفة ، يبقى على المستوى العاطفي يكره أذى ما يحب ويتعصب ويغالي بلا روية .

والدين كالفناء والحن إله عاطفة وإله وجدان . فالرجل الذي يرى نفسه وارثي

يحب الأخالي والأخوان الوجدانية التي لا تكاد ترتبط بعاطفته . أو هو يرى على الأقل أن

هذه العاطفة ليست جسمية . فالأخالي والأخوان عنده ليست أغانيج . ونحن حين نستمع إلى

رايح أو بيتوني لا نحس أية بقعة جسمية . ولكننا نحس هذه البقعة عندما نستمع إلى العامة

أو بالأمري الفوغاء من الفنين والموسيقين في أوروبا . ونحسها في جميع الفنين والموسيقين

في مصر تقريباً . بل إلى لا نستمع أحياناً إلى ملحن مصري في المذياع نأجد أنه يغنج كالنساء .

وهكذا الشأن في جميع الفنون . فإنها تخاطب العواطف عند العامة . وتخاطب الوجدان

عند الخاصة الثقيلة . وقد شرع الرشد بنحو نمو الوجدان في السنين الأربعين الأخيرة .
والمتدين كذلك قد يعتمد على العواطف فيحدث عقائد جامدة كثيراً ما تؤدي إلى
النسب الروحي كالنعصب مثلاً . ولكن المتدين الذي يعتمد على الوجدان إنما ينمو
بالمعارف والتفكير ولا ينقطع نموه طوال الحياة .

ويرى القاري أن هذا يؤكد قيمة الوجدان في السعادة وأعزها القيمة إلى تسلط
العواطف . وهذا هو ما التفت إليه . ولكن ربما يحتاج القاري إلى رأي آخر . ولذا
أعرض عليه تفسيرات أخرى وضعها السيكلوجي العظيم أدلر يجد أنها غريبة أو تونيمية
للسعادة . وهي :

- ١ - نحن في مثلوتنا نعمله عجز ونقص كلاً مما يعين لنا طرازاً من السلوك يلزمنا
طوال حياتنا كما يعين أهدافاً نجهد إليها بنشاطنا .
- ٢ - إذا كانت هذه الأهداف التي تكونت لنا في الطفولة بعيدة التحقيق نأثرت
نشتى بها طوال حياتنا لأننا لن نحققها .
- ٣ - وواضح أن الهدف وطراز السلوك يتكونان مدة الطفولة على سبيل التعويض
من نقص الطفولة وعجزها قبل اكتمال القوى العقلية الناقدة ، ولذلك يرسلان ويسبق
التخلص منهما .
- ٤ - إذا كان هذا الهدف وهذا الطراز للسلوك مخالفاً لقواعد المجتمع فأننا نشقى بهما .
- ٥ - يحدث أحياناً أننا نضع الهدف أو الطراز . ولكن من النشاق جداً التخلص
منهما لأن جميع عواطفنا معبأة خدسهما .
- ٦ - مجموع الوسائل التي نتخذها في تحقيق الهدف والطراز يكون شخصيتنا .
- ٧ - كل إنسان يشهد السعادة يحتاج إلى المجتمع . فحسب أن تكون حياته اجتماعية .
- ٨ - لكي نألف مع المجتمع ونسعد به يجب أن نحل ثلاث مشكلات هي المشكلة
الجنسية بالمطب والزواج والعائلة . والمشكلة الاجتماعية بالاتصال بالمجتمع والاهتمام بشؤونه
ونخصه وتربيته . والمشكلة المادية التي نكسب منها عيشنا (وقد زدنا نحن هنا مشكلة الفراغ) .
- ٩ - السعادة هي أن يكون الإنسان كاملاً . (وقد يصح التنقيح هنا بأن نقول
إن السعادة ليست الكمال ولكنها محاولة الكمال .)

وليس المعنى من كل ما ذكرنا أننا لن نشقى إذا اتبعنا هذه القواعد . وإنما نعني أننا
نكون أقرب إلى السعادة إذا اتبعناها . وفي هذه الدنيا شقاء لا يستطيع استيعاده بأبد

بواقع . كالألم تنفذ إليها ، أو أي إنسان تقع به حادثة تحرمه من أعضاء كينته ، أو العيشة في مجتمع فاسد يؤس بعقائد سيئة أو يخضع لسلطان فاجر أو نحو ذلك . فنحن هنا نشقى . ولكن هذا السقاء يخف إذا تلقينا بالوجدان ونطق إذا تلقينا بالعاطفة . وقد نستطيع معالجة وإصلاحه في الحال الأول . أما في الحال الثانية فلا علاج . ثم ماذا نقول في عامل يعمل نفسه وزوجته وأولاده ثم تزدهم السوق بالبضائع فيقتل الصنع ويعطرد عماله أو بعضهم ؟ فيوجد هذا العامل نفسه عاطلاً عاجزاً عن شراء القوة هل نوهمه بالسعادة وهو في أشقى الشقاء ؟

وفي مثل هذه الحالات لا تتعلق السعادة بالفرد وإنما تتعلق بالجميع . ومن هنا صار أدل السيكولوجي العظيم الشراكي يطلب توفير العمل والكسب لجميع الناس . وأخيراً نقول إن السعادة تختلف من السرور . الأولى فكرية والثاني مادي . فنحن نسر بالطعام أو الشراب أو السكن أو الأتومبيل أو المنصب العالي أو الأبهة . ولكن كل هذه الأشياء لا تسعدنا . لأنها إنما تسعد بالفكرة . أي حين نكافح من أجل تحقيق غاية نعتقد أنها مادية نافعة . أو حين نخدم شيئاً له قيمة تتجاوز ذواتنا كالألم نقدم طفلها وتلشد فيه رجلاً ، وكالمؤمن يمين يحاول نشره على الرغم مما يعترضه من صعوبات . وكذلك داعية إلى إصلاح اجتماعي معين . فكل هؤلاء سعداء وهم يرضون عن ألوان من الحرمان واليؤس لا يطبقونها غيرهم لأن سعادتهم في الفكرة التي يخدمونها .

النفس السليمة

في الاتجاه السلوكي الذي تتبعه هنا نعتقد أن النفس السليمة هي نفس السعيدة . وأن السعادة هي الوجدان . وما نذكره هنا إذن إنما هو إرشادات تفصيلية توضح لنا كيف نتجنب المرض النفسي أي كيف نتجنب الشقاء .

أول شرط للسلامة النفسية أن نتجنب المصوم . وهذه هي السلامة السلبية . أما السلامة الإيجابية فتتضمن تقبل الاهتمامات . والفرق بين المصوم والاهتمام أننا نجتزئ الأول اجتراراً لأنه ينصل بعاطفة قد نتملأ بها إنفعالا شديداً . ونحن في هذا الاجترار لا نمل هذا المصوم بل نجد أنه يسري شأن العواطف الطاغية فلا نملك التخلص منه . وقد يكون لالتصافنا بالمصوم هدف . كما يقول أدلر . هو أنه أي المصوم يمنعنا من تحقيق انقيادات الاجتماعية كالنجاح في الحرفة أو التفوق في المجتمع أو الدراسة أو نحو ذلك . وعند أدلر أن جميع الأمراض النفسية . والم أوطأ وأخفها . تعود إلى أننا نبغى بها غاية هي الحرب من الواجبات الاجتماعية ومن مواجهة الحقائق اليومية . كأننا نقول أمام المجتمع وأمام ضالرتنا : « كيف نطلبون مني النجاح وتنادية الأعمال الحرفية وأنا متقل بهذا المصوم . أعذروني . »

فنحن نلصق بالمصوم وكلها الدواء الذي يرفض تركه . ولذلك نجد أن هذه المصوم قسرية تتعلق بها على الرغم من إرادتنا الوجدانية نفقا نفكر فيها ونجتزئها كما يجتزئ البوم طعامه يجره إلى قبه ثم يرده . بل نفكر فيها بالليل ولا ننام . ونبقى على هذه الحال الشهور والسنين لا تؤدي عملاً مفيداً لنا أو لمجتمع . وعندما يتغلب علينا المصوم يسودنا بل يتسلط علينا فتور بل جمود فكري وجسمي . فلا تنشط إلى دراسة أو عمل .

أما الاهتمام فليس كذلك إذ هو يبعث النشاط والحركة . وقد يكون الاهتمام خاصاً أو عاماً . ولكن الميزة التي تفتقده من المصوم أنه وجداني إرادي وليس قسرياً عاطفياً مثل المصوم . ولذلك يجب أن نلجأ إلى الاهتمامات نعالج بها المصوم إذا كان هذا مستطاعاً . ويجب أن نذكر أن حركة العضو تؤدي إلى حركة العاطفة . فإذا وجدنا مثلاً أن الاهتمام بالدراسة والتفكير سابق لأن عاطفة المصوم طاغية قد ربطت العقل وسعت حركته . فإنا نستطيع أن نحرك

الجسم بالعمى الذى شعرنا بالكرامة ونسر إحصائياتنا الاجتماعية . كأن تكاف أى عمل نافع لتجتمع . للترأة المصنوعة تمارس الخربش أو خدمة الدينى أو التعليم فى مدرسة فقراء أو جمع البرغمان نعمل خيري . والرجل المصوم يحتاج مثل هذه الأعمال التى تبنى وقدرته ومكانه . وتترك الجسم أسهل جداً عنه الذى طفى عليهم لم من تحريك العقل .

والشرط الثانى لسلامة النفس أن نجد على الدوام فترات نستطيع أن نخلص فيها من التوترات المختلفة حتى ولو لم تكن هذه التوترات محبوباً من هذه . واليوم بالطبع يتخلصنا إلى حد بعيد من هذه التوترات . ولغنى بالتوتر هنا أن النفس تكون مستودعة بقية متبقة المقدرة على الحال عند ما تحصلنا واجباتنا على مواجهة المشاق والصعوبات التى لا تخلو منها الحياة . والنوم بعد الظهور هو علاج حسن مثل هذه التوترات .

والنوم هو استرخاء تام . ولكن إذا كانت أجهالتنا لطالبتنا بجهود كبيرة ففى أذهاننا نشأ لنا حجب من وقت آخر أن نأجأ إلى الاسترخاء الحسى الذى يؤدى إلى استرخاء نفسى . ويمكن أن يكون هذا الاسترخاء بالعبود على كرسي فى الثراب ليلته مستكورة أو بالحديث مع صديق على فهوة أو ملاعبة فى أهدى ألعاب الحظ الخ . لأن الاسترخاء هنا يعود إلى التبدول النفسى أتراله .

ولكن يجب ألا نفسى أن التوتر الذى قد يصبه أهدى قد لا يرجع إلى أن واجبات العمل الكثيرة فى ذاتها ، إذ ربما يرجع إلى كراهة العامل فيها لعمله .

ولغنى أن معظم السبب للتألمس النفسية عند الأسرى يعود إلى التوتر البليغ الذى يبعده عنهم الباراة الاقتصادية وإيمانهم بتحويل التجاع . وبالطبع نحن لا نفسى أن كثيراً من التوتر عند الشبان يعود إلى الخوف من الحسى . وهذا التوتر كثيراً ما يحول بين التلميذ أو الطالب (بين ١٠ و ٩٠ سنة) وبين الدراسة . ولا نستطيع أن نهدف علاجاً عاماً لهذه الحالات . وإنما هى تقبل حلاً يتفق مع الظروف الخاصة لكل فرد .

والشرط الثالث لسلامة النفس أن تكون طين فنانين أى لا تنبور فى مطالع بعيدة تعب فى تحصيلها ولا تحفظها . وهذه المطالع تتكون أساساً فى الطفولة وهى تتوقفنا سوية ، بتناسر فتنى فى الكسنة (العقل السكمن) وهى توهنا بجهود قد لا نحصلها إذا أنها نحصلنا على أن نكون أنانيين غير اجتماعيين . والأناية أساساً الرذائل السخوية . لأننا لن ندرس ولن نصادق ولن نستمتع بتلك الاستعدادات الاجتماعية الجديدة ما دنا أنانيين . ول إن الأناية تقصرم فى أنفسنا غليلاً لا ينفقنى يجعل التوتر شاده نفسية تصبح ونفسى بها ونحن فى تعب وإرهاق .

ولقد سبق أن عرفنا أن السعادة ، وهي عندنا السلامة النفسية . تقتضى من كل ما
أربعة أشياء هي : ١ - التلازم العائلى بالزواج الذى يكتمل البيت الحسن ويغنى التوتّر
الجسدى بالحرمان وأيضاً وجود العلى الذى نأوى إليه . ٢ - المقام الاجتماعى الذى
نكسبه بالاختلاط النفسى (بالثقافة) والجسمى بالاختلاط والاستئصال فى النشاط الاجتماعى
المختلف . ٣ - الكرامة الاجتماعية من الخرفة التى نكسب منها عيشة . ٤ - الفراغ
الذى يجب أن نشعر به لبقاء وجوده فيه الحماية تمارسها عن حب وتعلق لأنها تعوض من
النقص الذى لا نستطيع تجنبه فى الزواج أو الخرفة أو المقام الاجتماعى .
وإلى جنب هذه الأربعة يجب أن نجيب الفهم والتوتّر والظلمع البعده
التي لا تقتضى .

والوجدان وحده يكتفى بعلاج أى أننا نلجأ إلى النظر أو التأمل المنطقى الموضوعى .
ولكن التريض الذى تعلقت عليه الفهم كثيراً ما يعجز عن هذه المعالجة الوجدانية الموضوعية
وهو يحتاج إلى من يحلّه ويدير أموره ويصحب دوائه .

المرض والصحة درجتان

المرض والصحة في النفس درجتان وليسا نوعين مختلفين . فنحن الذين نعيب أحراراً
نقول في الشوارع بلا مبالغ ونكسب عيشنا لا نختلف من المرضى المحبوسين في المؤسسات
إلا في الدرجة فقط . أي أن هؤلاء المرضى قد اتجهوا الوجهة التي نتجهها نحن كل يوم بل
كل ساعة ولكنهم أسرفوا وبالعوا .

نحن الأصحاء نضبط عواطفنا بالوجدان . وكلمة « نضبط » هي كلمة تقريبية غير مطلقه
إذ من هو منا ذلك الذي يستطيع أن يقول إنه يملك عواطفه وينضبطها ؟ أما المريض فلا
يملكها ذاتاً بل يتساق فيها .

أنا العاقل عندما تملكني عاطفة الغضب أمب إلى من أغضبي وقد أضرب يدي
أو أقول يا ابن الكلب ، يا حار . أو قد أكرم هذا الغضب فأجد أن يدي ترتعش أو أن
العرق يسيل من وجهي . وهذا السلوك يدل على مرض نفسي ولكنه وفي سرعان ما يزول .
أما المريض فإذا تملكته عاطفة الغضب عمد إلى خصمه فخنقه وقتله . أو هو يضبط
العاطفة بجهد كبير . فبدلاً من أن ترتعش يده كما ارتعشت يدي ، يبعد يده في ذراعه .
وهذا الشغل النفسي نسميه عسيراً . ولكن ارتعاش يدي كان من مبادئ هذه المستعير .
وكذلك هذياناً بأن خصمي ابن كلب أو حار هو شذوذ وفي لو طال . أي لو اعتقت
عاطفة الغضب . لصار مريضاً .

واستأزي على هذا المريض درجي . فكلانا قد غضب . ولكني أنا السليم قد استقيت
قبل من وجداني وقتعت بقوى يا ابن الكلب ، أو كظمتم غيظي . فأدبى هذا الكظم إلى
ارتعاشي أو ارتشاح عرق . أما هو فقد استسلم لعاطفته وقتل الخصم . أو هو قد كظم غيظه
أيضاً . ولكن . لأن عاطفة الغيظ عنده كانت قاذرة . فقد أحدثت له في جسمه شللاً .
نحن نمرض لأن في النفس عاطفة غثقة لا نعرف كيف نتخلص منها ولا نملك هذا
التخلص . واحتقان العاطفة يشبه احتقان الكبد على الترسب . فهي غيظ مكثوم ، أو حزن
يأس أو غدة مضطربة أو خوف مفرود أو نحو ذلك من العواطف الطاغية التي لا تخرج

النفس . ولو كان المريض وجدان يسود تصرفه وكان قد تدرب على التعطل والمنطق والنظر الموضوعي لاستطاع أن يتغلب على هذه العواطف . ولكن حتى مع الوجدان السليم تطغى أحياناً بعض العواطف علينا ويعجز وجداننا عن التصرف بها . ولذلك نجد أحياناً فيلسوفاً قد انتهت حياته بالجنون أو الانتحار . وقد يعزى هذا إلى أنه يعرف من فساد الوسط الذي يعيش فيه أكثر مما يعرف غيره . كما أنه يعرف من وسائل العلاج ما لا يعرفه غيره فلا يطبق هذه الحال : فساداً عاماً وعلاجاً ميسوراً بلا محاولة للإصلاح . ولذلك ينهار وجدانه .

وسمى أن ينهار الوجدان هنا هو إحدى الوسائل إلى راحته النفسية . ذلك أن هذا الوجدان قد أثقله وأثعب كثيراً لأنه عرف أن تفكيره ومجهوده عقيم . فهو يلجأ إلى أحد الأحلام فتترعبها نفسه كي يرتاح . كما رأينا في تلك الزوجة التي لم تطلق تقرب زوجها لها بأنها هزيلة لا تسمن . فعمدت إلى السطوة ارتاحت إليها وهي أنها امرأة طاهرة وزوجها رجل نجس وأنه لا يجوز له أن يقر بها .

وقد كان أنلاطون يقول إن ما يعلم به العلاء في النوم يعملته الحبايين في اليقظة . فحياتنا وقت النوم هي حياة العواطف العارضة . وهي تقارب هذه الحال في خواطر اليقظة . فإذا غاملتني أحد وأهانني فأنسى ثقيله في خواطر اليقظة مهاناً مضروباً . وقد أثقله في الحلم . وأجد في هاتين الحالتين تعويضاً يريح النفس ويوفد عنها ما لاقته في الواقع . ولكن سرعان ما أعود إلى وجداني وأترك هذه الخيالات .

ولكن الجنون يستسلم كل وقته . أياسه ولياليه . لهذه الخواطر وهذه الأحلام حتى ينسى الواقع ويلقى وجدانه . فالفرق بيني وبينه هو فرق في الدرجة .

وأنا في النوم أحلم بالكابوس كنتيجة للمخاوف المرددة في ساعات اليقظة وظروف المعيشة . وقد أصرخ وأنا نائم . ولكن عاطفة الخوف التي أحدثت عندي هذا الكابوس تختفي وتندح عند الجنون فتحدث كابوساً دائماً يزعمه بألوان مختلفة من الخوف لا يستلطف منها إلى الوجدان .

ولستطيع أن تذكر الأمراض النفسية كي نرى بذورها في أنفسنا . فيكفنا تسمع كلمات النبوروز ، سيكوز ، هستيريا ، شيزوفرنيا ، مانيا ، بارانويا .

وكي مريض يأخذ هذه الأمراض يستحق الحجز أو العلاج .

ولكن نحن العلاء ، ليس لدينا واحد ، يخلو منها ، أو بالأحرى من بذورها كما نرى قيا يلي :

١ - النبوروز هو احتداد أو تولد العاطفة وسلازبتها . كأن ينسلط علينا الخوف من

الإفلاس أو الموت أو المرض أو تسلط على الزوجية الفكرة . أو تسلط علينا ثم لا يارحمنا .
لهذا نبوروز يجعل حياتنا عقيمة وهو يبدد قوتنا النفسية ولا ينفذ خواطر البقطة أو الحلم .
لأننا لا نستطيع تسلط الوجدان على العاطفة هنا لأننا طائفة نتعجز عن معالجة الموضوع
بالمنطق والاعتقل والتفكير الموضوعي . لأن تسلط العاطفة يجعلنا ننظر النظر الخالي . والنبوروز
يقسم بأنه مسرى .

وعن العقلاء نجد ألقوا من هذا النبوروز الخلف في عواطف تسلطنا التبع الفسري
في وقت ما . حين نستسلم خواطر الغضب أو الخوف . وإهم إذا طغى صار نبوروزا . وإذا
خلف لم يعد شيئا يؤبه به . لأن كلامنا إلى حد ما يحده .
ويم يمدح النبوروز أي لتفاهم العاطفة وتثقل . وعندئذ تقترح أي نصيب علاجاً زائفاً
هو السيكوز .

فأما السليم الذي منع عن الطبيب الطعام أضيق بعقطة الجوع . وأحصل عن هذا
الطيق بأن أغفل . في خواطر البقطة والأحلام . أي آكل وأصبح على ما نرى حاله بالأشوان .
وإذا استغفل لم أصدق أي أكت .

ولكن المريض الذي يضيق بعاطفة الغضب المكثوم يقترح ويخجل أنه قد قتل حصمه
والمشوق على تمسكه وتثبت عنده هذه الدعوى فلا يرجع عنها في بقلته . وهو هنا قد انتقل
من النبوروز مرض العاطفة إلى السيكوز مرض العقل . وإرتاح إلى هذا المرض الجديد . لأنه
أقله من كون العاطفة .

١ - السيكوز هو مرض العقل أي أن المريض يؤمن بأنه ميت أو ثرى أو وزير أو
يعتقد المريضة أنها أم كلثوم أو جريتا جاريو . ونحن في أحلامنا نعيش في سيكوز علم بأننا
نظير أو بأننا في حضان امرأة جميلة أو أننا قد سافرنا إلى الصين . ولكن إذا استيقظنا
رجعنا إلى حقائق الواقع . أما المريض فلا يرجع إلى الواقع . وفي خواطر البقطة أحلامنا
نستسلم لكل هذه الخيالات اللذيذة ونرتاح إليها بعض الوقت . ولكن الحينون يلصق بها
كل الوقت . فالمرق بيننا وبينه دوحى . نحن نترك العاطفة تطفئ بعض الوقت (= نبوروز)
أو نقترح ونخجل حالات وصور ذهنية نحتاج إليها (= سيكوز) فإذا عدنا إلى وجداننا
زال كل هذا . أما الحينون تطفئ على العاطفة (= نبوروز) أو هو يسكن إلى الخيالات
والصور التي اخترعها كي يرتاح إليها من غليل العاطفة المتأرجح ولا يعود إلى وجدانه
(= سيكوز) .

٢ - الفسيرييا هي مرض جسمي له أصل نفسي . وأولاه عندنا نحن العقلاء عاطفة

مكتومة تسلك إلى الخروج بشئ الطرق ، كاعرق بصيني وقت الخيل ، أو جفاف الرق والخلق إذا وقعت على المبر الخطابة ، أو ارتعاش اليد لخوف . وقد يفتح قلباً كالاسهال من اقم ، ولكنه في الرغى ينام أكثر . كان يحس المريض لما ينام منه من مبارحة السرور ، أو هو يعنى ، أو يحس صبا .

تأس رجل يعنى مع زوجة من الأبالسة في الشر والعنت والامالة يكره الدنيا لأنه فرحها . ولكنه بدلاً من أن يتحرك كما يفعل غيره في مثل هذه الظروف يحس نفسه أسمى . والعنى هنا في التفسير النفسى مرادف للانحياز . إذ هو يعبر عن كراهته لها ولدنيا من أجلها . وهو علاج مثل علاج السيكون في الخراج وتحويل حال حسنة تفرج عن الغنى أو الحزن أو الخوان المكثوم .

د - الشيزوفرنا هي مرض يحصل للرغى على تجنب الناس وهو يعزلى ويستسلم لخواطره شهوراً إلى سنين . فينتزع ما يفكره وبين العالم انقطاعاً تاماً ويستسلم لخواطره وعواطفه حتى يترفع لنفسه عالماً تأسلاً يسكن إليه . وكلنا إلى حد ما نجد مثل هذه الشيزوفرنا حين نأوى إلى غرفتنا وننفرد ونكره لقاء الناس ونستسلم لخواطر الذبقة تعريتنا من الشقاء الذي نخسه في الحياة الاجتماعية . ولكننا نحن الأصحاء نخرج من هذه العزلة بوقت قصير . أما المريض فيلتزمها طوال حياته . والانطوائيون كثيراً ما يمتعون في الشيزوفرنا لأنها تسبب ومزاجهم الانفرادى الانعزالي .

هـ - اللانها هي الحزن الفادح أو الطرب العظيم . وهي في المريض تلازمه طوال الحياة أو معظمها . وقد يطرب شهراً ثم يحزن سنة . وقد يضحك ويبكى في يوم تتناوب نوبات من السرور والحزن . ومن منا ينكر أن هذه النوبات تتناوب أيضاً ولكن في درجات خفيفة لا يحس أنه يحتاج فيها إلى علاج ؟

والانطوائيون كثيراً ما يمتعون في اللانها تنفق ومزاجهم الاجتماعى إذا هم يتركون كثيراً ويغضبون كثيراً . ويجب ألا ننسى أن الذبح والخم فطيان لعاطفة واحدة . وعندما نلاحظ الضحك في أحد نجد أنه لا يختلف من البكاء في حركة الأنف . وكثيراً ما يخلط علينا الصوت هل هو بكاء أم ضحك . ولا ننس قولهم : « من فرط ما قد سرقى أبكى » لأن الدموع تنهمر في الحزن والسرور معاً .

و - البارانويا هي اعتقاد راسخ في شئ ما مثل أن الأرض مسطحة أو أن غنمى حي أو أن الأرواح تتحدث إلينا من تحت التلدة أو أن الصومس يكتمون قنلى إذا تأخرت في المساء أو أنه يمكن الوصول إلى القمر على الأشعة أو أن اللانها يحق لها أن تسود الدنيا .

والعادة أننا نعد المخترع بالبارونى إذا غاب في اختراعه ونعنه عبقرياً إذا نجح . فلو
 أن عتذر نجح في التسلط على العالم أو لو أنه كان قد سبق الأمم المتحدة في اختراع القنبلة
 الذرية وتغلب عليهم لكان اسمه مخفداً في التاريخ باعتباره العبقري الأول . ولكننا نعدّه
 الآن عبثياً لأنه كان قريباً من اعتقاد راسخ بشأن تسلط ألمانيا على العالم .
 وهذا المثلى وحده يدلنا على أن الفرق بين الصحة والمرض في النفس هو فرق درجى
 أو اعتبارى لا أكثر ، لأن كليهما أى المخترع والبارونى يجمع نشاطه في بؤرة مفردة ، الأول
 يحتق غايته والثانى ينجب فيها .

الأمراض النفسية الخفيفة

كنا تقريباً يصاب بالرشح أو الزكام في وقت ما . ولكننا لا نباليه بل نعتمد على أننا ستخلص منه بلا معالجة بعد بضعة أيام . ومثل هذا يحدث لنا بالأمراض النفسية الكثيرة التي تتناوب من وقت لآخر . وكنا بلا استثناء يقع في أحد هذه الأمراض التي لا نباليها لأن الإصابة خفيفة لا تكاد تلاحظ وهي تزول في أيام . ونحن نذكر قبلاً من هذه الأمراض :

الشك . النسيان . الاشتزاز . الخوف من الغلام أو من الأمكنة المستندفة العالية .
غيباب الذهن . الحياء . الشك . التوجع . أخطاء الكلام . التلعج . أحلام الطفلة .
الكابوس . كثرة الأحلام . الاحتياج عن المشروعات . العزلة . حب الخمر . الشره إلى الطعام . السأم . التشرذم الخرق . التشرذم الجسمي . التعب . وفرة العرق . الخوف من الغرباء . الأجرام . الخ . . .

وإذا وقع لنا بعض هذه الأمراض في فترات متباعدة مدداً قليلة فالتنا لا نباليها . ولكننا نلتفت إليها إذا لامتنا أو إذا تكررت أو إذا لاحظنا علينا صديق أو قريب . فكثير منا مثلاً يشرب الخمر مع صديق للمؤانسة . وقد يحتاج في قوت نفسي إلى أن يعمد إلى التفرج بكلمة أو كتابين . ولكن إذا صار الشراب عادة لا يطاق الإفلاج عنها فإن المسألة تحتاج إلى علاج . ولن ينجح العلاج بمحض الأمر بالإفلاج . لأن الشراب معنا ليس داء وإنما هو نتيجة لداء : هو التوتر النفسي للكظم الذي أحدثته كراهة العمل الذي يترقب منه . أو لبيئة العائلة المتفصصة . أو للهوان الاجتماعي الذي أدى إليه مركب نقص قد استقر واستمر . أو لظنوح بعيد لا استطاع تخفيفه . ولكن الكمنة لا تزال تنيره وتحضي عليه . فكل هذه الأشياء تخلق النفس وتحدث لها توتراً تخفف عنه الخمر . والخمر هنا سبيل للهروب من المشكلة . ويجب أن يكون العلاج بالبحث عن العلة المستترة وتحليلها ومطالبة المريض باستعمال عقله . أي أننا ننقله من العاطفة العمياء في الكمنة (العقل الكامن) إلى الوجدان حتى يتقبل ويوازن الاعتبارات بالتفكير الموضوعي .

لنا إذا كانت عادة الشراب قد استقرت وضعف عتياً سنوات فالتناحتاج إلى معالجة
العادة بتأليف جديد للشخصية أكثر من الحاجة إلى معالجة الأصل البعيدة بالتعديل النفسى .
أو اللجوء إلى السكوبوس . فانه كلما من ما يصب به . ولكنه إذا تكرر وأزعج دل
على محارب مستمرة قد حاولنا كظمها وهي تفرج في النوم حين يفسد وجداننا . وقد توجه
هذه المخاوف إلى المائى لأن عادة معينة قد وقعت لنا . فالصبي الذى أجريت له عملية
جراحية كان يخافها وقد عوبل بقليل وبأقلية ولم ينظف معه الأطباء يجب بعد هذه العملية بأشياء
أو أشهر صارها . ونحن نعالجها هنا بأن نشرح له الشرح القنع بأن العملية قد تمت بنجاح
وأله ليس له حق في هذا الخوف . وقد يكفى الاتجاه الخفيف قبل نومه أى وقت التعاس
لشئ لا يروى لكن هذه المخاوف قد توجه إلى عم نملكنا بشأن الحاضر والمستقبل كأنه يخاف جشنى
رئيساً سافلاً مع كساً يتصيد أشلامه وينوى إيداعه . ونعالجها هنا أسبق لأن ألم لا يبرحه .
وكما سبق أن قلنا
إن مشكلة التي سمعت على الحلم (والسكوبوس) قد تكون عصرية ولكنها بعد أسبوعاً
بدالاً في النوم . أى أن الخوف من الرئيس الذى يروى قطعاً رزقنا بنصف لنا صورة الخوف
الذى تمثلها الطفل في وقت يغير افتراضه أو قتل إيمونه أو نحو ذلك . وأستطيع أن أؤد
أن في عصر كثيراً من المؤلفين يعانون السكوبوس من سلالات رؤسائهم . وقد يندج ألم
والخوف . فينتقل من الحلم في النوم إلى نترات الانزعاج الحافظة تمر بالرأس وتب البقلة
فترى القنب ويسيل العرق وينقب الوجهان لحظات . ولا يدري المريض أنها تعود إلى
الشكة القائمة بينه وبين رئيسه . وهذه هي النورسليا .

أو أظفر إلى الخوف من الظلام أو الخوف من الأمكنة المستنيرة مثل السحونات أو
الخوف من الصعود في اللب . فوفاً نحو خوفاً بدالياً أى لا يصح أن يحسد رجل سمين
يعرف بوجوده أنه ليس هناك عقارب أو عازرين أو وجوه في الظلام . ويعرف أنه ليس
أعداء من شجرة تتراوح خصوصاً في الترح ويطغى السقوط منها . ولكن هذه الاحساسات
تتملكه لأنها تعبر عن خوفه من المستقبل المالى الظلم أو لوقعة لكارثة مقدرة أو خوفه من
القتل أو نحو ذلك من المشكلات العصرية التي تكبد صورة تشبه طليقة أو بدائنة . كما
يحدث في السكوبوس . والفرق أن الخوف هنا قد انتقل من النوم إلى اليقظة وهذا يدل على
أنه قد اندج ونجا . وقد سبق أن قلنا إن العشر لا يخاف سوى شيطان في التهور الأولى
من حره مما السقوط والصوت الصاخب . للخوف هو أعظم الأشياء استلزاماً في التوسا .
وعسى يضعف وجدانها أو يزول بالنوم أو التعب فعود إلى طراز الخوف الأول الضنى

البدائي فتخاف الفطام والسنون من الملكون وتعلم بالوحوش القردة والقصص القليلة
أو أنفر إلى السنن بعصب كثير من النساء وأحياناً من الرجال عندما . فإن الانسان
السليم الذي يسلط ويحكم يجب ألا يسم إلا إذا كان به الخلل عسدي . وهذا لا يحدث
لواحد في الألف . ولكن السنن قد تقرباً يعود إلى سام النفس الذي يؤدي إلى كس
الجسم ونوره . لأن النفس لا تفر من الاعمال ما يتفعلها ويعب نشاطها . وفي مثل
هذه الأحوال يعود الكسول السّم الثائب إلى أن يفره عن سامة الطعام فلا يقطع لهم
عن وضع اليد طوال النهار . وهو حين يقعد إلى المائدة يجب ألا يتركها لأن لغة الضع
تخلف عنه السام . وأحياناً يؤدي القلق إلى مثل هذا التهم للطعام لأن المذاق الصغبر
من الألوان المختلفة على المائدة تبعث سروراً لنفس التي تتعب من السام أو ألم . فالسليم
هنا كالشراب سواء . أي أنه يفرار من الواقع . وغلبنا ألا تنسى أن السام الذي يجد مشقة
في الدروس ويرسب كثيراً يعود إلى العادة السرية ففرقه بها عن نفسه ألم ألم والرسوب
لا يجد فيها من سرور وقى . فهو هنا يهرب من صعوبات الحياة بهذه العادة .

والسلام البطله أي الأماني السرية قد تكون أيضاً مهراً من صعوبات الحياة من
الخير . ومعظم من يقع فيها أولئك الشبان الذين يجدون الواقع شاماً تصعب تواجته وحين
مشكلاته من دروس قليلة إلى العجز عن الاهتمام إلى عمل مكسب . إن أعدم السليم
لنواظر هذه ويتنسى فيها الساعات وهو يستمتع بذاتها . والعادة أنه يقع أيضاً في العادة
السرية . وليس إحداها سبباً للآخرى . ولكن الثائب يلجأ إليهما لأنه يتوجها بسهولة .
وقد تنجح هذه الحال وخاصة إذا كان هذا الشاب انطوائياً يبتغ في الشيزوفرينيا أي متاملة
الجميع نفساً وجسداً فيسهم لحالاته ولا يغادر غرفته بل هو أحياناً يندى طعامه وشرابه .
وهذا بالطبع لأمر .

أو اختار مثلاً شخصاً قد استقر في نفسه مركب نقص كأن يكون قد أوهم منذ
طفولته بأنه ضعيف أو أنه ديم . وربما يكبر هذا الوهم عندما يبلغ من العشرين بل
لعله يجد ما يؤيد هذا الوهم في نفسه من ظروف سابقة . فيعبد إلى نشاط جنسي لئلا أو يعود
إلى التردد الجنسي بين النساء كثيراً كي يؤكد وجوبه التي شك فيها مثلاً . وأمثال هؤلاء
لا يفتأون يتحدثون عن اختياراتهم الجنسية التي قد تكون كاذبة أو صحيحة . وعنده
الأحاديث على سائر يسترون بها نقصاً مستظراً في نفسه .

أو اعتبر الشك . فالتاكيد في شك إلى حد ما . ولكن قد يزداد أحياناً اشت إلى أن
يصير عادة لنفسه سرقة بحيث يترك أحياناً مكتبه ويخرج إلى الشارع ثم يعود إلى المكتب

كي يسولي من انه قد أنقل هذا الدرع أو تلك الخزانة . ثم يرتقي الشك إلى الظن السيء
بالناس حين يتحدثون بالحرب منا أو نحو ذلك . والشك عند التحليل يعود أيضاً إلى الخوف
لأن النفس غير مطمئنة لا تجد القدر فهي في تقلب وتلهل .

في كل هذه الحالات وأسبابها نجد أمراً نفسية خفيفة لكاد تصيب كل إنسان بدرجة
مختلفة حتى أنه لا ياله بها . ولكنها تقدر في بعض الناس ولعمود خطيرة . والعلاج
الصحيح هو اليقظة الوجدانية أي أننا لا نسلم لعواطفنا ونساق فيها دسراً وغصباً بل
نقف ونعقل ونبحث الشك بحثاً موضوعاً . كما أننا يجب ألا نبالي ونسرف في كظم عواطفنا .
ولنكظم النفس لغة رمزية في الجسم . فالدوار الذي يجسه أحد الشبان إنما يدل على
أنه « ناله » لا يدري ماذا يفعل . فالدوار يرمز إلى العجز عن تبين الطريق . والزوجة
التي تكره التعارف الجنسي مع زوجها . لتكره الطعام . مشتموه . ونحن نعبر أحياناً عن
توتر النفس بقبضة اليد . وفي تعبيرنا ما يدل على الجمع بين لغة النفس ولغة الجسم :
فألا لا أستطيع أن « أعضم » هذا الرجل . « ما هو من قادر يلعني » الخ . . .

الأسلوب النفسي

لكل منا أسلوبه النفسي الذي يعين سلوكه وقصره . وهذا الأسلوب نكتسبه أو نكتسب نحو . ٩ في السنة منذ أيام الطفولة أي قبل من الخامسة أو السادسة . وقبلنا نستطيع التغيير بعد ذلك . إلا إذا برز وجداننا وأوضح لنا الأغلاط التي وقعت بنا أيام طفولتنا وحملنا على إحياء الإرادة للتغيير . وهذا الأسلوب يرسخ في الطفولة لأننا ، كما سبق أن ذكرنا ، نقبل الدنيا من حولنا وقبل القاييس والقيم الأخلاقية بلا نقد أو رفض . وهذه القاييس والقيم تنحدر إلى الكسفة (العقل الكامن) وتستقر كإنها العقائد التي استحالنا إلى عواطف أي أن لها قوة القسر . فإذا كان أحدنا قد تعلم من أمه بالقدوة أو الأمر أو النصيحة أو الإرشاد (والقدوة أهمها كلها) إن الجبن طعام سيء ، فإنه يعيش سبعين أو تسعين سنة وهو يكره الجبن ، لأن هذه العقيدة غرست فيه وهو طفل يعجز عن المعارضة والانتقاد .

وقس على هذا سائر الاستجابات والرجوع للعالم والأشخاص في السنوات الخمس الأولى . فإنه ، كما ينشأ الطفل وهو يكره الجبن ، كذلك ينشأ وهو يكره اليهود أو المسيحيين أو المسلمين ويشمئز من كفرهم استمزازاً عاطفياً حقيقياً . وكذلك قد ينشأ وهو يطمح إلى أن يكون جزائرياً أو طيبياً أو نصياً أو شرطياً . كما قد ينشأ على أسلوب الصراحة أو المواربة يهجم على المشكلة أو يحاولها . وقد تصير العجلة أو التأني أسلوبه فيصمت للتفكير أو يترك بالبدية . وقد يتعلم حتى منذ طفولته أن يعتمد على وجدانه بدلاً من عاطفته لأنه يرى هذا الأسلوب سائداً في البيت ، وإن كان هذا بالطبع قليلاً جداً .

ونحن نعيش في مجازتنا اليومية بالعادات . ومن شأن العادات أن لها صفة قسرية تشبه صفة العواطف بحيث إذا خالفناها تألنا أو أحسنا الضجر . وهي تشبه العواطف أيضاً من حيث أنها عفوية أي تسير عفواً بلا مشقة . وقد تكون العادة حركية أو الجاهدية . وعاداتنا الحركية كثيرة مثل التدخين أو ركوب البسكيت أو الايواء إلى الفراش في ساعة معينة أو النوم بعد الظهر أو المشي السوي أو الشاذ (بغيره معينة في القدم أو

السكينة أو نحو ذلك . ولا نستطيع تغيير هذه العادات حتى أن نكتب السكينة لا يعرف
كيف ينشأ في سره بها .

وهناك عادات اجتماعية تعين لنا مقادير مثل نوع الطموح الذي نهدف إليه أو الإيمان
الذي نؤمن به أو سائر عاداتنا الاجتماعية كالنعصب والسماع والروعة والاستقلال
واللوازم . . . الخ .

ونمارسها اليومية هي عادات في الحركة .

وبعد ذلك والتجارب هي عادات في الطاقة .

وكثيراً ما نطلب عادة الطاقة إلى عادة الحركة . فإن التعصب طاقة . ولكنه كثيراً
ما نطلب إلى نيل اليهود نصار حركة . والروضة عادة في الطاقة وقد انطبقت في أيماننا إلى
عادة في الحركة بالحرب الكبرى .

ولما . ما ربما نعيش في وسط اجتماعي واحد . فتعود العادات المتعارفة سواء أكانت
بالعقيدة والمثابة أي الاتجاه النفسي . أم بالعمل والممارسة أي بالحركة والاتجاه الجسمي .
ومن هنا ينشأ الأسلوب النفسي الذي نعيش به كأمة . ولكن مع هذا السارب لكل منا
اختلافاته التي تميزه . فهو أدن أو غادر . أناني أو اجتماعي . مروى أو استغلائي . لاجع
أو جبان . طموح أو خنوع . . . الخ .

وقد نشأ أصلاً بعاداته النفسية . عادات الحركة وعادات الطاقة . لأنه تسلمها من
عائلته في طفولته ورسخت فيه . ثم عاش في مجتمع يكرهها أو يجعل العيش بها شاقاً أو
مضراً . مثل أو ثقل الأكل من الأمهات اللاتي يحدثن إلى الزار لكي يشقن أبنائهن
من أمراض تحتاج إلى البسبيلين أو السولفاتلامية أو السكينين . ذلك لأن طبيعتهم أنه
صارت لها قوة العطفة وهي تصدها عن الوجدان الطبي العصري .

والعادات النفسية جميعها تنحصر إلى الكرامة وتضير لها قوة القسر وتعين لنا أسلوب
الحياة بالعمل والمثابة . وهي كذلك في الأمة كما هي في الفرد . وكثيراً ما تعكس الأمة
وحتى من السقاء لأنها ورثة عادات نفسية معينة لا تعرف كيف تتخلص منها لأنها توتبة
بعواصفيها كما توتبة الكراهة لكل سلبين بعاصفة الطفل الذي تعلم هذه الكراهة من أمه .
ونحتاج الأم إلى الكثير جداً من المناقشة العقلية والنظر الموضوعي لكي تترك هذه العادات
النفسية . وحتى هذا لا ينجح في معظم الأحوال . ولذلك رأينا كمال أباتورك وبعد إلى
العنف والبطش لكي يغير النفس التركيبية ويجعلها من نفس شرابة إلى نفس غريبة .

والإلام . كما لا نتردد . مركبات نفسية لها قوة القسر . وهذه المركبات هي عادات

نفسية صارت لها صفة عاطفية . ولذلك نفس سرارة ومضضاً عندما تدعون عند العزير فهمي بسا إلى اتخاذ الخط اللائقي . كما سبق أن أحسنا سرارة ومضضاً عندما دعانا باسم أمين إلى اتخاذ السفور وجهد الحجاب .

وواضح أن الأسلوب النفسي الانطوائى يختلف من الأسلوب الانبساطى . وأن هذا الفرق يعود إلى الميزات الوراثية لكل منهما . ولكن حتى هنا نجد أن للأسلوب الذى يفتأ عليه الطفل أثرًا فى المزاج الموروث ، فقد يعتدل الانطوائى بعض الشيء ويتجه نحو العادات الاجتماعية إذا كان قد عاش فى عائلة انبساطية . ويصح العكس كذلك فى الطفل الانبساطى . وكذلك قد يتألف مركب فى نفس الطفل ويصير له أهدافاً ووسائل ويكون له منها أسلوب نفسى لا يعرف كيف يتخلص منه فى المستقبل . وشكنا نقول إن الأسلوب النفسى كله يتألف فى السكينة ويرسخ ويتخذ صورة العواطف ولذلك يشق علينا تغييره . ولذلك أيضاً يعرف كل منا ونفسه بأسلوب نفسى خاص حتى أننا إذا كنا نعرفه بالاختلاط ، نجدنا نتكلم بسلوكه ونصرفه فى أى حادث معين .

أنظر إلى الأسلوب النفسى لطفل مدلل قد أحبه أبواه وعمرى كلاهما عن مستقبله شرط الحب . وكان وحيدهم بعد أن كابدوا موت من سبقوه وكانوا كثيرين . فلم يكن يشقى منها إلا ويحبه . ولذلك لم يجد الفرصة قط لضبط عواطفه . وأرسل إلى المكتبة كي يتعلم فصره ذات مرة المعلم . فلما وصل إلى منزله بكى واستبكى أمه التى أرسلت إلى المعلم وأغرته على الجثو وجاءت بابها كي يضرب معلمه وينظم . ولما انتهى الطفل من تنفيذ العقوبة فى معلمه كادت هذا بأن تقدمته جنياً للتعويض . وقد عرفت هذا الشخص وهو فى الستين من عمره وهو يكره الحين لأنه كان يكرهه فى طفولته . ولم يستطع استعمال وجدانه فى الانتفاع بعد ذلك بهذا الغذاء . وكان يعيش مع زوجته كما لو كانت أمه التى تدله . وعفى إلى سن السبعين وهو طفل كبير لا يحسن قراءة جريدة ولا يدرى بتطورات العلم . ولازمه أسلوب الطفولة حتى دعى مرة إلى غداء عند أجنبي فصرح على المائدة بأنه لا يحب هذا اللون المعروف . وكان أقصى طموحه أن يلبس ملابس الفخرة بأهله لأنه لا يزال طفلاً .

فهذا طفل مدلل لازمه أسلوب التمايل الذى تعلمه فى طفولته طوال حياته . وانظر الآن إلى طفل آخر مضطهد . فإن هذا السكين مالت أمه فتزوج أبوه غيرها التى ماتت عليه وحرسته مما يحتاج إليه الأطفال أو يشبهونه . وأدت هذه المعاملة إلى أن يستبط لنفسه أسلوباً للدفاع والنجود كان يتألف من الخش والوقية والغدر والخيالة إلى التبرير والتمويه . فكان يقرأ فى المدارس حادثاً فى كسب جنوداً، ولكنه كان إلى جنب هذا يفسد بين إخوانه

حتى يتركهم ، القسوة فسادة ، وهو بعد نفسه بالبرية الاشهادية ، و تترك ما أمسى إلساده
 إلى إلهاء زبائله حتى يجنونه ، و لازمه هذا الأسلوب طوال حياته حتى غلب أباه وحمله على
 تميزه في الترات على ما أثر إخلوله ، وفضي الألب حزنًا و أمسى على ما الترف ، كما استعمل
 هذا الأسلوب ، أي الخبث والغش ، مع أبنائه فهجروه و تركوه بعيدا عنات و حياء .
 هناك الشخصان ، أحدهما مدلل و الآخر مضطهد ، هما أسوأ الأمثلة للاخلاق السيئة
 التي تسود في أوساطنا المدنية . ولهذا السبب يجب أن نقول إن الآباء ليسوا على الدوام
 خير الأصدقاء الذين يمكن أن يوكّل إليهم تربية أبنائهم في السنين الخمس الأولى من
 عمر ، لأن تربيتهم على عدوان على أنفسهم و لغويج لأخلاقهم .
 وقد يؤدى التمدن ليعطى إلى أن يقع في جنون الشيزوفرنا ، أي أنه يطلق الدنيا
 ويعتزها بالغة بأخلاقه التي تعيد إليه راحة التدليل . وقد يؤدى الاضطهاد ليعطى إلى
 الاجرام ، أي أنه يعامل الناس كما لو كان ينتمى منهم .

تربية الأطفال

عندما نجد في عائلة واحدة خمسة أو ستة أطفال يتفاوتون في السن أو يختلفون في الزواج ، نجد استغراباً واختلافاً فيما مع أنهم إخوة يعيشون في بيت واحد أي وسط واحد ومع كثرة وراثته واحدة .

ولكننا عند التحقير نجد أنهم أولاً يختلفون في كنهياتهم الوراثية كما يعرف أي إنسان قد درس قوانين مندل في الوراثة . ثم ليس الوسط واحداً لا يختلف بينهم . فإن الطفل الأكبر أي البكر يجد من التمثل مالا يجد الثاني أو الثالث لأن الأول يتفرد بمناخ الأبوين وحبهما . وهو يصادف قبل ميلاده شوقاً إليه من أبويه لا يصادف مثله سواه إخوته . والأغلب أن تدليله يؤدي إلى فساده في المستقبل حتى أن الأوروبيون يؤلفون الآن الكتب في الأصول التي يجب أن تتبع في تربية الابن البكر خاصة .

ثم يختلف الأطفال أيضاً من حيث أن أحدهم قد يكون وسيماً والآخر نحلاً ، يوجب الأول وبكرة الثاني على الرغم من المحاولة المزعجة من الأبوين لمعادلتها بالسواء . وقد تكون هناك طفلة وحيدة بين أربعة أطفال ذكور فتعجب أيضاً لأنها وحيدة . وقد يعامل الابن الأصغر بالتدليل الذي كان يعامل به الابن الأكبر . ثم قد يموت الأب أو الأم فيعيش بعض الأطفال يتجا مع أمه فقط أو مع أبيه فقط أو مع زوجة الأب أو زوج الأم . وفي كل هذه الحالات يتغير الوسط ويختلف بين طفل وآخر من الأخوة . ويتغير الأخلاق ويختلف أيضاً . وخاصة في السنين الأربع أو الخمس الأولى من العمر .

وقد يدلل أحد الأطفال لأن أبويه ينصرفان عنايتهما عليه لأنه وحيد . ثم يأتي آخر أصغر منه أو مثله . فيتمزج مع الأول عن مكانه بعد أن يكون قد اتخذ أسلوباً قد تعين له بسلوك تدليل أبويه له . وهو يطالب عندئذ ، من أبويه ، بأن يتغير . ولكنه لا يستطيع . وعندئذ يصطدم بأبويه وبأخيه الجديد . وهو يقاوم بأساليب الأطفال أي تعاند أو يشاغب أو يخوض أو حتى يبول في فراشه كي يجذب أمه إليه بعد أن أهمله والفتت إلى أخيه الآخر . ثم توسخ هذه العادات فيه عندما يشب لأنه يجد أن مظلوم وأنه لا يجد العناية التي

بمستحقها من العقاب كما - تجدنا من أبويه ، لأنه يعامل الجميع كما كان يعامل أبويه .
وأحياناً نذكره الأم بعض أبنائها أو بناتها ، لأن الطفل قد نأى وهو غير مطلوب
حين لا تجدى الشرائع لعمل أو حين تكون قد أهملت الأم في اتخاذها . فالطفل الجديد
غيبه الصادى مكرره ، أو هو قد يكون نسباً ، أو هو قد يجد نفسه منذ السنة الأولى
مع زوجة الأب العربية لأن أمه ماتت أو طُقت ، وفي هذه الحالات يكره الطفل بدرجات
تختلف من حوته إلى أحياناً مضطهد . ويقاوم هو هذه الكراهة وهذا الانطهاد بالسلب
الأمثال أيضاً ، فيعمد إلى التكرار الصغير أو الانحراب عن الدرس أو الاحتجاز لأنه يجد
الانفراد أروح لنفسه من الاختلاط بوسط هذه الكراهة . ثم توسع هذه العادات فيه عندما
ينسب . وأحياناً يؤدي الانطهاد والتسوء إلى أن ينكسر الطفل ويرضى بالهزيمة والضعف
ويعيش على هذا الأسلوب .

وهناك شيء نستطيع أن نسميه الدراسة السيكولوجية . ذلك أننا ننامل الرجل
في الحميمين من عمره نعرف على كمال مدلول أم مضطهداً في طفولته ، وهل عاش مع زوجة
أب تكرهه أم مع أم تعبه وترعاه . كما أن من السهل أن نعلم الشكوة أو الوقاحة إلى
أحياناً البراعة والتنبه والشاط بتركيب نقص . وكثير من الناس يسيل عليهم لتعليل بعض
الأخلاق بنوع التربية .

ويعنى بالتربية هنا جميع ما يحصل عليه الطفل من قدوة في الأيوخ ومن إرشاد
بالأجراء أو الزجر . ومن تدريب على اتخاذ سلوك معين . ومعنى السلوك النفسى قبل
السلوك الاجتماعى . لأن الأول أئمت إذ هو يحدث للنفس ما يضارع أو يقارب الغرائز
الطبيعية كاللذات أو الشهوة . والشجاعة أو الخين . وكراهة بعض الأطعمة ، والعقائد
الدينية . فقد وجد مثلاً بالتدريب أن النار التى يعود الانتصار على خصمه فى القتال
تكتب فيه عادة الشجاعة فتجابه خصومه من الضرائق بهما كانت قوتها . وكذلك العكس .
أى إن النار الذى يدرب على الخزيمة تثبت فيه عادة الخين فلا يقوى على معالجة خصومه
حتى ولو كانت دونه جرمياً وقوة . فالتدريب أى تمرين الطفل على عادات معينة ، عادات
الطاقة بالاتجاه . وعادات الحركة بالعمل . فبما لا تنكر فى تكوين أخلاقه بل سلوكه
النفسى . ذلك يجب فى التربية ألا ننسى أن تعودده النجاح فى الشئون الصغيرة .

وهنا قد تثار العقوبة ونسبها للطفل . فهل يجوز لنا أن نضرب ونعير ؟

الصحيح الذى تنبئه السيكولوجية أن الطفل بنزجر إذا عولب أى أننا نستطيع أن
نكده ونمنعه عن فعل شئ بالعقوبة . ولكننا لا نستطيع أن نعيره بالعقوبة على أن يؤدي

عملاً . ومن هنا تجدى الحظوة في منع الطفل من ضرب إخوته أو من اللعب في الغراب مثلاً ولكنها لا تجدى في حماه على المداحة .

ثم أذكر مركب النفس في الأطفال . فانه إذا كان في الطفل بارزاً تعدية الظهور أو العور في العين أو الساق القصيرة أو الشهوة الفاضحة . احتاج إلى عناية كبيرة . ومن الحسن أن يستشار خبير سيكولوجي في هذا النفس . أما إذا كان دون ذلك فلا يستحق الانتباه .

ومن الحسن أن تتعدد الاعتمادات عند الطفل . وأن تكون له عواية أو عوايات تتعلق بها ويتفق عليها من فراغه ويرضى أبوه بأن ينفق عليها أيضاً من ماله . فإن في هذا تنقيحاً لكتاباته وتوسيعاً لأفاده النفسية والذهنية . وهو عندما يبلغ المراهقة ويواجه الضغط الجنسي . مع الخوفان الذي يطال به المجتمع . يستطيع أن يجد في هذه العوايات والاعتمادات ما يخفف عنه هذا الضغط . فيجتاز هذه الفترة الخطرة بسلام .

ويجب أن يذكر الآباء أن التربية تنسب من البيت . لأنها عادات تنسب وسمات اجتماعية . فلا يمكن المدرسة أن تعود الصبي أو الشاب الشجاعة أو الكياسة . ولكن الآباء يمكنهم هذا بالقدوة والتدريب . وقد ينظر القاري أن تقول إن المدرسة لتعلم . وهي كذلك إلى حد ما . ولكن التعليم أكبر من المدرسة والجامعة . ولأنهما تعطي المواد والمعارف ولكنها لا تفرس عادة التعليم بالذهن الحر الفتح . ولا تيسر الآفاق التي يجب أن يأخذ أحدها مكان الآخر عند الإنسان التطور في مجتمع متطور . لأننا يجب أن نعلم طوال حياتنا وأن نتخرج كل عام تخرجاً جديداً من جامعة الحياة إلى أن نموت . والآباء هم خير من يفرس هذه العادة .

وليس هنا مقام النقد للمواد في المدارس أو الجامعات . فإن هذا الموضوع يستحق كتاباً مستقلاً . ويستطيع القاري أن يقرأ كتابي . التقشف الذائق أو كيف نربي أنفسنا . إذ يجد هناك الأسباب الذي يحتاج إليه هذا الموضوع .

وأخيراً . لو قيل لي ما هي الجملة التي يمكن أن نعد شعاراً لنظرية الحسنة لأجبت : اعط أطفالك أقصى ما تستطيع من حرية مع أقصى ما تستطيع من رعاية الحب الوجداني . ولكن تجنب التدخل كما تتجنب الاضطهاد لأن كليهما يؤدي إلى الفساد بل إلى الاجرام . وتجنب القسوة لأنها تمنع الطفل من الاشكار والاختراع وتفرس فيه الجبن ثم تصد في المستقبل قسياً مع أبنائه .

تجنب التدخل لأن الطفل المدلل كثيراً ما ينهي إلى الانتحار لأنه لم يدرب على مواجهة

الصعوبات . ولذلك سرعان ما تنور غزيرة أمام اليهود النفاق . ويجنب قريب الطفل
 لأن الضرب يهينه جباناً ذليلاً ينشأ في إحجام ونوردد وخجل . وهو يعرف تلك أنت الأب
 الرجل الأول . وسوف نفيس الرجال على ما لديه منك . فإذا كنت قد أحضرت فانه سيخاف
 الرجال ويخجل ويتراجع ولا جرؤ ولا يضع . ولا تخلص بناء الطفل . فقد يرجع إلى التماسك .
 ولكن إذا لم تكن العناء برعل على الإرادة اللينة فتلا تفنى هذه الإرادة التي ربما تكون
 في المستقبل سبب فواحته . وإذا يكون في عناد الطفل بذرة الثائرة عند ما يبلغ السنين .

وأغشاء الأساليب في تربية الأطفال كثيرة :

فإن الأم . طبيعتها . يجب أن تربط أطفالها بها . فتتألف في حياتهم وهي لا تدري أنها
 بهذه الأساليب تؤذيهم . لأنهم يعتقدون بها أن لهم ما يجب . ويكرهون الخروج والابتعاد
 ويهابون الغرباء ويتشاورون على عادة الأسفل من غيرهم بدلاً من الاستقلال .
 ومن المألوف أيضاً أن يعيش الطفل مع أمه نحو خمس أو ست سنوات وهو يأخذ
 دون أن يعنى . وينشأ على هذه العادة . لأن من حقته في التبع أن يأخذ فقط . والتمسح
 بصلته ويصدمه لأنه يطلبه أن يعنى . وهو يتنفس ويعد نفسه بظلال هذه الحال .
 ولذلك يصاح الأطفال جميعهم إلى أن يكسوا حذاء أو خدعة الماء من بعضته حتى يشاءوا
 على الأكل والعطاء معاً ونسب على الأكل فقط .
 والأم عادة تطرى طفلها عندما يؤدي حذاء حسناً ونوجهه بذلك وجهها فاقبله فيزاد
 ثقة ويشفي الأسوء والأعبارات والتمسح بها من سرور أو أمان في نفسه . ويجب على الأم
 لذلك أن تطرى العمل أو نفسه بدلاً من أن تطرى الطفل أو لنفسه . لأنه بذلك يوجه
 وجهه موضوعه نفسه .

أسلوب الحياة : من العبارات التي يجب أن تذكرها دائماً في تربية الأطفال . فإن
 لكل منا أسلوباً سيده حين يكون في الحسنيين أو السيئين من العمر هو في الأغلب استعداد
 لذلك الأسلوب الذي تعلمه من أبيه . أو زوجة أمه . في السنوات الأربع الأولى من العمر .
 فإذا رأيت مثلاً زوجة كثيرة الغيرة للعب وتخدم عندما تجد زوجها يتألمب سيده أخرى
 فتنب أن هذا الأسلوب قد تعلمته وهي طفلة قبل أن تتم الرابعة من عمرها . تعلمت أن تلعب
 وتخدم عندما كانت تجد أمها ملقطة إلى أخيه وتعنى به بدلاً من أن تعنى بها هي . وكانت
 أمها تستطيع أن تعالجها من هذه الغيرة لو أنها مثلاً كانت تعطيها الرئاسة وتوزع الخلع
 وتكسبها بذلك ثروة تغنيها عن الأثارة والاستثار .

والطفل المدلل الذي تعود العدوان بلا خوف يبنى على هذا الأسلوب وهو في السنين
من عمره يمارس العدوان والخطف ولا يبالى مصلحة الغير .
والطفل المصطهد الذي ضرب وحرم في طفولته . مع زوجة أبيه . سينشأ وهو يعامل
كل فرد من أفراد المجتمع كما لو كانوا جميعهم يتلون زوجة أبيه . يعاملهم بالهجوم والحبس
والوعدة والدم والكره . أو هو قد تنكسر ويتردى بالهوان وينفصل من المجتمع .
وقدس على هذا . أسلوب الحياة الذي يمرنا عليه في السنوات الأربع الأولى من أعمارنا
يبقى سائر حياتنا . ولا نستطيع أن نغيره إلا بمشقة كبيرة جداً .

سيكولوجية الدرس

نحتاج في حصرنا إلى الدرس . والإنسان الذي يجول القراءة ولا يقنئ الكتب ولا يعرف نحو علم من أئمة أخذ . أي معنى . هو إنسان يداني يقف في نصف الطريق بيننا وبين القدرة من بعده أقرب إليها منا .

نحن نعلم في حصرنا لا لكي نحرف ونرتزى . كما هو الاعتقاد العام . بل لكي نقرأ الجريدة كل يوم ونقرأ الكتب ونصل بأفكارنا بالبرائل ونجادل بلغة الكتب التي تزودنا بالآلات للتعبير . ونحن نعلم لكي نعيش . لا لكي نرتزى . ولكي نسو . وأخيراً لكي ننقل ما علمناه إلى الحياة بحيث ترتبط المعارف الجديدة بأفكارنا النفسية .

وهناك التعلم الآلي الذي نراه في الطفل القبطي يستظهر الترائيل القبطية في الكنيسة ولا يدري معناها . وفي الطفل الهندى المسلم يستظهر القرآن ولا يفهم كتابته . وهذا الدرس إلى . ويجب أن نحذر حتى لا نكون سائر معارفنا من هذا الطراز . والواقع أنه ليس قليل منها بعد في هذا الطراز .

هناك معارف لا تتصل سيكولوجياً بحياة الشخص الذي يدرسها وليس لها مغزى في حياته . وهي لذلك عبث عند تعلمه على كراهة الدرس أو إهماله . وإليك هذه الأمثلة :

- ١ - الخواص أي السلطنة البحرية تبيض على الساحل .
- ٢ - السرطان الذي ينطق لخليل الجوز يبيض في الماء .
- ٣ - القبطي خمس أصابع .
- ٤ - الحشرة الخشب في جزيرة كريستوس ١٩ زوجاً من الأرجل .

لينا أربع خفائن يقرأها القارى يقول : ما المغزى ؟ ولماذا أهتم إذا كان لهن الحشرة ١٩ زوجاً من الأرجل ؟ وهو صادق في هذا الاعتراض . وهذه المعارف لو كانت استظهارها كانت آتية لا تسع بها . ولكني أنا أهتم بها لأنى اهتمت بنظرية التطور منذ أربعين سنة . ولكل

حقيقه من علمه الأربع مغزى في هذه النظرية ، لأن الحياة كانت من حيوان اليابسة الذي نزل إلى البحر ، ولا تزال أولادها تحتاج إلى اليابسة ، والسرطان يجرى الأصل ولذلك لا يزال ينقر في الماء ، والقطب على الرغم من أنه يعيش في الماء إلا أنه هو حيوان يابسة في الأصل له خمس أصابع مثل جميع حيوانات اليابسة كالإنسان والبقرة والغزال . ولغيره هذه الحشرة التي تأكل الخشب في جروها . كريستس كانت في الأصل كالجيزري الذي لا تزال له ٥ زوجات الأوجل . وجميع هذه الحقائق توضح الطريقة المتأخرة وبين الأمثلة العضوية بين الأحياء . فلها قيمتها الكبرى عندي . ولكن ليست لها مثل هذه القيمة عند غيري .

وعلى هذا الأساس يجب أن نكون كل دراسة عضوية . وعلى هذا الأساس أيضاً يجب أن نعد البرامج والكتب التعليمية في المدارس والجامعات والثقافة عامة ، فيجب أن نسال : ما هي القيمة العضوية في مجتمعات الحاضر هذا الكتب أو لهذه المادة الدراسية في المدارس الابتدائية الثانوية أو الابتدائية أو هذا الاتجاه التقني في إحدى الدرجات ؟
فالقاعدة الأولى التي تتبعها في كل دراسته للفرد أو المجتمع هي أن تحصل على الدراسة اتصالاً عضوياً بهذا الفرد أو بهذا المجتمع .
في تدريس يجب أن نهتم . والاهتمام هو لمره هذا الاتصال العضوي الذي ذكرناه . وإليك هذه الأمثلة :

- ١ - شاب في سن المراهقة يهتم بقراءة كل ما تحصل باثغو الجلسي . ورجل في سن الأربعين أو الخمسين لا يهتم بهذا الموضوع .
- ٢ - شاب يخشى عدوى التبرن لضعف حفيظ أو وعي في رتبته يقرأ كتاباً عن الدرن . وغيره السليم يرفض قراءته .
- ٣ - في مدة الحرب تهافتتنا على قراءة الصحف . وقد نقرأ بعض الكتب عن هتلر وتشيتشل . وفي أيام السلم لا نجد مثل هذا الهبات .
- ٤ - في الأزمات السياسية الاقتصادية لكثير النظريات وسعود كل منا اقتصادياً أو سياسياً . وفي غير الأزمات المؤدى الضائقة إلى ركود .

فهنا ظروف أربعة جعلتنا هم وأدى الاهتمام إلى الدرس أي أنه وجدت عندنا عاطفة الاستطلاع فلو وجدت الرغبة في الدراسة .
ولكن ماذا تفعل إذا وجدت سائلاً را هذا لا ينبغي للدروس ؟

بأن نرى إحدى قوانينه أي يبحث عن شيء مكتوم في نفسه ثم يردده إلى دراسة الفصل .
أوصلا خصوصا بهذا الشيء . ونسأل ما مفهوم غنقة تجد الحيل أو التخلف في الدراسة .
القاعدة الثالثة للدرس هي أن نعلم أي نعمل الدراسة لتصل بمواظبة وتقوية .
وكما أننا لا نأكل ونهضم كسبا إلا إذا اشتبهنا الطعام . كذلك يجب ألا ندرس إلا إذا اشتبهنا
الدراسة . لأن كل شيء ندرسه بلا اشتباه يبرهان به الله فتكون دراستنا عظيمة . وليست
الدرس لوحة فنيغرافية يكتب فيها كل ما يمر بها ، إذ هي في الواقع اختيارية . فليست أستطيع
أن أذكر حادثة مضي عليه ثلاثون سنة ، ولا أذكر ما حدث أسس لأن الحادثة الأولى
من آثار عظيمة قوية ثابتة . بل أحيانا ينبت أكثر مما يجب كما يحدث في ذلك المزارع
الذي يزرع القمح يقرأ بذكر مظلة عذبة قد سر عليها ربع قرن . أما الحادثة الثانية فلم
أنتبه إليه لأنه لم يصلح بعاطفتي . والسيان هو نشاط إيجابي يولد منه ألا تزدحم الذاكرة
بشيء ليس لها قيمة خصوصية لنفس .

القاعدة الرابعة للدرس هي أن نشبهه كما نشبه العدة الطعام .

وقد دلت في ذاكرة العدة والنظم فيجب أن نذكر أن الذهن يحكم كذا تنظم العدة .
ولذلك يحتاج صحت النسبة أن تكون الوجبة الذهنية غشيلة حتى تجد الوقت للنظم والتفصيل .
وكما أننا لا نستطيع أن نأكل في يوم ما تكفيها أسبوعا كذلك يجب ألا ندرس في يوم ما نكن
نحس في دراسة في أسبوع .

وعلى هذا يبدأ يكون من الأفضل ، إذا أردنا مثلا استظهار بقصد تحتاج إلى ساعتين .
أن نقسم هاتين الساعتين على يومين مثلا من جمعها في يوم واحد . لأننا بهذه الطريقة
تصبح للذهن الهدوء والتفكير .

القاعدة الخامسة للدرس هي أن نجعل الوجبة الذهنية خفيفة وألا نجعل بين وجهتين
حتى لا ننسى .

ونجب أن نعرف أنه ليست لنا ذاكرة واحدة بل ذاكرات عديدة . لنا ذاكرة للإنشاء
والأخرى للصور ، والأخرى للأسماء ، والأخرى للغة العربية ، والأخرى للغة الفرنسية . . . الخ
وهذه الذاكرات لا تبادل ، فإذا لعبت في المذاكرة الحساب فلا يكون هذا إلى أن في المذاكرة
العربية . ومن هنا لا نستطيع أن تقوي الذاكرة بمادة معينة لأن تحول إلى الرياضيات
أو الفلسفة أو الفقه أو الطب أو الاجتماع أو الجغرافيا أو
الزراعة ، أو نجد هذه المذاكرة أية فالله . وقد تحدث قليل من المتأخرين في هذه الذاكرات .
ولكنه قليل جدا لا يؤبه به .

وهذا حسن . لأنه إذا كان هناك تداخل لما استطاع الشاب الذي تعلم الكتابة بالكتاب أن يعرف على الشبان . لأن أمانيه التي تعلمت الدق على الآلة الأولى يجب أن تتسام عند ما يلقى على الآلة الثانية .
للقاعدة الخامسة للدرس أن المراتب التي تحصل عليها في مادة ما لا تنقل إلى مادة أخرى .

وعند ما نتعلم لغة أجنبية أو حتى لغتنا تعرف أننا نقرأها بسهولة ولكننا نكتبها بصعوبة . فالقراءة هنا معرفة راحة سليمة . والكتابة معرفة حاملة إجتماعية .
لذا نقرأ كتاباً فلن نكون معرفتنا به بالقدر الذي نعرفه به إذا عدنا إلى التخصيص مثلا .
لكن للدرس يجب أن يكتب المخصصات . وتفسير هذا سهل . فانا حين أقرأ لتصل عني ولساني . ولكنني حين أكتب لتعمل عني ولساني ويدي . ثم حين أقرأ لا أزل أي مجهود للاستمرار . ولكنني حين أكتب أبتدر .
للقاعدة السادسة للدرس هي أن أزيد الكتابة على القراءة .

والسبب الدخلى في الدرس أو العجز عن حصر الانتباه في بؤرة تعود إلى أسباب مختلفة . منها :

أنا نخرجنا في الدرس وبين بدنا موضوع لا يتم . كأن يحدث أنك تترك كتاباً خطاباً أو نكتبه أو نريد مقابلة . ننسها . أو كنا نقرأ قصة وننتقل إلى متابعة قصود . أي أن في النفس كظم يحتاج إلى التفريغ . ولكن يجب ألا نقطع هذا التشتت بالاصطداد الذي يحسه أحياناً في بداية الدرس . لأنه يكون عادياً في كل شخص . وعندما نخرج في الدرس يزول .

وأحياناً نفس ثقيل على معدن . وهو يدل على أننا نرغب في الحركة أو الترويح أي أنه قوة مدخرة كالخصان الذي يتقفل في موطئه يريد العدو والانطلاق . وهذا الثقيل كظم . وهو كثير عند الشبان .
للقاعدة السابعة للدرس أن نتخلص من الكظم الناتج .

وهي هي أحسن الوسائل للدرس :

— أن نجعل الدرس مادة في أوقات معينة حتى لا نعتمد على مجهود الإرادة ولكن على معدن الساعة .

- ٦ - أمكن الأولات للدرس هو الصباح لأن القوة متوافرة . ولأن أحلام الليل قد خفت الكظوم الماعدة بالأحلام حتى حين لا تذكر هذه الأحلام .
- ٧ - أحياناً يكون الدرس مفيداً في المساء لأنه يجمع إحصاءات النهار . ولكن ليس هذا ليكن الناس لأن هذه الإحصاءات قد تكون مشقة .
- ٨ - نوم القيلولة يشد في الدرس لأننا نكسب به صباحاً آخر تتوافر فيه القوة .
- ٩ - لسوا الأولات للدرس هو من الساعة الأولى والساعة الرابعة بعد الظهر لأن النفس والجسم في المرحاة .
- ١٠ - يجب أن يحذر النفس الأخير في الدرس . أي يجب ألا نحمل أنفسنا على الشدائد بعد التعب والإعياء . فإنا ننجح في تحقيق هذا الشدائد ولكن العاقبة انهارت نفسى حتى نالقاعدة العاشرة للدرس هي أن يكون عقب النوم صباحاً أو عصرآ . وأن نجعله سادس مع تجنب التعب .

كل درس جدي متعب يحتاج إلى حضانه في مدة افقيه واتقيل . وإذا كانت المشقة التي ندرسها ساه قد تبلغ الحضانه أسبوعاً أو شهراً . وفي هذه المدة الطويلة نستعين بالكلمة (العقل السليم) الذي يستثير اخباراتنا الماضية فنستفيع بها . ولأننا ننظر إلى المشقة من نواح مختلفة أو كأن جملته أشخاص يعالجونها معنا .

فالقاعدة التاسعة للدرس هي ضرورة الحضانه لكل درس جدي .

من شأن المواد التي ندرسها أن تعجز مكاناً معيناً . فقد ندرس قواعد النحو مثلاً . ومع أننا جميعاً نعلم بأن الغاية منها هي الكتابة الصحيحة فإنا لا نلتصق بها مهما ألقنا أصولها بل إننا نشغوا إلى الدالة الكتابية .

وهكذا الشأن في كل دراسة . يجب أن نقلقها من حيزها التعليمي الضيق إلى الحياة . ويجب أن يكون هذا النقل الامتحان الحقيقي لكل مادة ندرس على هيئتها إلى الحياة أم تبقى معارف محظرة في رءوسنا . ويصدق هذا على الفرد في ثقافته الذاتي وعلى المدرسة والجامعة .

فالقاعدة العاشرة للدرس هي ضرورة الاتصال بين العقل والعمل أي بين الدرس والحياة . ولا تحلة لأي تعلم يفتقر هذا الشرط .

التحليل النفسي

مبتدع التحليل النفسي هو فرويد . وكان يندرج إلى الأمراض النفسية التي تحدث
أعراضاً جسدية . ولكن بؤرة الاهتمام انتقلت الآن إلى أمراض النفس فقط مثل : الخوف .
الشك . الخجل . كراهة العمل . القسوة . الحب الشاذ . إدمان الخمر . الخ . . .
كان السيكولوجية قد قنعت بمعالجة الأخلاق وأغفلت إلى حد ما تلك الأمراض التي تحدث
أعراضاً في الجسم كالغايك الكاذب وغيره .

ويجب على كل إنسان أن يعرف كيف يحلل نفسه أي يجب أن يعرف نفسه وأن
يسير الأعناق التي تحرك نشاطه أو تمنع هذا النشاط . ولكن يجب مع ذلك أن ندرك
أن التحليل هو تحليل أي تفكير وتفسير . قيمته سلبية تلطف بها وقت المرض النفسي .
ولذلك نحن في حاجة ، بعد التحليل والوقوف على العلة التي تمرضنا ، إلى أن نؤلف شخصيتنا
من جديد . لأن التأليف هنا هو البناء أي هو العمل الإيجابي . أي أننا نشفي أنفسنا
بالتحليل ثم يجب أن نعود إلى التأليف لكي نكون شخصيتنا من جديد تكويناً جديداً .

ويجب أن نذكر أن خير من يحلنا هو شخص آخر محايد . ولكن إذا تعذر هذا
فلا بأس من أن نحلل أنفسنا . والطبيب العضوي لا يعالج مرضه بل لا يعالج مرضي زوجته
أو ابنه إذ يلجأ إلى طبيب آخر منظر بوجوده . لأن عندما أعالج نفسي أو ابني أسبق على
أن أنظر بالوجدان الصحيح وكثيراً ما أساق في تيار العاطفة أو المركبات النفسية السالبة .
ما هو الأساس للاختلال النفسي ؟

هو أن تيار العواطف والدوافع والكظوم وبعضها مخاوف مكتوبة يصدمهم بالواقع .
وهذه العواطف والدوافع والكظوم تقضي علينا وتحتبس في الكلمة أي العقل السليم
ثم تصوغ سلوكنا وتوجهه وجهات فاسدة أو هي تترك بنا ثورة الانفجار الذي يؤذيها .
والفرق بين السليم والمرض على كثير من الناس ويعني أكثر على أمراض نفسه
لأن كل ما يجهد أن عواطفه حادة وأن أفراده لا يبالون بشيء ببائيا هو كثيراً . وأن
الهم الذي يفتاب صدقه ساعة يلزمه هو أليماً بل شهيراً . وقد لا يلاحظ هو كل ذلك .

الغضب مثلا هذه الأشياء : الشك ، التكلم ، الخوف ، الظهارة ، الاحترام ، التلويح ،
الاعتراف ، التذمير ، التذكيرات البعيدة .

إن الشخص السليم يشك ، وقد يعاود عمله لكي يتقن بأنه على ما أراد أن يكون .
ولكن المرض ملازمه الشك في كل ما يعمل تقريباً ، وهو يجد أن المعاودة هي أولى والطمانينة ،
هذه المعاودة هي مرة متكررة .

أو النظر إلى التكلم . إذ من منا لا يجب أن يؤدي عمله كاملاً ؟ ولكن المرض
يرفض عملاً ما لأنه يفتنى ألا يكون كاملاً . فهو عقيم . وهذا العلم يصغره عنه نفسه
بعض الخوف والاحترار .

أو النظر إلى الظهارة . فكلنا جمعاً نحس النظام ، بل أحياناً نفساً أليفاً إذا سطت
على أحد تشابه في نظامه . ولكن المرض يجد رغبة فورية في أن يغسل يديه نحو عشرين
أو ثلاثين مرة في اليوم بل في الساعة .

وذلكت الشك في التلويح والتم والتشاور . فإن السليم يحس كل هذه الأشياء من وقت
لآخر . وهو يغلب عليها بوجدانه إما لأنه يعلمها أو لأنه يهملها إذا ما يومه خلا ، ولكن
المرض يجد أنها ملازمة ملازمة فورية لا يستطيع التخلص منها . وهذه الصفة الفورية تعمله
إلى شخص عظيم لا ينفع نفسه ولا غيره ولا يؤدي عملاً مقبلاً .

وهذا هو السوروي أي اعتماد العواطف السلبية وملازماتها بصفة فورية . وعندنا أن
أصلها يرجع إلى الرغبة في الطمانينة ، أي أن الخوف ، وهو العاطفة الأصلية في الطفل ،
قد أخذ صورة أخرى أصبحت تضار عاطفة محبته لا تفرج للمرض . وهي اتخذ صورة
التشاور أو التم أو الشك أو الظهارة الخ .

والشخص السوروي هو صورة لا ركونورية للشخص السليم . أنظر إليه وهو يغسل
يديه مرة العشرين لأن أحد الناس قد صاح له ، فإن يديه قد تهرأتا بالصوابون ومع ذلك لا يزال
يحتاج في رغبته إلى التنظيف والتطهير . أو النظر إليه وهو يغسل عينيه لأن فلاناً قد أخأله في يومه ،
وأنه مال له كذبت يده عليه هو بكنت . وأن الحق عليه . وأنه هو قد حبل كره ما يجب
على الرجل السليم الشريف ، وأن وأن . . . مع أن هذا الحادث قد مضى عليه أكثر من
عشرين سنة وأن هذا الشخص الذي بنعت عند قد مات ، فكل ما يستطيع أن نقوله
هنا إن عاطفة الغضب قد احتضنت عنده وصارت ملازماتها فورية .

ولكن ما الغاية من هذا الاحتمال وهذه الملازمة ؟ لماذا لا يترك هذه العادة ويصعد
إلى عمله ويبحث في شئ أمثاله ؟

١ - انسى بعيداً ، كما يقول أدلر ، أنه يعتمد بهذه التكريرات العقيمة إلى أن يجد شيئاً ،
 ومع به نفسه ويقرر أنه يتبع به غيره ، كي يبرز تعطله أى هربه من العمل والأزواج .
 فالنيوروزي الذي يشكو ألم أو الشاؤم أو التذكرى العقيمة يعني ، من حيث لا يدري ،
 أن يوجد الراحة الزائفة في التعطل بأن يقيم من هذه الأشياء غائماً عن العمل ، فهو يفر
 ويلجأ إليها كما يفر السكير إلى الخمر أو كما يفر أحدنا من وقت لآخر إلى أحلام المستنصر .
 فإذا شاء أحداً أن يحلل نفسه فعليه أن يجيب على هذه الأسئلة :

١ - ما هي الغاية التي أقصد منها إلى الخمر ؟

هل هي أن أهرب من همومي ؟ ولماذا ، بدلاً من ذلك ، لا أحل هذه المصوم بوجودي ؟

٢ - ما هي الغاية التي أقصد منها إلى التطهير وإشاعة وتلي في غسل يدي ؟

هل هي أن أهرب من العمل الذي أرتق منه ؟ ولماذا أريد الهرب ؟ هل لأنني أكره
 زوجتي وأطلب لها الخوج والبؤس ؟ أو هل لأنني وقعت في هذا العمل المكروه وبني أماني
 نفسي حب لعمل آخر ؟

٣ - لماذا أضع وجهي في الشاؤم وما هي الغاية التي أقصد إليها منه ؟

هل هي أن أعدى نفسي وأقيم الحجة أمام إخواني بأنني لولا هذا الشاؤم لأهرب
 عملاً مفيداً ؟

وبن جبهة الأسئلة تحاول أن تجعل الوجدان (- التعقل والمنطق والنظر الموضوعي)
 يأخذ مكان العاطفة العقيمة أي النيوروز والفتنة الموهجة تأخذ مكان الغموض العاطفي .
 نعم يجب أن تزيد على هذا بأن تبحث :

١ - أحلامنا في النوم وأحلامنا في اليقظة في خلف على الاتهامات النفسية التي توجهوا
 على غير دراية منا أي تلك الكفول المخبوءة في كامننا ، لأن الحلم يوضح سكارهنا ونفوسنا
 ونفادنا ويكشف لنا عن سر وكننا التي انطوى عليها الكمننة .

٢ - الأسلوب الذي تعينه في طفولتنا ، هل من أسلوب الخوف والحبس والبراميل
 أم أسلوب الشجاعة والتفائل ؟ هل كانت زوجة الأب التي عشنا معها قد انتصبت
 لمفعلتنا نواجه الدنيا بالخطر والشرف والحبس والزينة في الترقى ؟ ثم انتصبت هذه الصفات
 فصارت لناؤماً عاماً أو إيجاباً من المجتمع أو أسلوباً للحياة ؟

٣ - فعل هذا الأسلوب كان تدليلاً من أم قد أسقط في الحب وأسلمته إليها به ، حتى
 إذا كبرنا وجدنا أن المجتمع لا يعاملنا كما كانت تعاملنا هذه الأم بالتدليل الجزع ، ومن

عندما اجتمع الناس من جميع منى صدياتهم باستسغار ثباتنا وبأنه لا شيء يورثنا الخ .
 هـ - هل أنا انصوائى لسلط بطيمنى إلى الافراد ولكنى مضطرب إلى الاجتماع فأجد
 على الدوام ظروفنا مكرهة أفر منها ؟ أو هل أنا انبساطى يعاجلنى السرور أو الحزن
 بلا مبرر ؟

هـ - ما غير مرئىب النفس الفنى عندى والذي ربما كان بوجه سلوكى من حيث
 لا أدري ؟

وهذا أن أتردد كل هذا وننتهى من التحليل يجب أن أعود إلى التائب أى يجب أن
 أؤلف شخصيتى من جديد لأضع يرأسها نزوة لدى مبرراً بعد تشير وعاملاً بعد آخر . وعلى
 أيضاً أن أستمع على الوجدان دون العاطفة وأن أداوم التساؤل عنه كل مشكلة : هل أنا
 وجدان أم عاطفة ؟ فإذا لم ينجح كل هذا فعلى أن ألتجأ إلى سيكولوجى مؤتمن ماهر .
 وعلى القارىء أن يذكر أن المسيحي الذى يعترف فى الكنيسة على السجدة يحسد
 الزمعة عقب الاعتراف . لأن هذا الاعتراف له أنرج عن الكلام ، يكون مبعثاً به . كأن
 يكون قد ارتكب خطية عظيمة وطأها على ضميره . فلما اعترف انزعج الكلام . وعلى هذا
 الأساس يجب أن المرض النفسى حين يقصد إلى الطبيب السيكلوجى يتعد إليه فى استرخاء
 ويروج بكل حمومه ويقول ما شاء من القصص الدرامية الخييلة . وهو يروج بهذا اليوح .
 وإذا لم يجد هذا المرض . السيكلوجى الذى يستطيع أن يوج له كظلمة ، فعليه أن
 يكتب تاريخ آلامه ويعدد الحوادث التى يعتقد أنها كانت سبباً لمرضه ويشرحها . وهو فى
 هذا العمل يجد الراحة لأنه وهو يكتب . يعترف . ثم وهو يعترف . تفرج كظلمته .
 والكتابة عن نضل الكلام من ميدان العاطفة الغامضة إلى ميدان النطق الواضح
 فيضرك الكثرة .

التأليف أهم من التحليل

الشخصية فرويد هي أصح شخصية في السيكولوجية العصرية ، إذ هو كواكس الذي كتف الأرض الفهيولة وخططها ورسم معالمها . وهناك عشرات من النحات التي تجري على ألسنة السيكولوجيين تعزى إليه في معانيها ومبانيها . ولكن ، لأن هذه الشخصية ضخمة ، فإنها تلقى ظلها على كثير من حقائق هذا العلم الجديد وتحويل دون التور الذي يزيد الفهم والمعرفة . ذلك أن كثيراً من الباحثين في هذا العلم يسمون رهبة عند مجرد ذكر اسم فرويد ويسلمون بكل ما قال كما لو كانوا يسلمون بعقيدة موروثية وليس برأى يحجب وينتقى . فمن ذلك عقيدة مراتب أوديب . ومن ذلك أيضاً هذا الاهتمام الجي بالتحليل النفسي دون التأليف النفسي .

وليس هناك من يشك في قيمة التحليل وضرورته كي تعرف الكظوم والنورات وانغافوا المختبئة في النفس حين تتلوى وتنسلل في طرق معوجة إلى الخروج والبروز فتشوه الشخصية وتأذيها . والفضل في كل ذلك لفرويد . ولكن فرويد في تأكيده لضرر الفادح الذي يحدث من الكظم قد حملنا على أن نتكبر من شأن الحرية والانطلاق بالاستسلام للرغبات والشهوات والنزوات . وهذا الاتجاه يؤدي في النهاية إلى إضمار الفوضى على النظام والغرور الطارئة على العقل البصير والاسهتار على التحفظ . ويدعي أن فرويد ما قصد إلى هذا ولكن تأكيده لضرر الكظم كثيراً ما جعل لارته على هذا الاستنتاج .

ولكن الكظم ، في حدود معقولة ، مفيد . لأنه بخار محبوس إذا أحسن صاحبه التصرف به استطاع توجيهه لعمل النافع على أنه عاطفة تعرك وتدفع وتنشط وليس الطامع والآمال سوى كظوم تبعثها فينا الوطء الذي لا ترتضيه .

وعندما ننال التحليل النفسي نجد أن قيمته كبيرة لمباحث الذي يقود بالتحليل . ذلك لأنه يزداد توسعاً ونهماً كلما تعمق في التحليل . ولكن قيمته للمريض ، أي لمكالم المتوتر المتلوى الشاذ ، ليست كبيرة ، إلا إذا كان هو أيضاً قد استحال إلى عار نفسيولوجية

مشغوف بالبحث . ذلك أن المربص يحتاج إلى التأليف أكثر مما يحتاج إلى التحليل .
 نستطيع أحياناً أن نعمل التحليل ولعمد مباشرة إلى التأليف .
 اعتبر رجلاً يدين التدخين أو الشراب أو هو قد انصرف في سلوكه الجلسى أو قد
 وقع في قسوة اختربتها كمنته كي يخلص بها الواقع ويلقي به . ففى كل هذه الأحوال نحسن
 كثيراً إذا أخذنا من التحليل بأمله ومن التأليف بأثره . أى بدلاً من أن ننظر للمواطن
 باعتبارها سرية معوجة عادت سابق إذا نحن كشنا عنه للمريض قبله إلى وجدان جديد
 لنفس من اعوجاجه . بدلاً من هذا التحليل الضيق ، نعود مباشرة إلى هذه العاطفة المعوجة
 نفسها . أى أننا ننظر إلى الاعوجاج النفسى باعتبارها عادة عاطفية سيئة أو فجوة نفسية
 سيئة . ونضع بأن نغير العادة السيئة بعادة حسنة أى نطلب من المريض أى البناء
 على المعوج أن يتغير في أسلوبه النفسى .
 ونحن في سلوكنا العاطفى نعود عادات سيئة . وكما أن هناك رجلاً يسوق أوسيله
 سيئة سيئة بعادات سيئة له وآخر يسقى في سياقه بعادات سيئة سيئة له . كذلك
 هناك من استل في الدنيا مواطن عادات عادات حسنة أو سيئة . والتربية الحسنة هي
 في النهاية لحرس العادات العاطفية الحسنة .

الغريب هذه العادات التي تعين لنا سلوكاً نفسياً :

السكينة ومن الاضطراب	وخد غذا	التهيج ومن الاضطراب
الاناقة عند الغضب	» »	الاندفاع عند الغضب
السياسة في المواقف الخطرة	» »	الخيار في المواقف الخطرة
التعاون والحب في المعاملة	» »	المباراة والتعاند في المعاملة
الطيلة على الشعب والسام	» »	الفرار من الشعب والسام
الاستئناس عند الحديث	» »	التجهيز عند الحديث
حب الترتيب والنظام	» »	النبيل إلى الفوضى
الاستيعاب بالذات	» »	التشاؤم بالذات

ومعجب أننا حين نربي مواطننا نحتاج إلى التكلم . ولكنه كظم غير مرقى لأنه
 يهيم حريشاً بعض الشيء . ونحن نعتاده ونحتاج إليه . لأن المجتمع لا يطبق بنا أن نعامله
 بخلق حريشاً أى مواطننا الحرة . ونحن نكسب بهذه القيود الصغيرة (قواناً عاطفياً) بوسر

لنا العمل في جميع مضمون كثير القصور أي جميع غير نظري . إذ أننا لا نعيس في القابة ولا نستطيع أن نستسلم لمواظفة الحرة .

ولذلك يجب أن نعمل التأليف النفسي في القام الأول نهدف منه إلى إيجاد عادات عاطفية جديدة لا نستخدم بالاجتماع . والهدف الأخير من التربية هو تكوين الشخصية التي تتألف من عادات عاطفية اجتماعية حسنة . ونحن لنا أن نقول للبرفس أو الشاذ أو العوج إن حالته السيئة هذه ترجع إلى عادات عاطفية سيئة نحتاج إلى التعبير من أن نقول له إنها ترجع إلى مركات سيئة نحتاج إلى التحليل المعجب الذي يتقلب وما يتقلب وجاتي الأحمالي . وننصرف على ذلك مثلاً :

رجل له اعتاد الشراب في المساء حتى زاد أن ينفذ صعد ويقرر أهله . وعند التحليل نجد أن الذي أوقعه في هذه العادة زوجة سافرة خوجة قد جعلت البيت حافلاً بالوان العذاب المادية والمعنوية لهذا الزوج بحيث صار عندما يعود في المساء إلى البيت عرس ضيقاً وقراهد والهمماً منشأها بالطبع تلك الكظوم التي يعلتها فيه هذه الزوجة . وهو يجد في طريقه الدواء التي الخمر التي يفرج بها عن هذه الكظوم فينبش من الكأس وهو سرتاح ويدخل بيده مسروراً .

لماذا عمدنا إلى التحليل النفسي اضطررنا إلى أن نوضح لهذا الزوج مقدار التعاسة النفسية التي أحدثتها زوجته له . وقد يكون لهذا الاضاح عاقبة سيئة في العلاقات الزوجية بينهما . ولكن إذا تركنا التحليل وعمدنا إلى التأليف فأننا نعمل له الشفاء دون أن ندرس فيه مركات سيئة ضد زوجته . كأن نبحث له عن عمل أو نشاط في المساء يصبح أن يكون أو يقارب هواية يشغف بها وتشغله عن الخمر . كالانضمام إلى أحد الأندية أو تنشيط الضيافة في منزله حتى يجد من الزائرين المحبوبين ما يربطه بالبيت . أو عمله على أن يتناول غذاءه في الساعة الخامسة من المساء حتى إذا أصبح ذات معدته مثقلة في سببها الشراب فتغيب عنه . ونحن هنا نعوذه عادات جديدة نبحث فيه عواطف جديدة يرتاح إليها دون الحاجة إلى الخمر . وهذا بالطبع لا يمنع النصح للزوجة وتبصيرها على الأفراد . أو اعتبار شاباً مراقباً قد وقع في العادة السرية والغمس فيها إلى حد الضرر . فإن التحليل هنا يكاد يكون عظيم . ولكن التأليف منبه . فأننا مثلاً نهي له جواً اجتماعياً يحرمه من الانفراد الذي يتيح فرصة الهارسة لهذه العادة . وأيضاً تساعد في دروسه حتى يسر بالانجاء . لأن العادة السرية كثيراً ما تنشأ من الاعتماد للتخلف أو الفشل في الدروس . والشاب يلجأ إليها كي يركمه عن نفسه ويسرى عنها هذا الاعتماد . فإذا أقمنا له النجاح

تعم خاص من إلهام هذه العادة عليه بفضله . أو نعلمه على الرياضة في نادٍ جيد فيه الأبرار والحدود والبركة والتعاون أي أننا نوجهه وجهة اجتماعية بدلاً من الوجهة الانفرادية الانعزالية التي القس فيها وأصبح جزءاً من العادة السرية . بل كذلك الرقص يؤلف شخصيته من جسمه ويعمله على التفكير الاجتماعي الحسن . ونحن بهذا قد نربي مواطنه ونكسبه أسلوباً جديداً لسلوكه ينقل به من الانفرادية إلى الاجتماعية ومن المرض الجنسي إلى الصحة النفسية . وهذا هو ما نغني به من عبارة المؤلف النفسي الذي يجب أن يأخذ في كثير من الأحوال . مكان التحليل النفسي .

وأرجو القارئ ألا يلهمه أي استعصاف قيمة التحليل النفسي . ولكي أجد من ناحية أنه شاق جداً ، إلا في حالات نادرة تكون استثنائية حين يهبط التحليل مصادفة على حلم في النوم أو الرقعة تكشف فجأة عن العقدة أي التركيب الذي أدى إلى المرض أو الشذو أو القلق . وكثيراً ما يسأم المريض من طول المدة التي يحتاج إليها التحليل . وقد يبعثه السأم على تركه . ومن ناحية أخرى أجد أن هناك انتاعاً بأن التحليل هو الألف والياء مع أنه ليس كذلك . لأن المريض في كثير من الحالات بعد أن يعرف العقدة السببية التي انتهت به إلى حاله لا يستطيع أن يبرأ من هذه الحال لأنه قد تعود منها عادات عاطفية تقسبه يجد هو نفسه فيها لسراً لا شك منه ، لأن للعادة قوة كبيرة . ثم هناك شيء آخر يجعل فائدة التحليل مقصورة ، هو أن المريض الذي ينتفع من التحليل يجب أن يكون مستميراً لادراً على التعقيد بل لادراً على أن ينسحب . وهذا المريض لادر بالضعف . وكثيراً ما أحس عند ما أجد قوة العمق التي تحاول أن يتعمقها المفلول أني أحب أن أقول لك السكسة التي قلنا لسحق الوصل على ما أفطن . لقد وجد شاعراً بعمق في المعاني ويعقدتها وشمها كاله يضع منها شبكة أو تيباً فقال له : « الشعر أسمر من هذا » .

أجل . إن النفس البشرية أسمر من هذا ولا تحتاج إلى كل هذا التعقيد . وحسبنا منها أن نوجه ولؤلف ونعين الخطط لبناء الشخصية المفككة . ونحن بهذا نجد السرعة التي نحاج إليها كما نجد الاستيثار والخفاصة بين المريض .

الزيف الجنسي

يشيع الأمراض النفسية في الأفراد هو برهان على أن المجتمع نفسه سيء . لأن هذا الشيوع يدل على كثرة لا يعلّقها الأفراد ولذلك يفعلون ضحايا لها بالشذوذ في البيوروز ثم السكوز .

والزيف الجنسي هو كل شيء عند فرويد مؤسس التحلل النفسي أي أنه يعتقد أن كل نوازعنا وأسرافنا تقريباً تعود إليه وإلى ما أحدثت من مركبات جنسية بين الطفل وأمه . وهو يرى أن الاشتباه الجنسي بغير الطفل حتى وهو يرضع . ولكن هذا الاشتباه عنده ليس مركزاً في بؤرة كما هي الحال عند الكبار . إذ هو معمّم بينهم يشيع في أنحاء جسم الطفل . فهو يرضع مثلاً فها يشبه اللذة الجنسية كما أنه يفتد الاحتكاك .

وبعداً الشهوة الجنسية تتجمع عنده في بؤرة هي الأعضاء التناسلية حوالي سن السابعة . انتقبة هذه الأعضاء . وأحياناً يسوء حظ الطفل فيقع مثلاً في يد خادمة تزيد لديه بالعبث بهذه الأعضاء . وهذا التنبه يؤذيه عندما يبلغ الرابعة عشرة أو قبل ذلك حين تعود نفسه إلى هذه الذكرى التي تركتها له الخادمة فيقع في العادة السرية .

وفي سن الثامنة والثالث عشرة تقريباً يعيش العصبي حياة غير جنسية . ثم يبدأ في المراهقة . والتنبه الجنسي بغيره بقوة وبطش حتى لا يعرف كيف يتصرف . وهو لا يجد النصيحة أو الأرشاد ولذلك يحار ويأخذ في مباشرة تجارب جنسية شاذة . يقع في الشذوذ من هذه السن لطغيان العاطفة الجنسية والحرمان الذي يلاقيه في الوقت نفسه من الجنس الآخر . والفصل بين الجنسين في مجتمعنا . بل في كل مجتمع آخر تقريباً . هو السبب لهذا الشذوذ . ولذلك يقع في العادة السرية أو يتعرف إلى الصبيان الذين في سنه أو أصغر منه لعرفاً جنسياً شاذاً .

وهذا التعرف الشاذ هو . كما قلنا . تجربة الحرمان . حتى أن كثيراً من الحيوانات . وخاصة القرود . تعرف وتمارسه . ولكن هذا الشذوذ يزداد إذا ازداد الحرمان كما هو

الشاهد في الأمم الشرقية حيث الفصل بين الجسدين من التقاليد الشرعية . والأدب العربي
على ما بلغه بالعراق والعراق هذا السبب .

ولننظر أولاً إلى العادة السرية . فلها تشويع بين ٥٠ في المئة من الشبان أو أكثر .
وهي تبدأ في المراهقة حوالي سن ١٠ و ١٢ . وأولئك الذين تلبث عندهم العاطفة الجنسية
حوالى سن ١٥ أو ١٦ يعمدون لها بسهولة أكثر من غيرهم أثناء المراهقة . ولعلنا نعلم الشيء
عنا أن العاطفة مثلاً قد لعبت بالطفل في هذه السن المبكرة فمؤثره على التحسن أو التدهور
في نفسه لا تترك هذه العادة تبعاً إليها في المراهقة . والشباب الانطوائى يقع في هذه العادة أكثر
من الشباب الانبساطى . لأن الأول يؤخر الاعتزال أو الاختلاف . ولا سيما يساعد على
تأخره هذه العادة . كما أنه يسلم خواطر البغلة وهي تزيد العاطفة الجنسية . وشر
من الشبان يعيثر فيه بين ١٠ و ١٥ . كما لو كان في المراهقة فمؤثره له عالم آخر مؤثر
من أعلام البغلة التي يتلها ويغرس فيها وهو يعود عن الواقع .
وإذا كان الشاب يمارس العادة السرية في اعتدال فلا خطر لها . ومعنى كلمة
اعتدال أنها لا تزيد على ثلاث مرات أسبوعياً . أما إذا زادت فذلك يجب أن يعالجها
بالوسائل التالية :

- ١ - أن تكسب هذه الشاب المثابرة على هذه العادة بحيث تأمنها ويصرح
بكل ما يعنى .
- ٢ - أن يبالغ في ضرر هذه العادة حتى لا يسهل الخوف عنده فيزداد فحده . لأنه قد يبرأ من
العادة ثم يقع في الفتن ويتأخر عليه الأوهام والنواوس بشأن صحته الجنسية وسلامته العينية .
- ٣ - أن يخلصه على اهتمامات وهوايات كثيرة تشغل فراغه . وأن نستعمله بالمال
في شتى الكتب لقرأ . ونقصه إلى السجالات والخراف . ويعلم الموسيقى أو الرقص أو
الالعاب الرياضية ويتقن أجازة أسبوع أو شهر في بلدة أخرى وغو ذلك .
- ٤ - أن ينفق له نشاطاً اجتماعياً لئلا يجد بحيث يتقن معظم وقته وهو مع غيره فلا يجد
الفرصة للانفراد إلا قليلاً . لأن الانفراد يهيئ له الخواطر الجنسية التي تدفعه إلى ممارسة
هذه العادة .
- ٥ - الرقص مفيد في هذه الحالات . إذا كانت الظروف الاجتماعية تسمح به . لأنه
يعيد الشاب إلى الواقع ويمنع الاسترسال في الأغيلة الجنسية . وقد وجدت أياً أن الشاب

غضب الرأى يترك هذه العادة لما يحس فيها من خسة ودناءة وما يجسد في الرأى من شناعة ورجولة .

٦ - يجب أن نذكر أن هذه العادة تتفاد عند الشاب وقت الاغتيم والفترة الطبيعية مثلاً في الامتحان . وهي تضعف وقت النجاح والسرور ، لأنها لذة عابرة تخفف من الغم والاضطراب أو الكرب النفسى . ولذلك يجب أن نساعد الشاب على النجاح ونكسله استشارة بالمستقبل .

وحوالى من السابعة عشرة يخف إرغاف العاطفة الجنسية بل هي قد تستحيل إلى استطلاع جنسى سليم أو إلى استطلاع ثقافى أو اجتماعى أو علمى . وهذا حسن .

وهناك شذوذان آخران يقع فيهما النسان :

أحدهما الالتفات إلى الصبيان . وقد ثبت هذه العادة وبقى إلى ما بعد الزواج فحدثت أذى فادحة في العلاقات الزوجية . كما أن العادة السرية قد تقود أيضاً وبقى إلى ما بعد الزواج . ولكن الأغلب أن الزواج يحوط هذه العادة ، أما الاتصال بالصبيان فكثيراً ما يهجر الزواج عن عيونه من النفس . وقد يكون لهذا الشذوذ أصل عضوى أى أن مرجعه ليس نفسياً فقط .

والشذوذ الآخر هو التعرف إلى البغال . فإن البقى الذى تشترى منها اللذة بالشذوذ تعامل بغير حياء أو صداقة أو احترام . وذلك يرجع إلى ما يتركها الشاب وهو مشتمل . والعادات الجنسية تثبت في النفس . ولذلك عندما يتزوج هذا الشاب تعامل زوجته بالسرعة والحرولة التى كان تعامل بها البقى . ففسد العلاقة بين الزوجين .

وعبارة تثبت في النفس ، يجب أن نلف عندها قليلاً في حديثنا عن الزنج الجسمى . فقد يعود الشاب مع الفتاة التى يغشى على عذريتها . عادات الاحتكاك الخارجى ونحو ذلك إلى ذروة الشهوة الجنسية بالاحتكاك فقط تثبت هذه العادة فيهما . والفنيات تقع في هذا . التثبيت . أكثر من الشبان لأنهم يخشون الحمل فيعودون الاحتكاك الخارجى ويسرعون إلى إشعارهم من الاتصال الجسمى التام . وهذا زنج له عواقب السيئة الفادحة في الزواج . بل قد تقع الفتاة في « تثبت » آخر هو أنها تجد اللذة والمتعة في العازلة بالحديث والتقبل والتجملى وتقف هنا ولا تنتقل إلى مرحلة أخرى بل ترفض في استمرار هذه المرحلة الأخرى . وقد زادت القصص السبائية هذا الاتجاه في الفتيات لأن القصص تنهى عن الشاة ، بعد جهاد الصبين ، إلى القبله . فإن القبله هي المرحلة الأخيرة مع

أولاً . في النظام النسبي الجنسي . ليست سوى إحدى الدرجات . وبذلك تعود المغالطة عند
الفرد على مدى أو من أو غير الأسباب . أي أنه يحدث . ثبت . في العلة .

وأفاد الأعراف الجنسية هي العلة أي العجز عن التعارف الجنسي . والعلة في المرأة
جسود لا أكثر . أي أنها تحلف الموقف السلي في التعارف الجنسي وسكها مع لا تمنع . أما
في الرجل فالعلة لعجز عن إتمام التعارف الجنسي . وهذه الحال أسباب كثيرة :
١ - تدبير في أوجها ابتداء العادة السرية مدة طويلة . لأن هذه العادة تجعل
بعدها رائف الأغصان والخواطر الجنسية حتى ينتهي إلى الفوز من الزواج . ولكن ليست
هذه الحال حصره كله . بل كان ما ينشئ هذه العادة عقب الزواج .
٢ - وكذلك ابتداء الصبيان لم يحصل صاحبه على العجز عن التعارف الجنسي مع
أوجهه . وهذه العادة أثبت من العادة السرية . وأحياناً لا ينشئ صاحبه إذا كان السبب
عضوياً وليس نفسياً . ولكن هذا الذي يتعسر شفاؤه لا يبلغ وأحياناً في أثناء من هؤلاء
الزائعين النشويين .

٣ - يجب العلة لأن الحب يفتقد على السهولة . وهذا الكلام غريب على
الغزالي . ولكن قد لا من التأملي بوضوحه . فإن العروس قد تكون فائقة في الجمال وعندئذ
عجز العريس فإنه بعددها . وهو عندئذ يرفعها فوق هذا . العريس . أي الاتصال
الجنسي . فإنا نشأنا على أن التعارف الجنسي نجاسة وأن الشهادة تقتضي تجنيد . ولذلك
عندما يلمس الطبيب بضعف الأنثى وقد تحدثت العلة لذلك . والعلاج سهل جداً . وقبول
من الإرشاد من أحد السخوحيين يزيل هذه العلة . ويحسن أن يكون هذا قبل الزواج .
٤ - ويجب للمرأة أن تودد العريس قبل الزواج وتغيره في اختيار الزوجة . هذه أو
ذلك . بعدان عند اليوم بادامت حثالة حيرة . وهي تزول فوفاً أي عندما يستقر على رأي .
٥ - يحدث بالتزوج عقب الزواج سنة أو عشر سنوات أو أقل أو أكثر أن يصاب
أحياناً بالعلة . وهذه الحال تعود إلى قراعة قد اضطرت في الكهنة كان النفس تخرج على
هذا الزواج مسكروه أو تفضل بالعلة لتجنب الزوجة وإغاثتها . وكثيراً ما تكون الزوجة
بصرفها السيئ . مستفونة عن هذه الحال .

هذه هي أهم الأسباب هذه الحال التي بعدها العريس خطيرة وهي في أغلب الأحيان
في غاية الساطة والسهولة .

لا تزال هناك بعض ملحوظات بشأن هذا الموضوع نفسيًا للقارىء بلا ترتيب : الرجل أقدم من المرأة على الحرمان الجنسي ، لأن اهتمامه الكثيرة تشغله . ولكن التزام المرأة لبيتها يجعلها على اجراء الحواضر الجنسية في أحلام اليقظة . وفراغها كثير ولذلك أحلامها هذه كثيرة . ثم إن الجنس السوء وحس وأسوة عند المرأة وهو أبل بالسطح من ذلك كثيراً عند الرجل . والتغير الكبير الذى يعقب انقطاع الحيض عند المرأة يدلنا على أن جنس قلة نسولوجية لها أكبر من قيمته عند الرجل .

يحق مجملنا المرأة على أن تتجنب التفرج الجنسي . وهذا شأن كل مجتمع سديد . مع أن الحال ليست كذلك في الرجل . وهذا المنع أكر سولوجى آخر لأنه ينتقل من التخصص إلى التعميم . فكم أننا قد رأينا أن الخيرة في اختيار الزوجة تحدث عنه قبل الزواج عند الشاب كذلك يؤدي هذا المنع عند المرأة إلى التكافؤ في النشاط بينهما يكن نوعه وإلى تحفظها الاجتماعي .

الحرمان الجنسي مجهود كبير جداً . وهو يشبه مجهود الصائم الذى يفكر في الطعام سادام جائعاً . بالمجهود يترج الأخطا الجنسية أكثر من المتزوج . وقد يقال إنه ينبغي بعد مدة طويلة هذا الاجترار الجنسي . ولكن إذا صح هذا قد حدث الضرر . لأن الحال الطبيعية السليمة أن الرجل لا يصبح أن ينسى المرأة إلى حد الاستغناء التام ويجب لهذا السبب أن ينظم اجتماع بحيث لا يطول هذا الحرمان الحرمان بشر اليوموزى أكثر مما يضر السلام

وهناك بالطبع مشذوذات جنسية أخرى أقرب إلى الاجرام منها إلى المشذوذ . كالرجل يشرب المرأة ويشو عليها إلى حد الموت تقريباً كى يؤدي الاتصال الجنسي . وقد يقتلها في هذا الاتصال . وعندما تشمل الاتصال الجنسي عامة نجد أن فيه شيئاً من القسوة لأنه في صميمه عدوان . والمريض النفسى يبالغ في هذا الاتجاه حتى تصبح قسوته قتلاً أو تعذيباً بدلاً من أن تتخذ الصيغة الأولية كالعص أو الأيلاء الخفيف . وهذه القسوة تسمى « سادية » وأحياناً تنعكس الصيغة ليكون الشذوذ رغبة في التألم . وهذا ما يسمى « مازوكية » كأنى يطالب الرجل أن يشرب قبل الاتصال الجنسي . وهذا الميدان الجنسي يختصب للمشذوذات الكثيرة . كالمجنون الذى يفتح القبر كى يفسق بشاة ميتة . . . الخ . وهؤلاء المشذوذون يسمون « سيكوباتيين » أى أنهم سويون عقلاء في الحياة العامة ولكنهم مشذوذون في هذه النقطة أو تلك (أنظر فصل الشخصية السيكوباتية) .

النظر السيكلوجي للأجرام

النيوروز هو نظم لا يفرج يفسق به الانسان كالغيره أو الخوف أو الفلق أو السوء
أي أنه جنون العاطفة .

والسيكوز هو تفريج غفلاً زائف فكظم السابق الذي تقام حتى صار نيوروزاً لا يستطاع
تعمله . ذلك أن السيكوزي يصرع أسطورة يسكن إليها أو خيالات يربح إليها . فذهب عنه
الكفوم التي لا تكن بطمها . كآلام التي ترونها إليها . فهي بين السيكوز التي لا تطاق
علي هو غايه أم لا ؟ وهي أم ميت ؟ فعاثتها في عذاب وتزني لا يعاقب . وهذا هو
النيوروز . وفي ذات صباح تجد أنها قد احتفظت وهي برتاحة ساكنة إلى لحالات جديدة
وأساطير لذيذة بأن إليها قد عاد وقابلها يوم أمس وتحدث إليها وأنه يحضر هذا الساء .
وعندئذ بعد السيكوز جنون العقل الذي حل محل النيوروز أي التوتر العاطفة وجنونها .
والأجرام بعد . من الناحية السيكلوجية ، تقريباً فكظم سابق . أي أن الجرم نيوروزي
ضالقي مثلاً بغيره . أو بالأحرى ، بعونه . يجد أن حاجاته أكثر من مقتضاته . فهو نظم قد
احتلت في نفسه أعضاء أو توترات مختلفة تعالجه بالتفريج . وتغير الجرم بلجاً إلى
الجرم مثلاً فتخرج . وغيره بلجاً إلى أعمال البفلة فتخرج أيضاً . ولكنه هو بلجاً
إلى الجريمة .

ومن هنا خطوه من الجميع . والأجرام ، بهذا الاعتبار ، بعد سيكوزاً . ويجب أن
يعد انعاجه السيكلوجية . ولكنه ما زلنا نعالج الجرمين بقانون العقوبات وهو قانون عاطفي
وليس وجداني .

والمتأمل أن الذكاء في الجرمين أقل قليلاً من المتوسط العام أي أن من مائة .
ولكن الأجرام لا يعود إلى نفس الذكاء لأن هناك آليات من الأفراد دون الثالثة أي دون
المتوسط . ومع ذلك يعيشون العيشة السوية في الجميع . ولكن سبب الجرمية هو الكظم
الذي لا يجد منفجراً إلا بهذا الانزعاج الاجرائي . والله سبق أن قلنا إن الجميع الحسن هو
ذلك الذي تقل فيه الكفوم ولا تقام حتى لا تؤدي إلى الجنون أو إلى الأجرام . ومن

هنا نعلم أنه حيث يكون الجرمان المالى أو الاقتصادى أو الجنسى أو النفسى نجد الاجرام وعلى قدر هذا الجرمان يكون الاجرام .

وقد سبق أن قلنا إن ضمير الإنسان في مجتمعا مؤلف من ثلاث ذوات :

- ١ - الذات البيولوجية الغريزية التي نشأت بها الطعام والأذى والسيطرة الخ .
- ٢ - الذات الاجتماعية المؤلفة من التقاليد والعادات الاجتماعية .
- ٣ - الذات العليا التي تلتزم وتنصر وتؤلف من الدين والأخلاق والمثلات .

وواضح أن الذات الأولى هي أربع وأربع الذوات في ضميرنا لأنها هي الذات الطبيعية الأولى أي الذات الحيوانية الكسنة وهي لا تكاد تقبل تعذيب أو تعذيبا . ولذلك يؤدي حرماننا من الطعام أو الأذى أو السيطرة إلى الاجرام . وثمة السيطرة هنا تعني أسبغ تأثيره للحصول على المال والقيام بالوجهة والشعور بالرغبة في الانتقام عندما نجد الإهانة أو الخذل من مملكتنا الخ . وعند ما نكون تحت سلطان الخمر أو أي مخدر آخر تسيطر الذات البيولوجية وتقمذ الذات الاجتماعية والذات العليا . ولما نعرف مثلا أن المجرم يلجأ أحيانا إلى الخمر كي يحمي أو يثبت هاتين الذاتين الأخيرتين . وهو ينجح في ذلك . فيعود منسوب الشراب وليس به سوى الذات البيولوجية يسيث سلوك الحيوان .

وكي نلقى الجريمة يجب أن :

- ١ - نحصل على توفير الخدمات للذات البيولوجية بالحداد نظام التكافل الاجتماعى فلا يجرع أحد لأنه تعطل بل ينظم المجتمع بحيث لا يكون به تعطل بشا . وإذا وجد ، وهذا نفسه موضح . فإنه يجب أن يؤدي تعويض التعطل على تعطله حتى يبعد العمل . وكذلك ينظم الزواج بحيث يكون مستقاعا حوالى العشرين من العمر . وليس هذا دائما إذا سمحنا لتعليم الفتاة حتى تعمل إلى جانب زوجها عملا كسبا وإذا سمحنا وسائل منع الحمل حتى لا يرهق الزوجان في سن مبكرة بكثرة الأولاد . وليس في العام أمة متمدة تهمل في أساسا التكافل الاجتماعى . فإن الدولة تعنى بالصحة والتعليم والتغذية التلميذ في المدرسة وهي تزوى المرض في المستشفى وتؤدي تعويضاً عن التعطل وتمنح الحامل أجرة كسنة في الأسابيع الأخيرة لحمل وعقب التوقع كما أنها تمنح المسنين معاشاً الخ .
- وإذا التكافل الاجتماعى يلمح الذات البيولوجية ويبعث الطمأنينة والرضى فنقل الجرائم .

وإلى الآن لا يعرف مصر هذا الشكل . ومن يتفحص نه تميز بالشوكة من المستعربين أو من البله والغفلين .

١ - يجب أن يفل التفاوت الاجتماعي (الاقتصادي) بين السكان حتى يصل التكتم . فلا يعيش الإنسان بثلاثة فروع في اليوم ويعيش آخر بمائة منه في اليوم كما هي الحال في مصر . وإلى أكثر هذا أجور الكنايس الموثقين في الغالب البلدة في بعض مدن أوربا إلى جنب أجور الوزراء . نبي في السنة (من إحصاء ١٩٠٠) :

في لندن : الكنايس	١٤٥	جنسية	والوزير	٥٠٠	جده
في برن (سويسرا) الكنايس	٢٢٣	"	"	١٦٠	"
في كوبنهاغن (دنمارك)	١٥٠	"	"	٩٠	"
في ستوكهولم (سويدي)	٢١٠	جنسيات	"	١٣٠	"

وواضح أن هذه التفاوت هنا تؤدي إلى الفوضى . في حين أن عظم التفاوت عندنا بين مرتب الوزير وأجرة الكنايس في المجلس البلدي يؤدي إلى السخط أي التكلم بالاجرام . والمقارنة هنا رسية لأنها تقصد منها إلى أن هناك آلاف الأفراد الذين يحصلون على مراتب رئيس الوزارة وملايين الأفراد الذين يحصلون على أجرة الكنايس . والاجرام يقع من الأفراد المنخفضين الكنايس بين هؤلاء الملايين ولا يقع من أولئك المرتفعين الراخين الذين يحصل كل منهم على نحو عشرة جنيهات في اليوم .

٢ - ويجب أن تتوفر الاهتمامات للشباب والفئات . وعندى أن الفرق في أغلب الحالات بين الشخص الطيب الذي لا يأكر نفسه بالخدمة والكلم ثم ينتهي بأفاده الناس وبين الشخص السيئ الذي يجري الأبداء هو أن الأول كثير الاهتمامات المذيدة التي تملأ نفسه وتشغل ذهنه فتبديد أفعاله وتشتت نظومه . وقد يكون هذه الاهتمامات سلبات مخيفة عند البعض . وهي تضر هذا الشخص الذي تمارسها لأنها تعثر ذمته ومباهه وإن كلف تنعه من الأذى . والمجتمع الحسن هو الذي يربي لأفراده الاهتمامات العالية النافعة كالاهتمام بالكتاب والحريصة والآداب الرفيعة . والتجربة على التواضع والسجدة الخ . التي يجب على المجتمع الحسن أن يساعد الذات الاجتماعية والذات العليا على أن تتوفر لها وسائل الحياة والقوة .

٣ - وواضح أننا لا نستطيع أن نهيئ القدوة والأرشاد هذه المطلوبة ، لأن الاجرام قد يكون في النهاية أسلوب عاطفي تعلمه الطفل من أبيه ولا يستطيع الإفلاج عنه .

وهم صائب كمالاً ، اللسان المتدبّر التي أضعفت ذليّة نشأت معها وأخذت بأسلوبها ، ذليّة في كل شيء إلا عبادة الوجه . ونسبت إنسانيتها الفطرية حتى القوام تغير فصارت تعبر على أربع كالذئبة . وأذكر عند الطفل المذلل الذي لا يطيق التعارض من أمه ويأبى إلا أن يسلط على غيره وتكون له الحكمة الأولى . وما يؤدي هذا إلى عناد قاتل . وأذكر الطفل المضطهد وألوان الخبز التي تعلوها في مقارنته كي يبنى بها هذا الاضطهاد . وهذا الأسلوب الذي تعلسه كل منها يعين معه سائر حياته ومؤذيه كما يؤدي الخبز . وهنا يجب أن نذكر أن بعض الولايات المتحدة تعد « العود » في الجريمة في عائلة أخيرة وليس في شخص المجرم وحده . وذلك لأنها تجد أن عائلة المجرم مسئولة عن إجرامه وأنه أخذ بأسلوب الجريمة منها .

والخلاصة أننا يجب في معالجه الجريمة أن نستبدل الطبيب السيكوجي الاجتماعي بالفنان الجنائي . ويجب أن ندرك أن المجرم لا يولد بل يورثه بيئة متوتر النفس في غير حق أو حتى لا يعترف به المجتمع (أنظر فصل الشخصية السيكوباتية) .

• كي نفي الجريمة يجب أن نتجنب في لوحة الطفل تدليله أو إخطاؤه . ويجب ألا نسأم من تكرار ذلك .

الشخصية السيكوباثية

حين نتحدث عن الاعترافات الجنسية أو عن الأجرام باعتبارها نيوروزاً أو سيكوزاً نجد أننا نلاحظ أولاً تعجز عن أن نصوص شراً من الاعترافات الأخلاقية في عالمي النيوروز أو السيكوز .

ذلك أننا نلقى بناس كثيرين يعيشون في المجتمع ويسمعون بالكرامة والوجاهة أو التراء والمركز ، فعندهم فتجد العقل المتزن والاعتدالات السياسية أو الاجتماعية . هم عائلات يعولونها وأولاد ينمون بتسليمهم وغير ذلك مما يدل على الحياة السوية الخالية من الشذوذ . ثم فجأة يوماً ما بأن هذا التوجيه الذي كنا نعرف فيه أخلاقاً سوية وانزاهاً تنسأ إلى روحاً كريمة قد ضبط في جريمة الشذوذ الجنسي مع صبي قاصر . ثم تبث التحقيقات أنه عريق في هذه الجريمة التي مارسها منذ عشرين أو ثلاثين سنة ، وأن له عادات تنبع في الشذوذ الجنسي مع الصبيان . وقد استطاع أطوال هذه السنين أن ينفق جرائمه لأنه لا زال مسمماً بانزاهه يستطيع التكيف الحسن .

ثم نجد لغيره مدوداً آخر مع البغايا كأن يضربهن ويؤلمهن بما يسمى السادة أو بطلب هو أن يضربه ويؤلمه بما يسمى المازوتية .

ونجد غيره منهم إلى الجنس الآخر ويتكف السكليف بالافطد كي يصل إلى غايته . حتى ولو انقضت هذه الغاية خيانة أصدقائه وعرض عائلاتهم لشتت عندهم لتفطح علاقاته الجنسية . وهو يجرى وراء غايته كأنه في حمى .

وأحياناً نجد رجلاً كريماً ليس في حاجة إلى المال . ولكنه مع ذلك يذهب ويعرق في سرقة أفراد عائلته : إخوته أو أقربائه الذين يكثر توفيقه في تجارة أو زراعة . ويصل إلى غايته بتركيب المزور والنصب . وإلى هذه الأخلاق لا يتورع من الذهاب إلى المسجد أو الكنيسة للصلاة ولا بعد نفسه مجرمات .

وأحياناً نجد سدة ولعوره ها زوج وأولاد وهي تدبر بينها على خير ما يطلب منها . ثم يمر على مسكنها بالغ الضمائم فتشتري منه رطلين . وقد لا يزيد من الرطل على نصف

قرش . ولكنها مع ذلك تغافل البائع وتسرق منه . ثم قد يذهب إلى مخزن تجارى كبير وتسرق من الأمتعة ما تبلغ قيمته عشرين جنياً . ومع ذلك تذهب إلى متجر لا يزيد ثمنه على عشرة فروع مسروقة . وهذا هو ما يسمى « كيتوماتيا » .

وأحياناً نجد رجلاً أنيساً يحب الكتب ويقتنيا ويبحث موضوعاتها في ذلك وخبره . ولكنه مع ذلك متعطى لا يثبت على عمل ولا يثابر على إنجاز مهمة . وهو يتنقل في سيرة من عمل إلى آخر كأنه متشرد . ولا يبالي أن يكسب له غيره ويتعب يته هو يحصل على الثمرة . وينتفى وقتاً على القهوة ينفق ما حصل عليه . فإذا قصر هذا الذى يحب له سبه ولم يمتد على الضرب كان له حقاً عليه في أن يعونه .

فيؤلفه جميعاً ، وأماهم ، يسلكون سلوكاً عادياً ليس فيه ما يلفت النظر . مواطنهم عادية ليس بها كرم أو ضيق . وتفكيرهم سليم ليس فيه خيالات جنونية . ولكنهم في ناحية معينة ، يخفونها عنا أو لا يخفونها ، يسلكون سلوكاً غير اجتماعي يؤذى الناس أذى عظيماً . ومن الأسراف أو السابح أن تقول إن بهم نيوروزاً أو سيكوزاً .

وهذا السبب أطلق على هؤلاء اسم السيكوباتيين ، أى أولئك الذين يمسكون بمخزون أخلاقي . حتى لو أنهم يحترف الكذب أو التزوير أو الوقعة فيكون بلاه علينا جميعاً . ولكننا لا نستطيع أن نوجد في ماستان أو سجن لأنه ، بذلكه ، يحرص على ألا يقع في مخالفة خطيرة . وإذا وقع فيها حرص على أن يستر . وقد روى الدكتور جبرى جرجس في كتابه عن السيكوباتية أمثلة كثيرة من هؤلاء الشاذين .

وأول ما نجد من الصفات عند هؤلاء الشاذين مما يتضح بصيرتنا إلى أنهم حالتهم أنهم غافلون في ذاتية مسرفة . نشعارهم أنا . أنا . أنا . يفتون النجاح وأحياناً يفترون . وليس للغير أية مكانة في حسابهم وهم على استعداد لأن يذسوه . وصلة أخرى تلازمهم هي الاندفاع وجهد العقل . وصلة تالفة هي نقص الاتزان الأخلاقي الاجتماعي . فالقيم والأوزان الاجتماعية لا تحتل مكانها في نفوسهم . فلا يبالي الرئيس السيكوباتي أن يحصل الفرائش من وثيلته لأنه أهم عمل بسيطاً . وأولاد هذا الفرائش وزوجته ليس لهم مكان في نفس هذا الرئيس . وصلة أخرى هي أن هؤلاء السيكوباتيين لا يعرفون عذراً للحياة . لهم يعيشون جزافاً وحاضرهم بغير كل شيء ليس للمستقبل عندهم قيمة كبيرة .

والآن اعتبر أيها القارئ هذه الصفات كلها : ذاتية مسرفة تقول في كل شيء أنا ، والاندفاع بلا عقل . ونقص في الاتزان الأخلاقي الاجتماعي ، وانعدام الخوف لفساد وإتلاف الحاضر على المستقبل .

المدير كل هذه الصفات ثم تأملها . ألسنت ليجد أنها جساماً صفات الطفل المدلل الذى نشأ على أن يقول : أنا . فى كل شئ ولا يعرف المسئولية ولا يبالى الغير ولا يكره فى المستقبل ؟

ولكن الطفل المضطرب أيضاً . بل ربما أكثر . ينسحب إلى الشخصية السيكوباتية . لأنه فى مسئوليته أعين وضرب وطرد وحرم . فاضطر إلى اتخاذ أسلوب من المكر والحيل والسرية والتوقيعة والعسر كى يعفى نفسه إزاء الاضطهاد . ثم يبنى معه هذا الأسلوب ورسخ فهو يعامل الجميع به . ويعود تجرباً يعامل هذا المجتمع بالأجرام الخفى كما كان يعامل زوجته أمه .

هذا التعديل يفتح بصيرتنا للفهم فى مشكلة الشخصية السيكوباتية . ولكنه لا يوضح لنا كل شئ فيها .

وبمع ذلك هذه الشخصية السيكوباتية قد لا تكون كلها سوءاً . إذ هناك من السيكوباتيين من يرضى أن العفوية قد تكون عى أيضاً سيكوباتية . لأن العفوى كثيراً ما يفسد بسببها . فلا يبالى المجتمع وفواعله . واستنثار الكثيرين من الأدباء والفنانين مشهور . ثم يفسد العفوى بالأسراف ويبعث لنفسه من الحرية والتفكير ما لا يبيعه لأنفسهم أفراد الجيوش . وهو أيضاً منفل . وهذه القفلة عملة على غزوات فكرية مختلفة . والعفوى والسيكوباتى متفان فى أن تائب المجتمع لا يصوغهما كما يصوغ الأفراد العاديين . وهذا فرض استحق التفكير . والتوسع قليلاً فى التمرح :

١ - الطفل المدلل قد تقواء الأنانية وكراهية التحمل للمسئوليات . والمجتمع يصدمه من وقت لآخر صدمات مؤلمة . فهو يتور عليه ويتخذ أساليب سرية فى هذه الثورة عليه . والأجرام بعض هذه الثورة .

٢ - الطفل المضطرب أكثر ثورة من الطفل المدلل وأكثر مكرراً أو سبلاً إلى الأساليب السرية . فقد اضطهده زوجة أبيه مثلاً . فتعواء . كى يعفى فى يوم يكرهه . أن يحنل ويسرق وينسى ويمشى بالتوقيعة . فإذا كبر بقى فيه هذه الأساليب ضد المجتمع كما كانت ضد زوجة أمه . فهو ناتوعى المجتمع بدمه على الجريدة بلا مبالاة لأنه . فى أحناف دمته . سقم من المجتمع الذى يحنل زوجة أمه .

٣ - لأننا نقول فى هذين الشانين السابقين أن السبيل والاضطهاد جديان ثمرة مره فى الشانين تشبه الثورة التى يحدثها سر كيب النفس . فنحن هنا إزاء هذه عقل على

المجتمع زعمت بدور في المسؤولية . ولكن ، إنما أن مرئيب النفس يحدث صبراً فادحاً والمجاعة
 شيئاً في أكثر من . هـ في المنة من الحالات ويحدث أقل من . ا في المنة من أكثر الحسن .
 كذلك الدليل والاضطهاد يؤديان إلى الضرر والسوء في نحو . هـ في المنة من الحالات .
 أي يؤديان إلى الشخصية السيكوباثية : شخصية الاجرام الحقن أو الخيون الحقن . ولكن
 ي . ا في المنة لا يؤدى الدليل والاضطهاد إلى الشخصية العبقرية . لأن الذكاء قد يستغنى
 هنا فلا تكون الشورة على . بعض معين بل على أوضاع اجتماعية تتخذ في عقل وتبرز
 عيوبها في إيضاح .

إحدى الشخصيات السيكوباثية

عزلاء المحرمون يعيشون بيننا وفقوتنا . وجرائهم خفية لا يستطيع الكشف علم واضحا . وهم في ظاهرهم عاديون سويون لا يسو عليهم أي شذوذ بل هم قد يحصلون على زيادة قدر يكسبون بها ويلبسون بها الاحترام . ومن هنا العجز ، أي عجز المجتمع ، عن منع سرورهم .

ولد بعد الفين وستمائة سنة في عائلة متوسطة من عائلات الصعيد ، وجاء مولده بعد خمس سنوات وأبواه من شوقي لأن نجوا بسلام . ثم عاشوا بتدليل مسرف بحيث لم يكن يطلب أي شيء منهم كان بأمره من التزق إلا وبجده حاضرا أمامه ، وكان له خادم خاص يرضي به النهار كله وهو يتردد على حمام خاص .

وهو أي هذا الغلام كان مزودا بالتعود التي يبعث نومه على أن يتفرغ بها كل ما يرغب فيه ، لا يجد معارضا أو مناضيا . ومعنى هذا أنه عاش في السنين الخمس الأولى وهو يتبع سلطان مستبد . ثم لما بعد ذلك على أن يعامل كل الناس بسلطان مستبد يطلب الطاعة . فإذا ما يجد بها بطش وحرب وعقوبة .

ما يعرف قط كيف يتعاون مع الناس بل عرف فقط كيف يعاند . وبعد كثر عنه أنه حين كان في السابعة أو الثامنة من عمره كان يخرج إلى الشارع ثم يعاكن ائارة من نساء أو رجال بأسلوب جنسي واضح . ثم يسترضي أبواه ضحكة وبهذيان إنه . دون أن يعاقب أبواه حتى يكف عن هذه العادة . ولأن له صب تعلم يتلفد على ائارة فقترهم أو ينجحهم ويضربهم ثم يأخذ أبواه فيسترضيان هذا الشخص . وتبدأ بعد هذه التربة السهلة على أن يعتقد أو يفس أن أفراد الجمهور إنما خلقوا كي يكونوا موضع قهوه وضحكهم . يضربهم ويضحك ويستسيهم ويضحك ويطلق كذب عليهم ويضحك . ثم يحس أيضا أن له الحق في أن يطلب كل ما يدفعه التزق إلى طلبه . وبذلك تكون له أسلوب هو أسلوب حياله الذي لا يزال بالازم إلى الآن في ١٩٥٠ ، وهو في الثانية والستين من عمره . فقد أدى هذا التدليل السرف إلى أنه كان يضرب أخاه الصغير بل كان يضرب أمه بالعصا حتى كان يجرعها .

ذلك أنه يعود ألا يقول نه أحد : لا . فلما بلغ السابعة عشر أو الثامنة عشر لم تعد أمه قادرة على أن تلبى كل طلباته فكان يضربها باستمرار . وكانت تلمذته في المدرسة على الطريقة الوحيدة التي انتفع بها قليلاً لأن زملائه من التلاميذ أجبروه على أن يسلك في معاملتهم على من الداية السخنة . ولكن هذا السلوك لم يستطع أن تغلب على أسباب العقوبة التي تعلمه . فحين إذا خرج من المدرسة وعاد إلى البيت أثار حرباً على أمه وإخوته نسيم ليها وضرب ويؤذي وحطم . ثم تزوج بعد ذلك فلم يمض شهر على زواجه حتى كان يضرب زوجته بخنق ما كان يضرب أمه في استهتار عجيب . وهذا إلى تعاطي الخمر إلى حد الامتنان . واضطرب ذات مرة بوالده زوجته فصره أيضاً . وبقى بعد ذلك نحو أربعين سنة وهو لا يترك هذه القصة ويشرح تفاصيلها . سواء الآن في صحوه أو سكره ويضحك مبهيجاً بأنه ضربه بنفسه وتغلب عليه .

وأخري أخاه الأصغر على أن يكتب خطابات يذمته إلى أمه . وهو يوجه أنه يؤذي عملاً حساً بها . وكان أخوه دون السن التي يستطيع فيها التدبير فكسب هذه الخطابات . ثم عرف بعد ذلك أن ذلك الشقي الذي أغراه بكتابتها معه تعتذر إلى جميع من كتب إليهم ويضمن أخاه لأنه كتبها . . . أسلوب سيكونائي عجيب !

وحادث له فرحة سرقة مصوغات والدته وباعها . ولم يستطع أحد من إخوته أن يجعله على رء هذه المصوغات أو أن يعرضه للعقوبة ذلك أن إخوته كانوا على بعضه اجتهدين يحب بعضهم بعضاً لأنهم لم يعرفوا التدليل .

بل الحق أن من يتأمل هذا الشخص يجد أنه ارتكب السرفة أكثر من عشرين مرة . فسرق أمه وسرق إخوته بل كان يسرق المزارعين . ثم مع ذلك كان يفخر بهذه السرقات . وكانت له أخت فقيرة لم يتزوج من أن يسرق منها نحو ثلاثين جنياً مما يشبه خيانة الأمانة . وهذا في الوقت الذي كان أحد إخوته الآخرين يتبرع لها من ماله الخامس يتحوسنين أو سبعين جنياً .

وكان يمارس لسذوذاً جنسياً خطراً ، ولكنه ، مثل جميع السيكونائيين ، كان قادراً على سر جرائمه . فلم يتفصح . ولكنه كان بعد ذلك بسنوات يقص جرائمه هذه وهو يضحك ثم يضحك ثم يضحك . ذلك أن أسلوب الطفولة الذي تعلمه حين كان بدله أبواه في السنين الأربع أو الخمس الأولى من عمره قد لازمه ومازال يلزمه إلى الآن .

ولكن مع كل هذا الذي ذكرنا هناك أفضح وأبشع . ففي ذات مساء كانت أم زوجته في يوم تزور ابنتها وياقت ليبتها في يمينه . فرأى الفرصة سانحة لأن يضحك أضعف ضحكه في

حياته . فترى حتى سكر . كما يفعل الجربون العائد كي ينفوا جرائمهم . ثم نرى جرائمه
المتصفاة . وهو إلى الآن بقصر هذه النصرة ثم بضحك وبضحك واضحك . ولا يبالى أن
يشرح كيف كانت زوجته السكينة تتألم وتعاول حيايتها أمها . بل إن هذا الأسلوب نفسه .
أسلوب التفرق إلى حد الاجرام . قد عادى أولاده به . فقد كان له أربعة صبيان حاول أن
يتمتعهم من أن يعلموا . وذلك لأنه وافق منهم موافق العناد كما لو كان طفلا يعلمه أطلاقا .
قد انظر أحدهم إلى الانقطاع عن الجامعة لأنه يلقى أن يجدد له ذكره الاسرار في
الأوبوس أو يقطع نفقات الانتقال النوب من البيت لجامعة . ويبلغ من استهزائه أن حرمه
أبدا آخر له من نفقات تعلمه في إقطاع حتى انظره أن يخرج ويطلع خصمين كالمعلم على
علمه لأنه لا يجد أجره القطار .

ولكن نلاحظه ينظر بحاله ويظن إلى حد ما للبواصت التي حصلته على هذا السلوك . أي
هذه الجرائم . وكان هذا الشقيق يرقى به ويستصاحبه ويهدى له العطف . ومع ذلك جاء آخر
أبانه يحاول أن يسرق ويدبر له العاكسات في الخطاه .

عاش الثمن وستين سنة وهو سلسلة متصلة من الجرائم البشعة . ولكن يد القانون
في هذه إليه قط . لأنه بدأ وصل إليه من تعلم . إذ كان مهتدا . استطاع أن يفتي
جميع جرائمه . وصحح أن أفراد عائلته . بل أقاربه . قد غاطموه حتى بات منعزلا في أواخر
أيامه . ولكن هل هذا الجرائم يكنى مثل هذه الحياة الاجرامية ؟

ومع كل هذا الذي ارتكبه هو معذور لأنه دلى وأسر في أدلته حتى أصبح
سيكولوجيا لا يمس أهلية اجتماعية ولا يبالى أي أذى ينزله بالناس . لا بل بأهله وإخوته وزوجته
وأولاده فضلا عن الغرباء ولا يعرف معنى للبر أو الشرف . فالمسئولية على أبيه وليس عليه .
وتحق مضطرون إلى أن نعش مع هؤلاء السيكونيات عاجزين عن أن نعين جرائمهم
أو حيلهم . وسيرجع هذا دليل بوجه هؤلاء المماكين في الطفولة حين لم أسلوبا في التصرف
مع تعجز هذا الأسلوب حتى نرى إلى سيخونتهم لا يعرفون كيف يعزونه .

وليس في هذا الشخص ما يدعو إلى الشبه في نفس أو خلق وراثي . أو لا لأنه البت
أن كفايته الذهنية غير ناقصة إذ حصل على دبلومه الهندسة العليا . ولأنه أنه ليس بين
إخوته واحد منهم في هذه الأخلاق . إذ أنهم موثوقون اجتماعيون . ولكن ما يستحق
الذكر هنا أنه على الرغم من حصوله على شهادة الهندسة العليا لم يشغل قط بالهندسة
إذ فتح بابا من أرضه الموروثة . وهذا يدلنا على أنه لو لم يكن وارثا لعلل بمراتب أهله
لارتكب جرائم أخرى في سبيل العيش .

النوروز

النوروز كلمة عامة للكرب العاطفي الذي نضج به وتنام منه فتعجز عن أدائها عندنا ونأرق في الليل ونجتري المصوم في النهار ونلقى في خوف أو شك . ولكن الطفل في كل هذا سليم ليست به خالات جنونية . وربما عندما نتقدم السكولوجية نترك هذه الكلمة العامة أي « نوروز » وتعبر النوروز النفسية كل منها باسم خاص .

والنوروز عامة علامات غير وضعها السكولوجي أدلر نصف النوروزين وهي :

- ١ - أن النوروزي يجهل معنى الحياة ولا يعرف أية قيمة يتعاون الاجتماعي . فهو مثلاً يخاف أكثر مما هو مضاعف .
- ٢ - هو أناني لا يخدم غيره وليكملة . أن . عنده الأولوية .
- ٣ - هو في خوف دائم أو متردد (والخم والقلق خوف متردد) .
- ٤ - يحاول أن يحدث لنفسه إحساساً ذاتياً (غير موضوعي) كي يشعر بالقوة كأن يشرب الخمر أو أي مخدر آخر . أو يستسلم لخواطر القطة .
- ٥ - يقول : « لا أفهم » وفي صميم قلبه يقول : « لا أريد » .
- ٦ - يعيش بهدف نوروزي قد تكون له في الطفولة لأنه كان مدبلاً أو مضطهداً . ففي الحال الأولى يحاول استبقاء ما كان يتسرع به من التذليل مع أن الظروف لا تؤول إليه . وفي الحال الثانية يحاول أن يعيش فيما اخترعه لنفسه من أهداف كي يرفع من الاستطيات .
- ٧ - يعلل فشله أو حبهته بأنه عمل لشيء آخر أو شيئاً آخر تبعه عدا الفضل أو هذه الحبيبة كان يقول إنه مريض أو إنه لم يتعلم أو أنه لم يربح . . . الخ
- ٨ - يبذل مجهوداً ذاتياً كي يبدو أمام الناس أنه غير مسئول عن فشله .
- ٩ - تنسم حياته بأنها عقيمة وأنه غير مفيد للمجتمع .
- ١٠ - يترك الاعتزال على الاجتماع .

هذه هي العلامات التي نعرفها في النوروزي ونتجنبها أنا نجده عاجزاً عن ممارسة العمل

النسب ، وعن إيجاد علاقات اجتماعية حسنة . بل هو أحياناً يعجز حتى عن إيجاد علاقات جنسية حسنة .

وببساطة أدلر فيزيد في شرح النيوروز فيقول إنه يرجع في بعض الأحيان إلى صدمة ما . تستغل النيوروزي هذه الصدمة كي يقر من مسئوليات الحياة فلا يعمل ولا يتعب . أنظر إلى رجل أحسن زوجته ودأبت في الإهانات فيما يقارب الفضيحة . وعجز هو عن الانتقام . فحسن التورات . فهو ربما يذكر هذه الإهانة بقصتها عليك وعلى كائناتها لأسد مسامحة . وأنه لولاها . . . الخ . الخ . والتسوية أنه يعيش غاطلاً عقلياً .

وإذا لا يعود النيوروز إلى صدمة معينة مذكورة . ولكن إلى أسلوب التعليل أو الاستبعاد الذي يملكه الطفل في طفولته . ثم وجد بعد أن بلغ الشباب أن هذا الأسلوب قد باء . بل فصل . به وليس الجميع .

ويعتبر أدلر أن النيوروزي يكاد يتصرع إلينا : « اعشرونى يا ناس . أنا ولعمري في هذه المصيبة . أنا عاجز عن العمل لأنى غلبت الوجهة (— من كتب شخصاً) والناس مضحكون على . نعم الزواج بهذا الوجهة ؟ »

وإذا أدلر في حكمة جارية : « لنفرض ذلك . وأنه قد وقعت بك مصيبة كما يقع المرض بالإنسان . ولكن لنا في حاجة لأن نصف لنا ما فعله بك المرض وأن يلقى على هذا . أخيراً ماذا فعلت أنت بالمرض ؟ »

أقول . لو تصرع هذا النيوروزي في أن يفعل شيئاً بهذا المرض إذن تصرع في علاج نفسه .

وعندما يضرب النيوروزي عن العمل والنسب والاجتماع والزواج ويقول : « ماذا عنى من كلفائيات ؟ » وشعده سعطلاً عقلياً . يجب أن نقول له نحن : « ماذا فعلت بالقليل الذي عندك من الكلفائيات بهما قلت وسهما صغرت ؟ ماذا فعلت بها ؟ »

لأن النيوروزي عند ما تصرع في عمل ما يأمل كلفائياته . عندئذ . تصرع في أن يكون سويةً كسائر الناس .

وإذا أردت أن تعرف أيها القارئ هل أنت سوى أم نيوروزي فاسأل نفسك : ما هو موقعي في العمل والمحبة والاجتماع والفراغ ؟ وعلى قدر نجاحك في هذه الأربعة تكون سوية . وعلى قدر فشلك فيها أو في أحدها تكون نيوروزياً .

وأخيراً يتضح أدلر بانقضاء هذه الحكمة : كن خدوماً . اخدم الناس . اعط بسخاء . ولا تكسب عن العطاء . أعط نفودك وعقلك وقلبك خدمة غيرك . النسب التالي في

لا تكن عبداً على غيرك . واحب وتزوج وعمل عائلة . آتس الناس واجتمع بهم وتعاون معهم . واملا قراعتك بما يفيدك ونفذ غيرك .
ولكن أدبر الشرائع لأنه وجد أن الميابة تحدث التوتوات النفسية التي يجب أن نجنبها . وأن الاستقامة تعاون وخدمة وحب .

يحدث النوروز بل مكر إذا كان الوسط بظالماً بمجهود شاق ونحن . نسبت ب . نعيم عن القيام به . وهو أكثر حدوداً من المتاعب الصغيرة المتكررة كل يوم من الضربة العنيفة تقع مرة في حياتنا . ولذلك نحن نعي من عمل التوبيخات والاهانات والتهديدات . كل يوم . من الرئيس أو الخادم . ولكننا نحمل الاقلام يقع مرة ونلطف عن أملاكه ولكن لا نكرر كل يوم .

ولا ننسى يكون متعباً أو كرهاً للدرس ثم نحمله على الدرس بدلاً من أن نعلم . وكما هي ترعته الغريزة الخفية ثم نخرب ونطالب بواجباته اليومية .
والجدي في الحركة يحيط به الخوف من كل جانب ونطالب بالشفقة .
وفي هذه الحالات الثلاث نجد كلهم أي تولوا لا يخرج . أي لهم سرهما بين الوفاء وبين الشخص انتهى بعجز الشخص .

وسلامة الشخصية تقاس بالانتصار في الجبهات الأربع للماء : العمل . والاجتماع . والحب . والفراخ . ونعني النجاح فيها كلها . أما إذا انتصر النجاح على واحد منها . والأغلب عندنا أن يكون النجاح عظيماً . فإن هذا النجاح نوروزي . كذلك الذي يرمي كل يومه للنجاح التالي فنجاح فيه . ثم يمشي في غالفه أو مجتمعه وراعه .

والنظر إلى خاتمة التسع في النوروز حين ينتقل من بؤرة محله فستعمل الحياة كلها : شباب اعتاد العادة السرية . أو أغواه آخر أن يفسق به . فاستأجر . فالاستراز هذا يتشبع . وعندئذ يشمئز من البصاق والخطأ والعرق ومخالفة الناس إلى يشمئز من الخبز لأن يائعه يحمله بيده وبلاسه . ثم يشمئز من الطعام الذي طبخته الخادمة لأنها تدخل الكثير . ثم يشمئز من الماء لأنه يوضع في كوب قد شرب منه غيره . . . الخ

أو انظر إلى الطيار قد استولى عليه الخوف وهو طائر . فهو يخاف أن يزر موطنه مع أنه على الأرض الراسخة بين أهله . ثم يفرغ من إقتال الباب . ثم يخاف البلكون ويعتد أنه سيفتح به . ويخاف الظلام . ويخاف الفضاء . ويخاف المسهل .

أو انظر إلى شاب يشك في أمانة خادمه ويخشى سرقة أوراقه أو نفوده من درج

الركن فهو يعود في سنواته أنه أفضل . ثم يتبع الشك . فهو يشك في أمانة زوجته . أو أخواته ويشك في النيات التي ينشئ عليها رئيسه نحو . وشك في السبيل الخ . والتفكير البشرية بطبيعتها البغالية سيطرة لا تقف الموقف السليم ولا تركه . وما هو أن يجد الحقائق حتى تتحرك . ولذلك فإن الشك أو الخوف أو الاستمواز يبدأ في جزء من الحياة العقلية في أفعالها .

ويحل على مثل هذا النبوروزي أن يؤدي عمله كما ينبغي . وهو في أغلب الحالات يعمل ويبرم في بعض ما يخطبه والفشل لأنها أروح إلى نفسه . وهو يبررها بالحال التي هو فيها . والنجاح يحتاج إلى جهد ليس في مستطاعه .

أنظر إلى نبوروزي آخر : رجل يفتش في كل ما يعين . ليست أحلام اليقظة وأحلام النوم عنده نجد أنه يعلم بالانحياز . وبارس الانحياز في هذه وليس في خوف في هذه الأحلام . وقد يرغب في الفشل لأنه يكره زوجته أو عائلته فيها . وفي أعماق نفسه (عقله الكامن) أن فشله يعود عليهم بالضرر . فهو يتهم منهم به . كما يتهم الضيف من أبيه حين يرفض مذاكرة دروسه لأنه يرى منها عبء عليه ورغبة في أن يتجرب . وهما بفرحان بنجاحه وهو لا يريد أن يفرحاً . وعند ما نتحدث إلى هذا الفاشل يقول لنا إن عنده رغبة في النجاح ولكن الظروف معاكسة . ولكن الرغبة لا تكفي . وهنا نلاحظ بعواظنا في أن تكون أرونا . ولكن لا نحمل رغبة العاطفة إلى إرادة الوجدان . ولو صارت الرغبة إرادة لجهدنا وعملنا على تحقيق النجاح ونخلصنا من جميع العقبات القائمة . وعندئذ نربط الأسرة بالتواضع ونشرع في التنفيذ .

النبوروزي أي جنون العاطفة . نسلها على الشخصية . هو الطريق إلى السيكوز أي جنون العقل بإيجاد خيالات واختراع قصص ترواح إليها الشخصية . ولكن يجب ألا ننسى أنه لا يصل إلى السيكوز سوى واحد في الآلاف أو أقل . وإنا كنا . أي دنة في المئة تصاب في وقت ما بالنبوروز . وهو يزول عنا دون أن نبالي به كالدمع أو غيره من التوهجات الخفيفة في الجسم .

النبوروزي عاطفي انشغالي . وفي تعالجه يجب أن ننقله إلى الوجدان بالنظر الموضوعي . أي يجب أن نقول له : لا تفعل . تفعل . وتحلل شخصيته وتفسر له وتشعره أنه إنسان

متعدن ونغير القيم الأخلاقية التي يعمده عليها ، وهي في الأغلب زائفة ، إلى فهم صحيحة يرتاح إليها الرجل الحكيم . أجل . يجب أن نعيده حكماً .

وإذا تفالم النوروز انقلب أحياناً إلى عسيريya أي أن عاطفة الخوف مثلاً عند الضياع قد « اختصرت » في الكلمة ثم انبجست عن العقل في ذراعه . أو عاطفة الكراهة للزوجة قد اختصرت في الكلمة ثم انبجست في الزوج عن عيني فلا يرى الدنيا .

الشلل والعبي كاذبان . وهما مجهودا النفس كي تتخلص في الحال الأولى من خطر الطيران وفي الحال الثانية من رؤية الزوجة . وليس هنا سيكوز لأن العقل لا يزال سليم . ولكننا نفهم من هذه المستيريا أن النوروز قد تقدم . أي أن الشهوات والرغبات والعواطف والكلمة قد ثارت وانفجرت لأنها لم تطلق الاحتباس .

والنوروزي يعالج بالنصر والفتنة والخب أي أننا نحلل نفسه ونضيف إلى التحلل شيئاً من الإجماع بل المبتوتية إذا كانت حاله متفائلة . ونحاول أن نسير أعماقه ونحمله على الثقة حتى نرده إلى الوجدان . ثم نرسم له ، في ضوء ظروفه . خطة بنائية مثلاً نفسه استبشاراً وتشغلاً فراعده والمؤلف المخصصه المزعزعة من جديد .

السيكوز

الفصول السابقة على التنوير والارشاد . ولكن هذا الفصل للتنوير فقط . فان
السيكوز هو أخطر الأمراض النفسية ولذلك يحتاج إلى الشخصى كى تجب المبادرة فى علاجه
ولا يجوز للمؤلف أن يقدم نصيحة أو إرشاد فيه وإنما يقتصر على التنوير .
وله تكون هناك أسباب جسمية أو سانية تجعلها فى أصل السيكوز . بل قد يكون
هذا أيضاً فى أصل النوروز . وفرويد نفسه لم يستبعد هذا الأصل . ولكن إلى الآن
تجهل أى شئ يتصل بأصول جسمية سواء لنوروز أو السيكوز .
ومضارى ما نعرف الآن أن النوروز والسيكوز كلاهما يعود إلى احتباس العواطف
والشعور . وأن الأول هو اختلال عاطفى أحدث كثيراً وضيماً ولكنه لم يبلغ العقل . ولكن
الاختلال فى الثانى قد بلغ العقل فأحدث الفذيان والخيالات .
فى النوروز نجد الضيق والكرب والحزن والعواطف عديدة لا تطاق . ولكن العقل
سلم . كالأم تفقد ابنها لأنه ضل أو تركها . نوى فى ذلك هل هو حى أو ميت . وهذا
الشك لا يطفئ . ونحن نراها لا شك تأكل ولا تشرب . بل لا تكلم تقعد أو تنام . وهذه
حال لا تطاق . ثم لتجأ ذات صباح بأن ابنها قد عاد وأنه سحضر فى الساء . وعندئذ
يجد أن هذه الأسطورة قد أراحت نفسها فهدأت العواطف . ولكن العقل اختل .
وحقيقة ما حدث أن الحكمة التى احتبس فيها حياء لا ينها قد طغت بالوجدان وغلبت
عليه . وكما أننا نحلم بالحزن عندما ننام على جوع كذلك تعلم الأم التى فقدت ابنها برؤيته
فى النوم . أى أن الحكمة (العقل الحكيم) بعد أن تخلصت من رغبة الوجدان تارت
وانفجرت فى النوم واختلقت هذا الحيال اللامع لابنها حتى يرواح العواطف . والأحلام تكون
سيكوز أى اختلال عقلى وقتى يفرج عن العواطف المحتبسة فى الحكمة .
ولكن إذا كانت العواطف ساجدة والاحتباس لا يطاق فإن الأحلام تنتقل من النوم
إلى اليقظة . والسيكوزى فى هذه الحال يطلق الدنيا والواقع والوجدان وينتهى بأن يعيش
فى حلم يرواح إليه .

ومن ثلث ثرياً وأفلس . لا يلقى هذا الحيوان وهو ضالٌّ بأفلامه لا يعرف كيف ينظر
النظر الموضوعي الوجداني لأنه عاجز عن رسم ما تعظم من كنهه المألوف . وكل هذا سيروزي
لا يتناق . وقد علم بأنه يرى وقد استورد كروته . ولكن راحة الحلم تقتصر على النوم . فهو
يلجأ . أي أن يستند تنحاً . إلى الضغط على وجدانه فلفظه ويجعله كأنه يعيش في حلم .
ولذلك سجدات ذات صباح كأنه قد استورد كروته في البورصة وأنه يرى الآن لا يتخلى الفكر .
ويستقر على هذه العنيدة ويعيش في عالم حياته في هذا الحلم الذي يظنه لما كان يقاسي من
كرب العواطف وضيقها .

وهو إذا كان في الأيام الأولى من هذا السيكوز فقد يكون من المستصعب أن نجد به مرة
أخرى إلى الواقع وحمله على التعلق الوجداني . أما إذا مضت عليه مدة وهو يستمرى
عنه الخيالات التي تعلب ما بينه وبين الواقع فإن من الشاق بل من المحال تقريباً أن نرده
إلى الوجدان . وإذا مضت عليه سنوات وهو في السيكوز فإن من المحال قطعاً أن نعيده
إلى الدنيا الواقعة - دنيا الحقائق - بدلاً من دنيا الخيالات التي يعيش فيها .

وربما كانت البارانونيا أبسط أنواع السيكوز . فإن السيكوزي هنا ينظر النظر الوجداني
الموضوعي بشكل بشي إلا في نقطة واحدة غفل فيها وجدانه . فقد كانت الكتابة هي العنيد
أن هناك عصابة تنوي خناتها من مصر وحملها إلى سوريا . وقد غيبت لي المكان الذي
كانت تعقد فيه هذه العصابة . وكان روسو يعتقد أن بعض الناس يتجسسون عليه كي
يسبوه . وقد سبب علامة مع كثير من أصدقائه بسبب هذه العقيدة . وكان هتلر
يعتقد أن ألمانيا ستعطب على هذا الكوكب ٥٥ . وعرفت في مصر شخصاً يعتقد أن مصر
يرسل إليها ثيافات كهربائية (راديو ٩) سوف تقضي علينا . وأحياناً نجد أحد الزوجين
يسرد قصة لا تتغير عن خيالة الآخر . وأحياناً نجد شاباً متعلماً يقتل وقتاً وماله كي يجرهن
أن الأرض غير كروية . الخ . وفي كل هذه الحالات نجد العنيد وجدانياً إلا في هذه
النقطة التي تنبني على عقيدة عاطفية لا يعرف العقل أي الوجدان كيف يتصرف بها .
فإن هذه البارانونيا كايوس أو حلم قد انطلق من النوم إلى اليقظة .

والخالات الخسفة من البارانونيا كثيرة ولكننا لا نلتفت إليها لأنها خفيفة . فإن أحد
الناس يؤمن إيماناً راسخاً بشي ما أو بعقيدة معينة . ولكن . لأن هذا الشيء أو العقيدة
بعيدان عن علاقاتنا به . فأننا لا نكاد نعرفهما إلا سماعاً أو لا نعرفهما بشيء . وإذا عرفنا
شيئاً منهما فأننا إن هذا هو من خاص به فلا نباله .

أما السيكوز المسمى بالبارانونيا كثيراً . لأن ألمانيا تقهر الشخصية

ولا يترك الوجودان كسعة . وهي تصيب في الغلب الشخصية الانسانية أو هي مبالغ في مخالفة . ولكن الغلب يميل إلى الحزن ويسرف في البكاء أكثر مما يميل إلى غروب السوء . وإن كان هذا يحدث أحياناً . والمنظر للأنوف أنك تجد سيده يبكى وتسوح وصرختها المتكررة في سلا . يا خراب بيتا . وقد يلجأ الغلب إلى الانتحار .

والثاني أي الغلب بالإنسان يتناوبه الطرب : ابتهاج في ساعة مع الضحك والمرح والغنى في ساعة أخرى مع البكاء والأسى . ولكن في الغلب الأحيان يغلب أحد الطرفين فهناك سلا ذمت المؤمن الذي عرف في الإيمان . يعتقد أن علوية كثيرة فلا ينقطع عن البكاء لأنه خائف مفضي عليه لكثرة هذه الذنوب . وقد ينفذ الحزن على الجمود والبسوت وأحياناً ينسب غضباً ليهيج . ويدهي أنه إذا مضت على الماني معه طويلاً وهو في هذا الفرض بعد من الواقع . وهناك نفس وجدانه ومنعده ليعتق نظره لشؤون الدنيا ويقنع الرجاء من سقائه .

ويؤثر الاغتم في الدنيا أكثر من الابتهاج . والثاني وقت التوبة الاغتمية يعتقد أنه ليس جدير بالخفاء . ويرغب في الانتحار هذا السبب . وهو يخرج القصص لغيره هذا الاغتم . وقد يصيب ويسكن أو يترك ذراعيه ويخرج في ذهاب وإياب . وأحلامه هي أحلام الاغتم . وقد تلازم هذه التوبة منه أو أكثر . وكثيراً ما يشفى وحده . ويؤثر في حالة أحلام حسنة نفياً بالتناول .

وتؤثر الابتهاج لتغذ أسلوباً آخر في الحركة والكلام الكثير من مع الروح العظم حتى أن زائر المريض يضحك معه . ولكنه في التكبره يترك يبدأ بتوضوع وينقل منه إلى حرية بلا ارتباط . وهو يبدى رغبته وشهوته أحياناً سافرة في فحة الحركة والسكينة . وهو لا يطق النقد أو المعارضة وقد يحملة هذا على البطش بمن يشككه أو يعارضه . والثاني يزعم في العادة أنه ميت أو مفرج الفسلة الذرية أو محالفة القاهرة الخ . وبالنساء والحق يستطيع مصاحبه .

والله يوفينا في جنون الانطوائيين . وهي مبالغ في المزاج الانطوائى الذي يجيد صاحبه في الصلابة يؤم العزلة على الاغسلات ويتجاهل الواقع ويسلم خواطره ويقصده إلى أهداف خيالية . وهو في المرض يلتزم بحرفته لا يرحبها ولا يبالى حتى الجوع أو العطش فإذا نزل . يطلب الطعام أو الماء . وهو يفسر على تناول الطعام بالتوبة بوضع في أفقه فسدت بها الطعام إلى معدته . وأحياناً يبتلى بجائداً في وضع معين قد بلغت ذراعه أو ساقه أو هو ينحني حتى لجان تفسد يده الأرض . ويبقى ساعات على هذا الوضع لأنه يستسلم

حالات تفصل بينه وبين الواقع كما تحول بينه وبين الاحساس بالألم أو السعاب .
وفي جميع حالات السكروز نجد كظم ساهياً قد اختزنته الركيزة ثم انفجر بجئون معين
يلتئم مع شخصية المريض في الأغلب ، أي المانيا مع الانبيساطي . والشيزوفرنيا مع الانطوائى
ولكن ليس هذا ناطعاً . لأننا أحياناً نلبقة : نجد الانبيساطي الشيزوفرنى كما نجد
الانطوائى الثانى .

وكما سبق أن قلنا من المستطاع العلاج إذا خلفت الاصابة في بدايتها ولم يرسخ المرض
في المريض ويقطع ما بينه وبين الواقع . أما إذا تقدم ، وخاصة إذا كان هذا المرض
شيزوفرنيا ، فإن الأمر بالشفاء بعيد .

في النيوروز والسيكوز يحتاج المريض قبل كل شيء إلى الابتعاد عن الوسط الذى أحدث
له الشكوى سواء أكان عائلياً أم حرفياً ، لأن الابتعاد الجغرافى يؤدى إلى ابتعاد نفسى .

وهناك أسرارى تفرق بين النيوروز والسيكوز . أي أن المريض يصير يحاشيه ولا يزال
يحفظ بوجهه أنه في كثير من تصرفه أو أن هذا الوجدان يعود إليه في فترات فيسقط
أن يعقل وينظر إلى نفسه الشفرة الموضوعية . وقد رأينا في البارانونيا المريض يحسن التفكير
في علة الأسماء إلا في نقطة معينة . فيطيرك مثلاً أن القيامة قد عين لها سبعا هو سنة
١٩٥٠ ، ويتعجب نفسه في إقناعك بهذه الفكرة . فهذا سكروز بتعريف جزءاً من التفكير . ولكنه
في سائر تفكيره حسن سوئاً .

وهناك التورسيتها . وهي نوتر عاطفى يشده فيؤثر أولاً خفياً في الجسم . ففى فترات
يعس المريض أن فيه بوشك أن يظهر منه ويسيل العرق على وجهه كأنه يغسل به وفي
بده يغسله وفي أنحاء جسمه يشعر به أو اختلاجات ، ثم هو يخاف ويمتدع . وهذه الحال
تعطله عن عمله الذى يرتقى منه .

وقد رأيت أن هذه الحال نصيب كثيراً من الموظفين الذين يحدون من رؤسائهم
معاً كسانه ومساكنات كل يوم . ويجب أن نذكر أن المعاكنات الصغيرة التى تتبع
التوتر العاطفى ، إذا تكررت كل يوم مثلاً ، تحدث في النفس أضراراً وأخطاراً أكثر من
الحادثة العظيمة تحدث مرة واحدة . فقد يستطيع أحدهم أن يتغلب على كارثة الافلاس
النام أو وفاة ابنه الوحيد أو قطع ساقه . وهو يفرح بالصدمة ولكنه يفيق . أما المانيا فلهذه
النومة من الزوجة أو الحياة . والمعاكسة من الرئيس بالتهديدات المتكررة كل يوم ، فإن

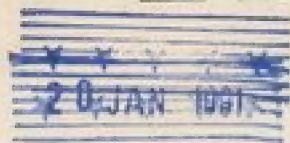
النفس لا تتجسسها . وأكثر ما يتجسس في مثل هذه الأحوال من الحيوان المرعى إلى
 السكوك الذي يعيش فيه المرض . رباحاً بأحلامه وغشائه . والمرأة التي تلجأ إلى الزنا
 إنما تفعل ذلك لكلمات يومية لا تتطبعها من حزنها أو شربها أو زواجها ..
 وعندها تصير إلى وهي بين السكوك والسكوك . وفلاسيكها التأخر في أحد أعضائها
 الجسم والليل من أو جرت له تعبها ما معنى يرمى . زلاشياء الجنى في المرأة المرومة
 يودى إلى قايح أو حركات غير واضحة . والاضطراب في الجنس لا يطق العزلة المستقل
 وعمل إلى السكوك . وأحياناً تمت النساء أو السيدات وهي في المسير إلى تحميم الألبان
 أو الألبان وهي غائبة الدهن . فإذا كان الصباح نمت كل شيء وعبرى السكوك إلى
 العنارب . والأشبه أن هناك نعمة جنسية غير التي تدعى إلى هذا العنارب وأخر
 ثقلها النكاح إلى هذه العزيمة . وهي في غير وجدانها . تنفساً عن الشهوة الجنسية المكشوفة .

1812

B 22348244

I 14950042

DATE DUE



JUN 1971
JUN 1971

BF
145
M82
1947



1 0 0 0 0 1 2 6 7 2 6



